الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي مغنية
معهد الآداب و اللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه ل.م.د

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الموسومة:

المكان ودلالاته في روايات ياسمينة صالح

إعداد الطّالبة:
بن سعيد حورية

إشراف الأستاذ الدّكتور:
شريف بموسى عبد القادر

أ.د. بن مالك سيدي محمد	أستاذ التّعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	رئيساً
أ.د. شريف بموسى عبد القادر	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرّراً
أ.د بن اعمر محمد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضواً
أ.د قيطون أحمد	أستاذ التّعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	عضواً
أ.د. عزوزي عبد الصمد	أستاذ محاضر"أ"	المركز الجامعي مغنية	عضواً
أ.د. زغودي دليلة	أستاذة محاضرة "أ"	المركز الجامعي مغنية	عضوا

السّنة الجامعيّة: 1443-1444هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

الآية 19 من سورة النمل.

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على نعمك وكرمك وفضلك وما يسّرت لنا لإتمام هذا العمل، فسبحانك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور " شريف بموسى عبد القادر " لقبوله الإشراف على هذه الأطروحة وللتوجيهات التي منحها لنا وسعة صبره علينا .

إلى

كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل .

إهداء

الحمد والشكر لله الذي وهبني التوفيق والنجاح، ومنحني القوة والعزيمة وأعانني على إتمام هذا العمل لأهديه إلى من قال الله سبحانه وتعالى فيهما،بعد:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واخْفِضْ لَهُمَاجَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

الآية 24 من سورة الإسراء.

إلى أمي العزيزة والغالية التي وهبتني حياتها

و صمدت معي وساندتني في كل خطوة أطال الله عمرها و حفظها الله وأدام عليها الصحة والعافية إن شاء الله

إلى زوجي وأبنائي فلذة كبدي

محمد علي رياض، ألاء نهى، يحي عبد الخالق أنس

وأختي العزيزة نجاة وزوجها وابنيها العزيزين إشراق نور ومحمد ضياء إسلام

إلى كلّ من ساعدني من قريب أوبعيد.

مقدمة

تعدّ الرواية العربية الجزائرية المعاصرة من الفنون النثرية الأدبية التي لاقت رواجا كبيرا في الساحة الأدبية واحتلت مكانة بالغة الأهمية في عالم السرديات، وقد شكلت في الآونة الأخيرة إقبالا واسعا على خطابها كتابة وقراءة ونقدا، كونها تعالج جوانب هامة من الحياة الاجتماعية والتاريخية والسياسية والثقافية، وقدرتها على إيصال الأفكار من خلال مكوناتها السردية والتأثير على المجتمع لما تحتويه من المواقف والتجارب البشرية.

كما أنها تعتبر من الأجناس الأدبية التي بدأت تمثل الأدب الجزائري أحسن تمثيل مغاربيا وعربيا، فقد خرجت الرواية الجزائرية المعاصرة من قميصها العتيق حيث تعددت ثيماتها وبلغت تخوما تبعث على الإدهاشوالمتعة .

وتطورت هذه الموضوعات مع مجموعة كتاب، أبدعوا في كتابة الروايات المتباينة، لغة ونوعا. وثمّة عناصر فنية تشترك فيها الكتابات الروائية جميعها منها وجود شخصيات وزمان ومكان .

ويعدّ المكان أحد المكونات السردية الهامة في الرواية، باعتباره الفضاء الجغرافي والتضاريسي الذي تجري فيه أحداثها . ويقينا أن له أهمية كبرى في بناء عالم الرواية، فلا يمكن أن نتصور أحداثا تقع خارج فضاء مكاني، فهو صورة انزياحية ذهنية تطبع فيه الشخصية بكل تصوراتها وانفعالاتها، كما أنّه الوعاء الذي يحتضنها وتتحرك فيه مع باقي العناصر السردية الأخرى .

إشكالية البحث:

يعدّ المكان أحد المكونات الرئيسة في جنس الرواية، وذات أهمية بالغة ودالة في الرواية الجزائرية المعاصرة. من هنا نحاول في هذه الرسالة البحث عن كنه المكانوأنواعه ودلالاته في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال أنموذج روايتي ياسمينة صالح: "وطن من زجاج"، الصادرة سنة 2006م، و"لخضر" الصادرة سنة 2010م.

فما مفهوم المكان الروائي؟ وما هي أنواعه؟ وماهي الدلالات التي حملتها الأمكنة التي وظفتها الروائية ياسمينة صالح في كل من "وطن من زجاج" و"لخضر"؟

لقد تضافرت عدة دوافع ذاتية وموضوعية دفعتني إلى خوض غمار هذا الموضوع، منها:

القراءات المتعددة للرواية الجزائرية المعاصرة وخصوصا الرواية النسوية التي اهتمت بالواقع الجزائري .

بينما الأسباب الموضوعية، فتتمثل في محاولة البحث عن أنواع المكان ودلالاته في الرواية الجزائرية لما لها من أهمية وخطورة خصوصا الرواية الجزائرية التي كتبت عن العشرية السوداء زمن المحنة حيث الإرهاب. ليصبح المكان في بعض معانيه مرادفا للإرهاب.

إن الهدف من دراسة المكان يكمن عموما في النقاط التالية :

- الإفصاح عن مفهوم المكان ودوره، والغاية الفنية أو الجماليات المخبأة فيه من خلال المدلولات .

- الوقوف على أنواع الأمكنة وطريقة حضورها في الأعمال الروائية لياسمينة صالح إذ يسهم وجودها في نمو الأحداث.

- إبراز علاقة المكان بالشخصية والزمن وطريقة التناول لغة وحبكة.

حسب إطلاعي لا يوجد دراسة موسومة بهذا العنوان وإن كانت هناك فقد تناولتها وتطرقت إليها من جوانب أخرى وفي ثنايا دراسة العناصر الأخرى للرواية .

ولقد جاء البحث مقسماً إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة مع قائمة المصادر والمراجع..

تناولنا في الفصل الأول مفهوم المكان ومعالم تشكله، وذلك بالتعرف أولا على مفهوم المكان لغة، اصطلاحا، وفلسفيا. ثمّ مفهوم المكان والفضاء، ثمّ أهمية المكان في العمل الروائي، ثم أنواع الأمكنة، ثمّ تطرقت إلى المكان وعلاقاته بالعناصر الروائية الأخرى: الشخصية، الأحداث، والزمن.

في حين خصصنا الفصل الثاني لأنواع المكان في رواية "وطن من زجاج " لياسمينة صالح بدأناه بتقديم ملخص للرواية، ثم مبحث خاص بالأمكنة المفتوحة، ومبحث آخر للأمكنة المغلقة.

بينما تناولنا في الفصل الثالث أنواع المكان في رواية " لخضر" لياسمينة صالح، بدآناه بتلخيص الرواية الثانية، يعقبه مبحثين، الأول: الأمكنة المفتوحة، أما الثاني: الأمكنة المغلقة.

أما عن أهم المصادر والمراجع التي دعمت بحثي أذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

جماليات المكان القسنطيني قراءة في رواية ذاكرة الجسد دراسة نقدية تحليلية، لابن الأخضر السائحي، وجماليات المكان في الرواية العربية لشاكر النابلسي، وشعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف لعالية أنور الصفدي، وجماليات المكان في ثلاثية حنا مينة لمهدي عبيدي.

لقد إعتمدنا في هذه الرسالة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة المكان، كاشفة لمستور الأمكنة و استقراء دلالته في الرواية الجزائرية، ومن خلاله تتبعنا النصوص الروائية جزءا جزءا ، ثم بعد ذلك قمنا بدراسة كل جزء على حدة لنتوصل في الأخير إلى النتائج النهائية.

صادفتنا بعص الصعوبات منها: إنفتاح الموضوع، وتنوع و تشعب الأمكنة و تعددها، فقد تنوعت و تشعبت الأمكنة في النص الروائي الأمر الذي طلب التركيز و الإهتمام والتمعنبإستقراء المتن الروائي و إستقصاء دلالاته من عدة جوانب.

وفي الأخير نشكر الأستاذ الدكتور المشرف شريف بموسى عبد القادر على سعة صدره وصبره، وتعاونه لانجاز هذا البحث، كما ونشكره على نصائحه القيّمة وتوجيهاته لي،والفضل لله الذي أعاننا على إتمامه.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأساتذتي بالمركزالجامعي كل واحد باسمه، وكل من ساعدني من بعيد أو قريب على إنجاز هذا العمل، واللجنة العلمية.

بن سعيد حورية

مغنية يوم 08 شوال1443هـ/ 09 ماي2022 م.

الفصل الأول
المكان و معالم تشكله

أولا : مفهوم المكان

1- لغة

لفظة المكان وردت في العديد من معاجم اللّغة العربية، فذكرت معنى المكان واستعمالاته المتعددة، وذكرت بدلالات واضحة أنّ المكان هو الموضع، كما تعني لفظة المكان الموضع لكينونة الشّيء فيه. وجمعه (أمكنة...وأماكن جمع الجمع).

ففي لسان العرب لابن منظور باب الكاف" كون: الكون : الحدث، وقد كان كونا وكينونة (عن اللّحياني)وكراع، و الكينونة من مصدر كان يكون أحسن ."والمكان : الموضع، والجمع أمكنة وأماكن ، توهموا الميم أصلا حتى قالوا تمكّن في المكان"[1]

كما وردت لفظة المكان في القاموس المحيط فصل الكاف باب النون" (الكون) الحدث كالكينونة والكائنة الحادثة وكوّنه أحدثه والله الأشياء أوجدها والمكان الموضع كالمكانة ج أمكنة و أماكن ومضيت مكانتي ومكينتي أي طيتي وكان ترفع الاسم وتنصب الخبر كأكتان والمصدر الكون والكيان والكينونة."[2]

يتضح من التعريفات أن المكان يحمل عدّة تعريفات دلالية تكاد تكون متقاربة على أنه الموضع وجمعه أمكنة و أماكن.

وذكرت لفظة المكان في القرآن الكريم في سياقات عديدة تدل أحيانا على الموضع أو المستقر أو المنزلة والمكانة. ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى،﴿ *وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ*﴾ سورة يونس الآية22، وقوله تعالى ﴿وإِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ ، سورة الفرقان الآية 41، وقوله تعالى﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ سورة الفرقان الآية 13 وقوله تعالى ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ سورة ق الآية 4 ﴿ *وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا* ﴾ سورة مريم الآية57، وقوله تعالى﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ سورة مريم الآية 75.

كما ورد مفهوم المكان في المعجم الفلسفي بمعنى الموضع " المكان الموضع وجمع أمكنة وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم تقول مكان فسيح ومكان ضيّق وهو مرادف للامتداد"[3]

يتضح من التعريفات السابقة أنّها تتفق على أن المكان يعني الموضع ولها دلالات عديدة منها المنزلة والمكانة الرّفيعة، المحل، القوة، الثبات والوجود في مكان ما.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة، المجلد الخامس، دت.، ص 3960-3961.

[2]- فيروز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج4، ط3، 1980، ص259-260.

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1999، ص412.

هذا ونشير إلى أنّ "للمكان مرادفات تستعمل في اللغة للدلالة عليها منها: المحل. الأين. الملأ. الحيّز . الموضع الخلاء "[1]، كما أنّ المعاجم اللّغوية العربية لم تتناول هذه المفردات إلاّ من جانب اللّغة و اشتقاقها.

يتوضح لنا مما سبق أن لفظة المكان قد وردت في العديد من الاستعمالات ولها دلالات عديدة وواسعة لا يمكن حصرها .

- طاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة والمكان التعبير- التأويل- النقد، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، [1]ط1، 2002، ص 22.

2- اصطلاحا :

المكان من المفاهيم التي أثارت اهتمام النقاد و الدارسين بحكم استعمالاته العديدة ودلالاته الواسعة فاختلفوا حول مفهومه الأمر الذي أفرز تباينا على مستوى المفهوم والتعريف ، وأفضى إلى تعسر إيجاد تعريف شامل جامع مانع، ويعد غاستون باشلار في كتابه شعرية الفضاء ممن ساهم في إبراز المكان و إعطائه دلالة داخل النّص الروائي ، فقد ركز على مفهوم المكان باعتباره صورة فنّية، وسماه "المكان الأليف وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه ، أي بيت الطفولة .إنّه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا. فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنّية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة" .[1]، فالمكان عند غاستون باشلارالمكان الأليف الذي ولدنا فيه وتربينا فيه، الذي يحوي ذكريات الطفولة فهوالبيت القديم الذي عشنا فيه طفولتنا ومارسنا فيه أحلامنا.

المكان عند غاستون باشلار بيت الطفولة، مكان الألفة ومركز تكييف الخيال،إنّه ذلك المكان الذي نستعيده بخيالنا من خلال ذكريات الطفولة، وتلك الذكريات الراسخة في خيالنا فتمنحنا الإحساس بالطمأنينة والحماية والأمن الذي يوفرهم لنا البيت القديم المتمثل في بيت الطفولة، ومن خلال تذكره تتخذ صفات وملامح المكان طابعا ذاتيا وينتفي بعدها الهندسي فالبيت هو أكثر الأماكن التي يتعلق بها الإنسان وهو مكان الألفة والطمأنينة "وإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان"[2]،ذلك أنّ المكان يعكس الإنسان المتواجد به، ويصفه من خلال مايحيط به، فالمكان يعبر عنه وعن وجوده، كما أنّ " المكان قريب من الإنسان.. لصيق به.. إنه العالم الخارجي الذي يجسد الاحساس بالأشياء والتعامل معها والتآلف والانسجام والنفور من بعضها"[3]،فالإنسان تربطه بالمكان علاقة متينة ووطيدة وحميمية تبقى راسخة في ذاكرته، وتولد لديه أحاسيس ومشاعر تربطه به، خاصة إذا كان هذا المكان الذي نشأ وترعرع فيه وعاش فيه صباه وطفولته وحياته، فتنشأ علاقته بالمكان وتعلقّه به، وتتولد لديه أحاسيس اتجاهه .و"لأنّ إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي، وصراعه معه ماهو إلا تأكيد لذاته وتأصيل لهويته، فبقدر إحساس

[1]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط2، 1984،ص6.

[2]-عثمان بدوي، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، .الجزائر، ط1، 2000، ص91.

[3]- طاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة والمكان، ص16.

الإنسان بالمكان تكمن أهميته ووجوده (...)لأنّ وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره، فلا تكسب الذّات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجودة فيه"[1]، فالانسان مرتبط بالمكان ومتعلق به.

كما أنّ المكان عند غاستون باشلار ليس ذلك البناء الشكلي وإنما هو ذلك العنصر الفني الذي يتوافق عليه خيال المؤلف والمتلقي مع مراعاة الحالة النّفسية .[2]،

لقد ارتبط الإنسان بالمكان منذ وجوده في الحياة، فهو في رحلة بحث دائمة وتنقل مستمر من مكان إلى مكان.

كما أنّالتجربة البشرية مجموعة أمكنة ، فهو جزء لا يتجزأ من كل الوجود في حركته وسكونه ف"المكان هو حاضن الوجود الإنساني وشرطه الرّئيسي"[3].

وفي هذا الصدد تقول فتيحة كحلوش" إنّ السؤال عن المكان مرتبط في الواقع بالسؤال عن الوجود الإنساني، هذا الوجود الذي تحقق دوما في ظل مكان حيث كان رحم الأم هو المكان الأوّل الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بآخر، ثم جاء المهد، ثم البيت، ثم الشارع، ثم المدرسة، ثم المدينة أو القرية، ثم أمكنة أخرى يكون آخرها القبر"[4]، فالإنسان منذ وجودهفي هذا الكون وهو في رحلة بحث وحركة دائمة من مكان إلى مكان آخر، وفي تنقل مستمر يبحث عن كيانه ووجوده في المكان، فهو مرتبط به ولا وجود له خارجه.

ويرى يوري لوتمان أنّ المكان " حقيقة معيشة، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه. فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي. ويحمل المكان في طياته قيما تنتج من التنظيم المعماري، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي، فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على النّاس الذين يلجون إليه ، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة: فهناك تعارض شائع بين المكان المتسع الذي يرتبط بالقفر والفراغ والبرودة وهو مكان يوحي بذوبان الكيان وتلاشيه، فالإنسان يتيه فيه، ويفقد نفسه، وبين المكان الضيق الذي يرتبط بالدفء والألفة والحماية حيث يتم التعارف بين النّاس. ويحمل مجموع سلوكنا قيمة معينة من

[1]- صبيحة زعرب عودة، غسان كنفاني-جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص95.

[2]- ينظر: جماليات المكان، غاستون باشلار، ص30.

[3]- عبد الحميد المحايدن، جدلية المكان والزّمان و الإنسان في الرّواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2001، ص20.

[4]- فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص17.

خلال وظيفة الأماكن التي نمارس فيها هذا السلوك: فالأماكن الدينية تفرض علينا ارتداء ملابس محتشمة والكلام بصوت خفيض، وكذا المكان الذي نعمل فيه له متطلباته ."[1]

فالمكان حسب يوري لوتمانحقيقة معيشة يحمل قيّمًا تَنتج من التنظيم المعماري والاجتماعي،و لكل مكان خصوصياته التي ينفرد بها وله دلالات خاصة به، فالمكان يؤثر على الإنسان بنفس القدر إلي يؤثرون فيه ولا وجود لمكان فارغ ، فكل مكان يحمل قيما وخصوصيات خاصة به، و يفرض سلوكا خاصا على الناس المتواجدين به ، كما يرى أن هناك أنواع من الأمكنة، وهناك تعارض بين هذه الأمكنة ، فهناك التي تتسم بالاتساع وهناك التي تتميز بالقفر والفراغ والبرودة وأن الإنسان يفقد فيه نفسه ويتيه فيه ، في حين الأماكن الضيقة تتسم بالألفة والدفء والحماية، كما يعطينا مثالا على تفرد المكان بخصوصيته وقيمه، ويعطينا مثالا على ذلك الأماكن الدينية التي تفرض سلوكا وقيما خاصةبه، و مكان آخر كذلك له خصوصيته مثل مكان العمل الذي له متطلباته وشروطه، فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير وتأثر، كما أنه يخضع لقواعده، ف " العلاقة بين الإنسان والمكان من هذا المنحنى تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحريّة، وتصبح الحريّة في هذا المضمار هي مجموع الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها "[2].

كما أنّ المكان يفرض سلطته على ساكنيه، ويخضعهم لطقوسه وقوانينه، كما يرتبط الإنسان بالمكان ويتعلّق به فتحكمه علاقة وطيدة، بحيث يصبح على صلة وثيقة به ومرتبط به، فيؤثر فيه ويتأثر به، كما أن للمكان تأثير كبير عليه وعلى مرجعياته و سلوكاته، وبذلك يخضع لهذا المكان الذي يعيش فيه ويخضع لقيوده وسلطته.

كما يعرف يوري لوتمان المكان بأنّه: "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيّرة...تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة والعادية مثل الاتصال والمسافة"[3]، ويضيف أن للمكان تأثير كبير على مرجعيات وسلوك الإنسان بقوله" أنّ نماذج العالم الاجتماعية والدينيّة والسياسيّة والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان على مراحل تاريخية على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به تقول إنّ هذه النماذج تنطوي دوما تحت سمات مكانية"[4] .

يتوضح من خلال ماسبق أن المكان عند يوري لوتمان له خصوصيته التي يتفرد بها، وهذه الخصوصية هي التي تميزه عن باقي الأمكنة الأخرى، وأنّ له قيمه التي يفرضها على الإنسان ويخضعه لطقوسه وقوانينه.

1- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد 6، 1986، ص 63.

2- سيزا قاسم، القارئ والنص والعلامة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، دط، 2002، ص 45.

3- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني(المكان والدلالة)، تر جمة: سيزا قاسم، ص 89.

4- المرجع نفسه، ص 89.

وتجدر الاشارة إلى أنّ المكان في الأدب " ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده أبعاد وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة، كما هو الشأن بالنسبة للأمثلة الجغرافية ذات الحضور الطبوغرافي وإنّما يشكل في التجربة الأدبيّة انطلاقا واستجابة لما عاشه وعايشه الأديب على مستوى اللحظة الآتية ماثلا بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التّخيل بملامحه وظلاله ."[1]

أما سيزا قاسم فقد اعتبرته "الإطار أو الخلفية التي تجري أحداث الرواية"[2] وهذا ما أكده عثمان بدري بقوله " أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية "[3]

وتقول سيزا قاسم "أن مكان الرواية ليس المكان الطبيعي. فالنّص الرّوائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميّزة"[4]، فهو مكان تخيلي يخلقه الروائي ويشكله عن طريق اللغة.

إنّ المكان في الأدب ليس هو المكان الواقعي الحقيقي، الذي يخضع لأبعاد وقياسات وحدود، وإنما المقصودبه هو ذلك المكان الذي يصنعه الأديب انطلاقا من تجربته الأدبية، لكل ما عاشه وعايشه بكل تفاصيله ومعالمه، ويصنعه كإطار تجري فيه هذه الأحداث. فالمكان الروائي الإطار والخلفية التي تجري فيها أحداث الرواية، فهو مكان تخيّلي غير واقعي يتشكل عن طريق اللغة التي يرسم بها الأديب عالمه الروائي من نسج أفكاره وخياله.

ويرى ياسين النصير بأنّ المكان له مفهوم واضح يتلخص في " أنّه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي خلاصة التّفاعل بين الإنسان ومجتمعه ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه" [5]، فالانسان يتفاعل مع المكان الذي يعيش فيه ويتأثر به بقدر ما يؤثر فيه .

من خلال التعريف نرى أن ياسين النصير يعتبر المكان كيان اجتماعي شأنه شأن أيّ نتاج اجتماعي آخر يحمل أخلاقيات وأفكار ووعي ساكنيه فهو خلاصة التفاعل الحاصل بين الإنسان والمجتمع، فالإنسان يتأثر بالمكان والمحيط الذي يعيش فيه ويؤثر على سلوكه وعلاقاته في المجتمع، كما أن للمكان سطوته وخصوصيته التي يخضع لها ويؤثر في تربيته وثقافته ووعيه، شأنه في ذلك شأن أي نتاج اجتماعي .

---

[1]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1، 2008، ص181.

[2]-ينظر سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004، ص106

[3]- عثمان بدوي، بناء الشخصية الرئيسة في روايا ت نجيب محفوظ، ط1، القاهرة،1986،ص115.

[4]- سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 104.

[5]-ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986،ص 16.

هذا ويضيف أنه " ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه. مخاوفه وآماله وأسراره وكل ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل...ومن خلال الأمكنة تستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة. أي المكان من خلال منظور التاريخ."[1]

إنّ الإنسان على صلة حميمية ووثيقة بالمكان الذي سجل عليه تاريخه بكل آماله وآلامه وكل ما يتصل به ليورثه إلى المستقبل، كما أنّه من خلال هذه الأماكن التي تواجد فيها يمكن قراءة سيكولوجيته وطريقة حياته وكيف تعامل مع هذه الطبيعة وكأن هذا المكان سجل تاريخي لهذا الإنسان الذي تواجد بالمكان وسجل عليه كل ما يتعلق به ، فهو جزأ لا يتجزأ من حياته يسجل فيه ثقافته وتفكيره وذكرياته، فهو يحوي حاضره وماضيه.

ويضيف أنّ "المكان في العمل الفني شخصية متماسكة، ومسافة مقاسة بالكلمات ورواية غائرة في الذات الاجتماعية ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا. بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلّما كان متداخلا بالعمل الفنّي."[2] و أنّه " الجغرافية الخلاقة في العمل الفنّي وإذا كانت الرؤية السابقة له محدّدة باحتوائه على الأحداث الجارية، فهو الآن جزء من الحدث وخاضع خضوعا كليّا له، فهو وسيلة لا غاية تشكيلية، ولكنّها وسيلة فاعلة في الحدث، وسيلة محتوية على تاريخية الحدث."[3]،اذن فالمكان لم يعد فقط ذلك المسرح والديكور الذي تقع عليه الأحداث بل هو أكثر من ذلك إنّه ذلك الوعاء الذي يحوي كل المكونات السردية وتفاعلها مع بعضها البعض، كما تزداد قيمته كلما كان متداخلا في العمل الفني ، فهو "مكون محوري في السرد بحيث لايمكن تصور حكاية دون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان ذلك أنّ كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"[4].

إنّ المكان مكون أساسي ومحوري في السرد بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، ولا يمكن تصور حكاية دون وجود مكان تجري فيه أحداثها وتتحرك فيه شخصياتها، وتزداد قيمته كلما كان متداخلا مع المكونات السردية الأخرى وتفاعل معها.

---

[1]- ياسين النصير، الرواية والمكان، ص17.

[2]-المرجع نفسه، ص 17.

[3]- المرجع نفسه، ص 18

[4]- ضياء الغني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1،، 2010، ص117.

و"لعلّ دراسة غالب هالسا للمكان في الرّواية العربيّة هي أولى الدّراسات التي تناولت المكان باعتباره عنصرا حكائيا مهما في الرّواية. وقد تطرق الباحث إلى علاقة التأثير المتبادل بين المكان والسّكان، وبيّن أنّ المكان ليس ساكنا، بل هو قابل للتغيير بفعل الزّمان"[1]

يعتبر غالب هالسا المكان عنصرا حكائيا مهما في الرواية وهو ليس ساكنا بل قابل للتغيير بفعل الزمان، وقد تأثر في دراسته بكتاب شعرية المكان لغاستون باشلار الذي ترجمه إلى جماليات المكان، وهو يعتبر المكان " العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض"[2]، بحيث لا يمكن تصور العمل الأدبي دونه ذلك أنّ المكان يمثل البعد المادي للواقع، أيّ الحيّز الذي تجري فيه- لا عليه- الأحدث ولا مبالغة أنّ يعدّ من المكونات الأوليّة لبناء أيّ نص سّردي، سواء أكان هذا النّص قصيرة، أم رواية أم قصة طويلة".[3]

فالمكان ليس مجردا هندسيا، والرّوائي لا يتعامل مع المكان بصورة مجردة ف"مكان الرواية ليس هو المكان الطبيعي ، فالنص يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميّزة"[4]

فالمكان الروائي هو مكان تخييلي غير واقعي يتشكل عن طريق اللغة والكلمات التي يرسم بها الكاتب عالمه الروائي ويخلق مكانا خياليا ، وهذا ما يؤكده يوري لوتمان بأنّ" اللغة أداة من أدوات الثقافة ويسميها بنظام النمذجة الأولى ونظام تخلق انساق دلالية"[5]

يتوضح أن المكان في الرواية هو مكان تخييلي غير واقعي يصنع عن طريق اللغة التي يرسم بها الأديب عالمه الروائي فيخلق مكانا خياليا له مقوماته ومميزاته الخاصة به.

هذا ونشير إلى أن دراسة غالب هالسا كانت أول الدراسات العربية التي تناولت المكان متأثرا في ذلك بدراسة كتاب غاستون باشلار الذي قام بترجمته إلى اللغة العربية، وقد نبهت هذه الدراسة النقاد والباحثين إلى أهمية المكان في الابداع الروائي العربي.[6]، وكانت هناك العديد من المقاربات النقدية العربية التي اهتمت بالمكان وان كانت قد تباينت اتجاهاتها واختلفت مناهجها، إلا أنّها تتفق على وجود المكان

---

[1] - محمد عزام فضاء النّص الرّوائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1،، 1996، ص 111.

[2] - غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب، بيروت، ع 2-3، 1980، ص05.

[3] - عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط، 2015، ص18.

[4] -سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 75.

[5] - ينظر: يوري يوتمان، جماليات المكان جماعة مؤلفين، ترجمة: سيزا قاسم، ص 64.

[6] - ينظر: محمد عزام، فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، ص111

وأهميته في الأبداع الأدبي، كما نبّهت إلى ضرورة الإهتمام بهذا العنصر السردي ودوره الفعال في سيرورة البنية الحكائية للرواية وتطورها.

3- **فلسفيا :**

مفهوم المكان أثار إهتمام العديد من الفلاسفة والعلماء قديما وحديثا، فقدّم الفلاسفة تعريفات عديدة له، فأفلاطون"يعدّه الحاوي للأشياء. ومن صفاته أنّه على استعداد لقبول أي حركة وأي شكل من الأشكال.

ويرى أريسطو أنّ لكل جسم مكانا خاصا يشغله. وعرّفه بأنه (نهاية الجسم المحيط) ويحدّده بشكل أكثر تفصيلا فيراه (سطح الجسم الحاوي أعلى السطح الباطن المماس للحاوي)"[1] ، وقسم المكان إلى قسمين عام وخاص" فالعام هو الذي فيه الأجسام كلّها والخاص وهو أوّل ما فيه الشيء وهو الذي يحويك وحدك لا أكثر منك ويشكل المكان العام الأمكنة الخاصة. أما المكان الخاص فلا يحوي أكثر من جسم في زمان واحد"[2]

ويرى "اقليدس 300-246 ق.م أنّ المكان ثلاثي الأبعاد (الطول والعرض والعمق).

أما فلاسفة وحكماء المسلمين الذين اهتموا بالمكان نجد الكندي الذي عرفه بأنّه التقاء أفقي المحيط والمحاط به وتأثر الفارابي بآراء الكندي وأكّد أنّ المكان موجود بيّن ولا يمكن إنكاره، إذ لا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به"[3].

يتضح أن الفارابي تأثر بالكندي وأكّد وجود المكان وأنه لايمكن تصور وجود جسم دون مكان خاص به . وهذا ما ذهب إليه "أخوان الصفا، وفلاسفة آخرين كالسجستاني وأبي حيان التوحيدي وابن مسكويه، في حين اختلف عنهم أبوبكر الرّازي والحسن ابن الهيثم"[4].

إن المكان في الفلسفة ماهو إلا تصور عقلي وهو مايحل فيه الشيء أو يحويه، ولكل جسم مكان خاص به ولا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان.

ويرى ابن سينا (970م-1036م) أن المكان متعلق بالحركة وهذه الأخيرة متعلقة بالزمان فالمكان عنده المسافة الممتدة بين نقطة البداية والنهاية وهذه المسافة لا تكون إلا بالحركة، والتي لا تكون إلا في زمان معين".[5]

---

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط1، 2013، ص29.

[2]- إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دط، 2012، ص196.

[3]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص30.

[4]- إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا، ص 196.

[5]- محمد علي الجندي، اشكالية الزمان في فلسفة الكندي، مكتبة الزهراء، مصر،ط1، 1991، ص60.

إذن المكان عند ابن سينا يحتوي الزمان والحركة وهو أعم من الزمان وهو موجود وثابت.

ونشير إلى أن دراسة المكان "وإبراز قيمته متفرعة من أصول فلسفية موغلة في القدم، تنسب بطبيعتها إلى الفلسفتين اليونانية والعربية، إلاّ أنّ وضوح نظريته وتكاملها كان على يد الفيلسوف العربي (إبن سينا) الذي أفاد كثيرا من الاتجاه الأرسطي قبله في تعريف المكان وتحليل طبيعته، ومن جهود الفلاسفة العرب أيضا الذين سبقوه في هذا المجال"[1]

كما ورد في المعجم الفلسفي أنّ: " المكان وسط غير محدّد يشتمل على الأشياء، وهو متصل ومتجانس لا نميّز بين أجزائه، فهو تصور عقلي محيط بجميع الأجسام، إذ جمع بين الزّمان والمكان في تصور واحد نشأ عنها مفهوم جديد هو المكان الزّماني، وله أربعة أبعاد هي: الطول، العرض، الارتفاع، والزمان"[2].

يتضح مما سبق أن الفلاسفة منذ القديم اهتموا بمفهوم المكان وقدموا تعريفات عديدة على الرغم من اختلاف رؤاهم وتصوراتهم الفلسفية و أكدوا على وجود المكان وأنه لا يمكن إنكاره .

[1]- نفلة حسن أحمد العزّي، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات،المكتب الجامعي الحديث، دار الكتب والوثائق القومية، الأزاريطة، الإسكندرية، دط،2012، ص195.

[2]- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامةلشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983، ص191.

ثانيا- المكان والفضاء:

إهتمت الدراسات العربية الحديثة بمصطلح المكان والمصطلحات المشابهة له، وحاولت ضبط هذه المفاهيم وتحري الدقة في التعامل النقدي معها، فالبعض إستعملها كمرادف والبعض الآخر يراها مختلفة في المفهوم، كما أثارت هذه المصطلحات إشكاليات نقدية ومعرفية وهذا ما أشار إليه العديد من النقاد والدارسين أمثال حميد لحميداني وحسن نجمي وعبد المالك مرتاض وغيرهم ممن حاولوا التمييز والتفرقة بين مصطلحي المكان والفضاء.

يرى حسن نجمي أنّ المكان أصبح يشكل هويّة من هويّات الخطاب الرّوائي ويوضح "أنّ النقد العربي قد قصر في طرح سؤال الفضاء الأدبي لاعتبارات كثيرة، ومنها بالأساس ذيليته للنقد الغربي في توجهاته المتعدّدة"[1] ، فالاهتمام بالمكان جاء متأخرا وذلك بعد تأثره بالفكر الغربي ونظرياته ويتفق معه في ذلك عبد المالك مرتاض في قوله بتأخر ظهور مصطلح المكان في النّقد العربي والتّنظير له، هذا وقد اختلفت المصطلحات من باحث إلى آخر (مكان، فضاء، حيّز) و، هذا ما ذهب إليه حميد لحمداني حيث يقول أنّه" لم نصادف ضمن الأبحاث التي اطلعنا عليها دراسة تميّز بشكل دقيق بين الفضاء، والمكان ويبدو أنّ هذا التمييز ضروري".[2]

كما صرّح حسن نجمي في كتابه شعرية الفضاء ضرورة الإنتباه إلى "فرق الهواء القائم بين المكان والفضاء وتصحيح خطأ الترجمة الذي وقع فيه غالب هالسا عند ترجمته لكتاب غاستون باشلار من جماليات المكان إلى شعرية المكان و يدعو الناقد العربي الى ضرورة الانتباه للفرق القائم بين المكان والفضاء، وأن يعاد ترتيب العلاقة بين المفهومين "[3]

يرى حسن نجمي أن هناك فرق بين المفهومين وأنّه لا بد من التفرقة بينهما، وأشار إلى ترجمة غالب هالسا شعرية المكان لغاستون باشلار والتي كانت سببا في الخلط الذي وقع فيه العديد من الباحثين وعدم التفرقة بين المصطلحين: الفضاء والمكان واستعمالهما كمرادف، لذلك يدعو النقاد الى ضرورة التفرقة والتمييز بين المصطلحين.

وتوافقه الرأي سيزا قاسم في كتابها بناء الرواية التي ميّزت هي الأخرى بين الفضاء والمكان بقولها أنّه "قد اكتفى النّقاد الكلاسيكيون في اللّغات الثلاث باستخدام كلمة المكان /lieu/place للدلالة على كل

---

[1]- حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، بيروت، ط1، 2000 ،ص 52.

[2]- حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،ط3، 2000 ، ص 63.

[3]-ينظر: حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، ص 6.

أنواع المكان حيث لم يكن معنى الفراغ (الفضاء) بمفهومه الحديث قد نشأ بعد. وبينما ضاق الفرنسيون بمحدودية كلمة (lieu) (الموقع) فبدأوباستخدام كلمة (espace) (فراغ) لم يرض نقاد الانجليزية عن اتساع space/place (مكان/فراغ) وأضافوا استخدام كلمة(location) (بقعة) للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد المكاني: احداهما محدّد ويتركز فيه مكان وقوع الحدث والآخر أكثر اتساعا ويعبّر عن الفراغ المتّسع الذي تنكشف فيه أحداث الرّواية "[1]

يتضح انّ سيزا قاسم تتفق مع حسن نجمي فيإعتبار كل من الفضاء والمكان مصطلحين مختلفين ولابد من التفرقة والتميز بينهما ، و هي ترى أنّ المكان هو الإطار الذي تقع وتجري فيه الأحداث وهو يختلف عن الفضاء الذي يتميز بإتساعه وشموله وتنكشف فيه كل أحداث الرّواية .

أمّا عبد المالك مرتاض "يعتبر مصطلح الفضاء(espace) من المصطلحات المتداولة في ميدان الدراسات النقدية الحديثة التي أولته اهتماما كبيرا باعتباره المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر"[2]

يرى عبد المالك مرتاض أنّ الفضاء من المصطلحات النقدية الحديثة التي شاعت بين الكثير من النقاد العرب المعاصرين في المجال النقدي ، وأنّه يفضل استعمال مصطلح الحيّز ويعلّل هذا بقوله "لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيّز مقابلا للمصطلحين الفرنسي والانجليزي (espace,space) في كل كتاباتنا الأخيرة وقد حاولنا أن نذكر في كل مرة عرضنا فيها لهذا المفهوم علّة إيثارنا مصطلح الحيّز وليس الفضاءالذي يشيع في الكتابات النقدية العربية المعاصرة"[3]، ويرى أن مصطلح الفضاء " قاصر بالقياس إلى الحيّز، لأنّ الفضاء من الضّرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيّز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء، والوزن والثقل، والحجم، والشكل...، على حين أنّ المكان نريد أن نقفه في العمل الرّوائي، على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده"[4]

يتضح أنّ الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض ربط المكان بالحيّز وفضل استعمال مصطلح الحيّز وإيثاره على مصطلح الفضاء وهو يطلقه على كل فضاء جغرافي .

---

[1]- سيزا قاسم، بناء الرّواية مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985، ص 106.

[2]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية.بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة.ع 140، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص122

[3]- المرجع نفسه، ص 121.

[4]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية –بحث في تقنيات السّرد، ص121.

وفي نفس السياق يؤكد حميد لحمداني أنّ " الدراسات الموجودة حول هذا الموضوع، لا تقدّم مفهوما واحدا للفضاء، فمنها ما يقدّم تصورين أو ثلاثة ومنها ما يقتصر على تصور واحد"[1]

ويقول أنه "لم نصادف ضمن الأبحاث التي اطلعنا عليها دراسة تميّز بشكل دقيق بين الفضاء، والمكان ويبدو أنّ هذا التمييز ضروري"[2].

ويوافقه الرأي سعيد يقطين في التمييز بين المصطلحين بقوله " إنّ الفضاء أهم من المكان، لأنّه يشير إلى ماهو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسيا، إنّه يسمح لنا بالبحث على فضاءات تتعدّى المحدود والمجسّد لمعانقة التخييلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء"[3]

نلاحظ أن سعيد يقطين ميّز بين المصطلحين وفرق بينهما، وجعل الفضاء أهم من المكان كونه أوسع منه ولأنّه يتميز بالعمق والشمولية وأن المكان أحد الركائز المشكلة للفضاء.

يتضح أن الفضاء والمكان مصطلحين مختلفين في المفهوم وإن كانا على صلة وثيقة "يختلف مفهوم المكان عن مفهوم آخر يشاركه في المصطلح(space) إذ يشير المفهوم الآخر للمصطلح إلى (الفضاء) الروائي، بوصفه يتعلق بما تشغله الكتابة على صعيد الطباعة ومساحة الصفحة الورقية، ويدخل في ذلك العلامات الدالة على العنوان وبدايات الفصول وتشكيل الفراغات والأشكال الهندسية، وغيرها"[4].

كما يقول سمر روحي أنّ" الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحان بينهما صلة وثيقة، وإن كان مفهومها مختلفا، فالمكان الروائي حين يطلق من أي قيد يدل على المكان داخل الرواية سواء أكان مكانا واحدا أم أمكنة عدّة، ولكنّنا حين نضع مصطلح المكان في مقابل الفضاء بغية التّمييز بين مفهومها فإنّنا نقصد بالمكان المكان الرّوائي المفرد ليس غير، ونقصد بالفضاء الرّوائي أمكنة الرّواية جميعها"[5].

وتؤيده الرّأي أوريدة عبود بقولها :" ومجموع هذه الأمكنة يمكن أن يطلق عليها من الوجهة المنطقية اسم (الفضاء) لأنّ الفضاء أشمل وأوسع من الدّلالة الثابتة للمكان "[6]

---

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3،2000، ص53

[2]- المرجع نفسه، ص 63.

[3]- سعيد يقطين، قال الراوي "البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997، ص 240.

[4]- محمد مصطفى علي حسانين، استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل رواية (السفينة)لجبرا ابراهيم جبرا،دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة،2003، ص 12.

[5]- سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية-مقاربة نقدية، إتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2003، ص 74.

[6]- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، 2009، ص 40.

اتفقت الآراء السابقة على أنّ الفضاء والمكان مصطلحين مختلفين، فالمكان محدّد ومتنوع، وهو مكون للفضاء وجزء منه، أما لفضاء فيحوي أمكنة الرواية جميعها وهو أوسع وأشمل من المكان .

و"يشير مصطلح المكان(spaceبالانجليزية وEspace بالفرنسية) في الخطاب الرّوائي إلى مفهوم إجرائي، يتشكل من خلال البنية الوصفية المسرودة ، والتي تنقله إلينا لغة التخييل، ليعبّر عن أبعاد مصنوعة بواسطة الألفاظ تخدم هذه الأبعاد حركة السّرد في كليتها، وفي تتابعها وتواليها، ولاتنفصل في الوقت ذاته عن المستويات الإشارية والرّمزية، التي يسعى المحكي إلى تجديرها باللّغة "[1]

كما عرّف أحمد مرشد الفضاء بقوله:" هو مجموع الأماكن الروائية التي تمّ بناؤها في النّص الروائي والتي يطلق عليها اسم فضاء الرّواية"[2].

ويقول حميد لحمداني" إنّ مجموع هذه الأمكنة، هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية، لأنّ الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء.ومادامت الأمكنة في الرّوايات غالبا ماتكون متعدّدة، ومتفاوتة، فإنّ فضاء الرّواية هو الذي يلفها جميعا إنّه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشّارع، أو السّاحة كل واحد منها يعتبر مكانا محدّدا، ولكن إذا كانت الرّواية تشمل هذه الأشياء كلّها، فإنّها جميعا تشكل فضاء الرّواية."[3]

هذا ويضيف أنّ" الفضاء يتخذ أربعة أشكال:

الفضاء الجغرافي: وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنّه الفضاء الذي تتحرّك فيه الأبطال، أو يفترض أنّهم يتحركون فيه.

فضاء النّص: وهو فضاء مكاني أيضا، غير أنّه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الرّوائية أو الحكائية-باعتبارها أحرفا طباعية- على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب.

الفضاء الدلالي: ويشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي أو ما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدّلالة المجازية بشكل عام .

الفضاء كمنظور: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الرّاوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح."[4].

---

[1]- محمد مصطفى علي حسانين، استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل(رواية السفينة)لجبرا ابراهيم جبرا نمودجا-دراسة نقدية-، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، 2003، ص 10.

[2]- أحمد مرشد، البنية والدّلالة في روايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط1،، 1991، ص 63.

[3]- حميد لحمداني، بنية النص الروائي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

[4]- المرجع نفسه، ص62.

الفضاء عند لحمداني أوسع وأشمل من المكان وله أربعة أشكال كما أنه مجموعة من الأمكنة .

ويقول " إنّ الفضاء في الرّواية هو أوسع وأشمل من المكان، إنّه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الرّوائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تمّ تصويرها بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كلّ حركة حكائية"[1]

يتضح من خلال التعريف أنّ النّاقد حميد لحمداني يرى أنّ المكان مكون الفضاءالروائي، وهو يشمل ، مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية كيفما كان نوعها، ويتخذ أربعة أشكال هي الفضاء الجغرافي، الفضاء النصي، الفضاء الدّلالي والفضاء كمنظور. وأنّ الفضاء أوسع وأشمل من المكان، وهذا ما ذهب إليه كذلك ابراهيم عباس باعتبار المكان مكون للفضاء ويتفق مع حميد لحمداني في ذلك بقوله" أنّ المكان هو مكون الفضاء ولما كان هذا المكان دوما متعدّد الأوجه والأشكال فإنّ فضاء الرّواية هو الذي يلفها جميعا، إنّه الأفق الرّحب الذي يجمع جميع الأحداث الرّوائية فالمقهى والشارع والمنزل والسّاحة كل واحد منها يعتبر مكانا محدّدا، إذا كانت الرّواية تشمل هذه الأشياء كلّها فإنّها جميعا تشكل شيئا إسمه فضاء الرّواية"[2]،كما يؤكد في نفس السياق حسن نجمي أنّ "الفضاء بحاجة على الدّوام للمكان"[3]"، و"أنّ الفضاء موجود على امتداد الخط السردي، إنّه لا يعيب مطلقا حتى ولو كانت الرّواية بلا أمكنة، الفضاء حاضر في اللّغة في التّركيب، في حركية الشخصيات وفي الإيقاع الجمالي لبنية النّص الروائي"[4]

يتجلى مما سبق أنّ الفضاء يتسم بالشمولية و الاتساع، أما المكان فهو جزء منه وهو مكان محدد كالمنازل والمقاهي والشوارع والأحياء والساحات، فهومتنوع وأساسي في العمل السردي والفضاء يحتويها كلّها، كما أنه المنظم للعناصر الروائية الأخرى فهو يشمل المكان والأحداث والشخصيات واللّغة والإيقاع الجمالي لبنية النص الروائي ويلفها جميعا .

أما حسن بحراوي فقد جعل مصطلح المكان مطابقا للفضاء واعتبر المصطلحين مفهومين متطابقين في كتابه بنية الشكل الروائي ويقول: "إنّ الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى، لا يوجد إلا من خلال اللّغة، فهو فضاء لفظي بامتياز...إنّه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب، ولذلك

---

[1]- المرجع السابق، ص 64.

[2]- إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 33.

[3]- حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل، ص42.

[4]- المرجع نفسه، ص65.

فهو يشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه، ويحمله طابعا مطابقا... لمبدأ المكان نفسه".[1]

نلاحظ من خلال التعريف أن حسن بحراوي قد زاوج بين المصطلحين واعتبرهما مصطلحين متطابقين، فهو يرى أنّ الفضاء أو المكان مثله مثل المكونات السردية الأخرى يخلقه الروائي ويتشكل من خلال اللّغة، ونشير إلى أنّ ماقدمته الدراسات العربية بخصوص الفضاء وتميّزه عن المكان ماهي إلا مجرد إجتهادات لم تصل إلى التنظير أو وضع إجراءات محدّدة يستطيع الناقد الإستناد إليها، فهي مجرد إجتهادات حاولوا من خلالها التمييز بينهما وعدم الخلط بين المصطلحين والتفريق بين المفهومين .

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 27.

ثالثا: أهمية المكان في العمل الروائي :

يعدّ المكان من المكونات الرئيسة في الرواية التي لها دور فعال في العمل السردي وسيرورته، بحيث لايمكن تصور أحداث وشخصيات دون وجوده، فهو يعدّ " أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النّص الروائي، لكونه يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث الرّوائي، والشخصية الروائية في الوقت نفسه، ولهذا يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكي، لأنّ الحدث الرّوائي لا يمكن يتم في الفراغ، بل لابدّ من مكان يقع فيه، كي يأخذ مصداقيته، وتتمّ عملية تبليغه بنوع من المصداقية إلى المتلقي. ولكون النّص الرّوائي يتسم بتنوّع الأحداث، وتغيّرها، يقتضي هذا الأمر تعدّد الأماكن، وتنوّع تجلياتها حسب الثّيمات التي تتوالى في الحكاية"[1]

فالمكان لم يعد فقط تلك الخلفية التي تقع فيها الأحداث فحسب، وإنما هو عنصر حكائي قائم بذاته لا يمكن الاستغناء عنه في العمل الروائي كونه يساهم في التأثير على باقي العناصر السردية الأخرى في الرواية، ويحتل حيزا كبيرا وهاما في الرواية " إذ تنبثق دراسة من كونها مرشدا إلى نماذج أكثر دلالة على الحياة، وإسهاما في تطوير الإبداع الأدبي ... كما أنّه يحتل حيّزا كبيرا وهاما في الرواية العربية، ذلك أنّه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ ودون مكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب بل وكعنصر حكائي قائم بذاته"[2]

فالمكان مكون محوري في السرد وهو عنصر حكائي قائم بذاته لا يمكن الاستغناء عنه في الإبداع الأدبي، كما تكمن أهميته في كونه العمود الفقري الذي تقوم عليه الرواية إذ أنّه "يثير إحساسا ما بالمواطنة، وإحساسا آخر بالزّمن والمحلية، حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه، فقد حمّله بعض الروائيين تاريخ بلادهم، ومطامح شخوصهم، فكان واقعا ورمزا، شرائح وقطاعات مدنا وقرى، كيانا نتلمّسه ونراه أو كيانا مبنيا في المخيّلة"[3].

فالروائي من خلال عمله الروائي يخلق كيانا وواقعا تخيليا من صنعه فيحمله آلامه وآماله، ومقاصده وأهدافه التي يتوخاها من هذا العمل الروائي وهو ما يقوم القارئ باكتشافه عند الدخول إلى هذا العالم التخيلي واكتشاف خباياه وأسراره،فيكون للمكان وقع على القارئ بنقله إليه والتأثير فيه خاصة إذا كان محملا بتاريخ بلده، فيولد لديه إحساسا بالمواطنة، وتنشأ علاقة مع المكان إما الألفة أو

[1]- أحمد مرشد، البنية والدّلالة في روايات ابراهيم نصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 128.

[2]- محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط1، 199، ص111.

[3]- ياسين النصير، إشكالية المكان في النّص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1986،1، ص 20..

العداء، ويولد لديه مشاعر وأحاسيس اتجاه المكان، "لذا يمكن اعتبار المكان في الرّواية من المداخل أو البوابات الرّئيسة التي يتمّ من خلالها الدّخول إلى النّص الرّوائي، وفهم معانيه، وتحليل رموزه، ومعرفة مايتضمّن من أفكار، وقيم، ودلالات، لأنّ العلاقة بين المكان والرّواية علاقة عميقة. فهو في الرّواية كما هو في الحياة يتبادل الأدوار معنا، فهو مرّة بداخلنا، ومرّة في الخارج، وربّما يحتوينا، ومن هذا التّبادل تنشأ علاقتنا به من حيث ألفته أو عدوانيته، يتلون هذا المكان بصور البيت أحيانا، وبصور الطبيعة أحيانا أخرى، مرّة أليفا، ومرّة عنيفا"[1].

إنّ المكان ركن من أركان العمل الروائي وله حضور بارز في الرواية العربية، فالروائي يكسبه أبعادا تاريخية واجتماعية وسياسية و نفسية، كما يكسبه أبعادا رمزية ودلالية "لذا توجه النقد الحديث لدراسته باعتباره دالا يساعد على الوصول إلى مدلول أعمق للرواية. ومن هنا نشأ ما يعرف بجمالية المكان أو شعرية المكان، ويقصد بها أنّ المكان اكتسب أبعادا رمزية ودلالية، وأنّ وصفه يشي بهذه الرموز والدلالات، ويكشف عن الأحاسيس التي تسيطر على الشخصية تجاهه ألفة أو عداء."[2]

كما أنّ "المكان يكون منظّما بنفس الدّقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها، ويقوي من نفوذها، كما يعبّر عن مقاصد المؤلف، وتغيّر الأمكنة الرّوائية سيؤدي إلى نقطة تحوّل حاسمة في الحبكة وبالتّالي في تركيب السرد والمنحنى الدرامي الذي تتخذه"[3]

المكان كباقي العناصر السردية يتسم بالدّقة وله تأثير بالغ عليها، كما أنه يساهم في تطور الأحداث وتأزمها، وفي المسار الذي يتخذه المنحنى الدرامي، إلى جانب ذلك فهو يُعبِّر عن مقاصد المؤلف فمن خلاله ينتقل من الواقع المكاني المجسّد في الواقع الجغرافي المتعيّن واقعيا إلى المتخيّل المكاني المتمثل في الواقع النّصي المتعين في السياق الروائي "لذلك يعدّ المكان السّردي متخيّلا أي معبّرا عنه بألفاظ وصيغ وحالات ورؤى وصور خيالية، تتيح مخيّلة الرّوائي للراوي استكشافه والتّعمق فيه، ومن ثمّ رسم حدوده و ملامحه"[4].

---

[1]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط،2015، ص 18.

[2]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، ص11.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي، ص32.

[4]- محمد صابر عبيد- سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008، ص229.

فالروائي يبني عالمه الروائي بناء متخيلا عن طريق اللغة، فيتفَنّن في رسم المكان وملامحه، ويُحَمّلُه أبعادا فنية وجمالية، ويُحَمِّلُ المكان مقاصده ورؤاه، وبالتالي فالمكان له دور حيوي في الرواية فهو ينقل القارئ إلى عالم آخر عالم تخيلي خيالي ويسبر في أغواره ويحاول كشف معالمه .

"فالمكان ليس عنصرا زائدا في الرّواية، فهو يتّخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كلّه"[1]

اذن المكان في الرواية لا يكون اعتباطيا أو زائدا في الرّواية، إنّما يخلقه الروائي ويجسده في عالمه الورقي عن طريق اللّغة، وينقله عبر مخيلة المتلقي أو القارئ فينقله من الواقع إلى العالم التخيلي الذي صنعه بكلماته وصنعته اللّغة وجعلت له عالم مستقل من صنع الكاتب والمتلقي معا، له خصوصيته التي يتفرّد بها عن غيره، كما أن المكان يتخذ أشكالا مختلفة ويتضمّن معاني عديدة ويحمل قِيّما ورموزا ودلالات فتنشأ جمالية المكان.

"إنّ تشخيص المكان في الرّواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنّسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، أنّه يقوم بالدّور نفسه الذي يقوم به الدّيكور، والخشبة في المسرح.وطبيعيّ أنّ أيّ حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معيّن، لذلك فالرّوائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني"[2]

فالمكان في الرّواية مثل اللّوحة الفنّية تنقل القارئ من عالم واقعي إلى عالم تخيلي ، فتنقله من عالم إلى عالم آخر، وتخلق له المُتعة من خلال الصورة المكانية بجمالياتها وتشكيلاتها الفنّية، وتعمّق الصّلة بين النّص والمتلقي ويتشارك الكاتب برؤيته، و" لأن المكان في العمل الروائي له طبيعة خاصة تخضع للخيال الذي ينقله إلى آفاق جديدة، ليحقق له الشعرية عبر الأبعاد الدلالية والرمزية التي يكتسبها من خلال علاقاته مع العناصر الروائية الأخرى من زمان وشخوص وحوادث"[3]

يتجلى أنّ للمكان حضوره في الرّواية ويساهم بشكل كبير في خلق المعنى داخل الرواية، و في نقل مقاصد الروائي أو الكاتب إلى القارئ، فيتشارك معه الرؤية، ويتعلق بالنّص فتخلق له المتعة واللذة بانتقاله إلى العالم الروائي وإيهامه بواقعيتها من خلال الأمكنة التي شكلها الروائي في الرواية، وتفنّنه في اختيارها وتوظيفها .

---

[1]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص33.

[2]- حميد لحمداني، بنية النص السّردي من منظور النقد الأدبي، ص 65

[3]- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2015، ص 21.

"فالمكان أصبح يشكل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، غير أنّه في الآونة الأخيرة لم يعد مجرّد خلفية تقع فيها الأحداث الدّرامية كما لا يعتبر معادلا ثنائيا للشخصية الرّوائية فقط، ولكن أصبح ينظر إليه على أنّه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفنّي وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا"[1]

وبالتالي المكان لم يعد فقط ذلك الإطار الذي تقع فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات،بل أصبح عنصرا فاعلا بذاته، وقد يكون أحيانا هو الهدف الأساسي والأسمى في العمل الروائي، فيتحول إلى فضاء يحوي كل العناصر الروائية، ويمنحها المناخ الذي تنفعل فيه وتعبّر عن وجهة نظرها.

هذا ويساعد المكان على تطوير بناء الرواية، ويكون مُكوّنا جماليا في الرواية عبر الأبعاد الدلالية والرّمزية التي يكتسبها بتعالقه مع العناصر السردية الأخرى، وبالتالي فهو مكون شكلي وتشكيلي في العملية الإبداعية ولا يمكن الاستغناء عنه.

يعدّ المكان أحد المكونات الرئيسة التي تحوي العناصر السردية الأخرى ، والوعاء الذي يحتضنها وتتحرك فيه، لذلك يكتسب " أهميته في الرّواية من حيث دوره في سرد الأحداث، ورسم حدوده، وأثره، إذ يتجلى من خلال الأفعال التي تقع داخله. لذلك فإنّ تحليل دلالات الأمكنة في الرّواية يساعدنا على معرفة مايريد الرّوائي إيصاله إلى المتلقي...وبهذا فإنّ المكان يدخل في صلب العملية الإبداعية ليلعب دورا كاشفا وفاعلا في صنع الأحداث وفي تقرير مصير أبطال الروايات. وهكذا يصبح المكان الرّوائي نوعا من القدر، إنّه يمسك بشخصياته، وأحداثه، ولا يدع لها إلا هامشا محدودا لحرية الحركة."[2]

وبالتالي فإن للمكان تأثير كبير على الأحداث التي تقع داخله وعلى تحرك الشخصيات وفي تطور السرد ويساهم في فهم باقي عناصر الرّواية .

إنّ المكان مكون أساسي وحيوي "لأنّ تشخيص المكان هو الذي يجعل من أحداث الرّواية بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، فهو الذي يعطيها واقعيتها، فكل فعل لا يمكن تصوّره ووقوعه إلا ضمن إطار مكاني "[3] ، فالمكان من العناصر الأساسية في العمل الروائي ويوهم القارئ بواقعية الرواية وينقله إليه فهو يعتبر " عنصرا أساسيا من عناصر السرد وعاملا مساعدا على ايصال الخطاب المنقول عن أحداث الرّواية إلى القارئ وإحداث انطباع لديه"[4] ،فالروائي من خلال توظيفه للأمكنة وتشخيصها ينقل

[1]- حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، ص 54.

[2]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، ص18-19.

[3]- ابراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 34.

[4]- المرجع نفسه، ص ن.

التفاصيل والأحداث للقارئ، ويوهمه بواقعيتها كما أنها تجعله يستكشف ذلك المكان وتحدث انطباعا لديه.

كما أن " المكان يساهم في خلق الدلالة داخل الرّواية كما هو أداة للتعبير عن رؤية الأبطال وموقفهم"[1]

يتوضح من كل ماسبق أن للمكان أهمية كبيرة في العمل الروائي ولا يمكن الاستغناء عنه، فهو يعبر عن مقاصد ورؤى الروائي، كما أنه أداة للتعبير عن موقف الأبطال، وله دور كبير في تشكيل الخطاب الروائي فالرواية "تحتاج إلى مكان ليس لوقوع الحدث فيه بل لتأثيره في الشخوص والحوادث، وقدرته على حمل الدّلالات والإشارات التي تكشف عن الحالة النفسية أو الاجتماعية لشخصية ما، أو تكشف عن أحوال سياسة وفكرية واقتصادية لشخصيات أخرى"[2]. فالمكان يكشف عن الشخصية وطبيعتها وسلوكها، ويؤثر فيها .

نستنتج أن المكان عنصر من العناصر الهامة في الرواية، وقد تحول من مجرد خلفية وإطار تقع عليها الأحداث، ومكان تتحرك الشخصيات في فضاءه إلى عنصر تشكيلي لبناء الرواية الذي قد يكون في بعض الأحيان الهدف الأساسي في العمل الروائي، وشخصية فاعلة في تطور السرد. إظافة إلى كونه مُكوِّن فنّي وجمالي، فهو يحمل أبعادا دلالية ورمزية، وتوظيفه في الرواية ليس اعتباطيا وإنما قد يكون الهدف الأسمى الذي من أجله تمت العملية الأبداعية .

- المرجع السابق، ص36.[1]

- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي خلف، ص120.[2]

رابعا- أنــواع الأمكنــة:

تختلف الأماكن الروائية في تنوعها فقد تكون مفتوحة تتسم بالإتساع، وإما تكون مغلقة تتسم بالضيق، وكل منهما يضم أنواع عدة من الأمكنة المختلفة والمتنوعة، وعلى هذا الأساس قمنا بتقسيم المكان إلى نوعين :

أماكن مفتوحة وتشمل المدن والقرى والشّوارع والأحياء والساحات الشاسعة، والبحر.

وأماكن مغلقة وتشمل البيت والغرفة والمقهى والملاهي، والمدرسة والمستشفى والجامعة والسجن والمقبرة .

أولا- الأمكنة المفتوحة :

الأماكن المفتوحة هي تلك الأماكن التي لا تكون محدودة بحدود معلومة أو قيود فتكون فضاء مفتوحا على العالم الخارجي، كما أنّ " الحديث عن الأمكنة المفتوحة، هو حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول، كالبحر، والنهر، أو توحي بالسلبية كالمدينة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحيّ، حيث توحي بالألفة والمحبة. أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير، وفضاء هذه الأمكنة قد يكشف عن الصّراع الدائم بين هذه الأماكن كعناصر فنية وبين الإنسان الموجود فيها "[1]، فالمكان المفتوح هو كل الأمكنة ذات المساحات الواسعة التي لا تحدها حدود كالبحر والنهر والمساحات الطبيعية الشاسعة، وكل "فضاء لا يمكن إغلاقه كالشارع والصّحراء والمدينة أو متنقل كالسّفينة "[2] .

وتعرفه أوريدة عبود بأنّه: "حيّز مكاني خارجي لا تحدّه حدود ضعيفة يشكل فضاء رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق "[3]

نستنتج من هذا التعريف أن الأماكن المفتوحة تشمل كل مالا يحدّه حدود ويشمل الأماكن الرّحبة التي يكون فضائها رحبا بحيث " لا يمكن إغلاقه كالشارع والصحراء والمدينة أو متنقل كالسّفينة"[4]، وكذا الساحات والأحياء.

الأمكنة المفتوحة متنوعة ومتعدّدة ولا يمكن حصرها ، منها المدينة والقرية والشوارع والأحياء والساحات والبحر والنهر، إضافة إلى السفينة والباخرة باعتبارها أمكنة متنقلة، وفي مايلي سنعرض بعض من هذه الأمكنة المفتوحة .

[1]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار الدقل المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق دط، 2011، ص 95.

[2]- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، دط، 2003، ص 185.

[3]- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2009، دط، ص 31.

[4]- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص185.

1- المدينة:

تمثل المدينة واقعا اجتماعيا وحضاريا تعرف إختلاط الشعوب والأجناس، كما تعرف أنماطا متعدّدة للحياة الحضارية، وتتميّز بسمات التّمدّن والتّحضر والعصرنة، "فالمدينة تعد نموذجا للمكان المفتوح، إذ هي ظاهرة حضارية، بالإضافة إلى كونها ظاهرة مكانية واجتماعية، فهي ليست مظهرا من مظاهر الحياة والاستقرار فقط، بل تبدو واقعا اجتماعيا له خصائصه وسماته المرتبطة بالتحضر، وما يتبع ذلك من علاقات، لأنها ليست مجرد جزء من أجزاء المجتمع بل هي المكان الذي استوعب اختلاط الشعوب والأجناس وامتزاج ثقافاتهم"[1]، والمدينة بحكم انفتاحها على العالم تستقطب أجناس وشعوب مختلفة وتعرف ثقافات عديدة ومتنوعة، فهي المكان الذي تلتقي فيه فئات مختلفة من المجتمع، وهي المكان " الذي تلتقي فيه كل عناصر الحياة المنتشرة والكثيرة، فيها تتعدّد وجوه الإنتاج الحضري، كما تتحوّل بداخلها الخبرة والتّجارب الإنسانية إلى إشارات ورموز وأنماط للسلوك وقواعد للنظام"[2]

تعتبر المدينة موقعا جغرافيا وفضاءً مفتوحا متميزا بخصائصه، يعيش فيه سكان وفئة معيّنة من المجتمع وفق إطار قانوني يحكمهم وينظم علاقاتهم، فهي " إنتماء حد معيّن من السّكان إلى موقع جغرافي متميّز، يتفاعلون على ظاهرة اجتماعية متعدّدة الوظائف، قوامها إدارة وطبقات من السّكان يتوزّعون وفق صفقات اقتصادية وثقافية في إطار قانوني ينظم العلاقات و الأفعال"[3]

يتضح أن المدينة ظاهرة حضارية لها نمطها الخاص بها والتي يحياها أهل المدينة كما أنّها "مسكن الإنسان الطّبيعي أوجدها النّاس، لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ، ومن أنفسهم، وتختلف المدن عن بعضها البعض، فلكل مدينة موقعها الجغرافي، وتتميّز كل مدينة بعاداتها وتقاليدها"[4]

اذن المدينة مكان يعيش فيه مجموعة من الناس وفئات مختلفة الأجناس، وهي تعرف ثقافات مختلفة ومتنوعة، كما أنها تمثل مظهر من مظاهر الحياة والاستقرار، ولكل مدينة موقع جغرافي خاص بها ولها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها، ويعيش سكانها وفق إطار قانوني ينظم علاقاتهم .

---

[1]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، ص 29

[2]- المرجع نفسه، ص 29.

[3]- ياسر عابدين، مفهوم الفصيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2012، ص155.

[4]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 96.

2- القرية :

القريـة فضـاء مفتـوح وشاسـع وتعـرف القريـة بأنّهـا تلـك المنـاطق النائيـة البعيـدة عـن المدينـة وضجيجها، تحيط بها الطبيعة الخلابة والمساحات الخضراء والأراضي الخصبة والحقول.

فالقرية "تعتبر من الولادات البكرية الأولى للأمكنة، شأنها شأن رحم الأم، وبيت الطفولة"[1] فالقرية عرفت وجودها مبكرا في حياة الإنسان لذلك" نصنفها بالرّحم الثالث، بعد رحم الأم، ورحم بيت الطفولة"[2]

تقـوم الحيـاة في القريـة على الأرض والفلاحـة وهي تتصـف بالهـدوء والسـكينة والاسـتقرار وبسـاطة العيش، كما "ارتبطت نشأة القرى بالمناطق الخصبة، حيث المجموعات الإنسانية المستقرة تزاول نشاطها الزّراعي الـذي تعنمـد عليـه في حياتهـا اليوميـة، فارتبطت لـذلك بـالأرض، التي هي مصـدر رزق وأداة إنتـاج، ومن هنـا كانـت القريـة هي التي تعيش للزراعـة وعلى الزراعـة"[3] فالقريـة تعبر عـن الحيـاة البسـيطة وارتبـاط وتعلق النـاس بـالأرض واعتمـادهم عليهـا في العيش، "والقريـة هي الـذاكرة البكريـة الأولى، التي تظل مـدرارة للدفـء النّفسي، وللسّـعادة الغابرة، طيلة حياة الإنسان. كما تظل مخزونا لا ينضب لوقـود الخيـال، ووحـدة كتلة الأزمنة"[4]

القرية عكس المدينة مازالت تحتفظ ب" قيم البداوة والكرم والبساطة والتّخلف والجبرية"[5] ولطالما كانت القرية مصدر إلهام المبدعين والأدباء والبلسم للجراح فالطبيعة لطالما كانت تجلب السعادة وراحة البال للإنسان .

---

[1]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 101.

[2]- المرجع نفسه، ص 102.

[3]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 43.

[4]-المرجع نفسه، ص ن.

[5]- سيدي محمد بن مالك، جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2006، ص 38.

3- **الشارع :**

هو حلقة وصل من وإلى وهو فضاء مفتوح على الخارج من خلاله تنتقل الشخصية وتمر عبره بين الأماكن المختلفة ف"الشارع من أماكن الانتقال التي تمر عبرها الشخصية ، فهو مكان لذهابها وإيابها من وإلى البيت ومكان العمل. فهو حلقة الوصل بين الأماكن المختلفة "[1] فالشارع حلقة وصل من خلاله يصل بين أماكن متعدّدة و"يمثّل الشارع في الأدب مثلما يمثل في الحياة رمزا للانفتاح والتواصل، له أبعاد متعدّدة، ويحمل مضامين مختلفة لأنّه يرتبط بحياة النّاس وتجاربهم وعلاقاتهم، فيحمل نبض الإنسان و أوجاعه حين يهرب إليه عندما تضيق به الأماكن الأخرى"[2]

فالشارع حلقة وصل وربط بين الأماكن المختلفة، كما أنّها تعتبر ملاذا و " هربا من ضيق الداخل المختنق إلى الخارج المفتوح حيث الفضاء المنفتح والنّابض بالحياة وهو الشارع الذي يتحرك فيه النّاس كل يوم وكلّ ساعة "[3]

الشارع من الأماكن التي يقصدها الناس ذهابا وإيابا من وإلى وهو مرتبط بحياتهم اليومية ويشهد حوادث يومية جراء الحركة الدائمة ونتيجة التسكع فيه وكثرة الحركة الدائبة فيه كونه مكان لعبور الناس والسيارات "و بوصفه فضاءا مفتوحا يوحي بالاتساع والانفتاح للعابرين، يشكل الشارع أحد الفضاءات التي تشهد حركة الشّخصيات القصصية غذ يصوره القاص من خلال بيان أثره النّفسي في الشّخصية والحالة الشعورية التي تدفعها إلى الشارع "[4]، فهو ملجأها وملاذها الذي تلجأ إليه هروبا من ضيق الداخل والتحرّر من سلطته.

نشير إلى أن الشارع من الأمكنة المفتوحة على الخارج وهو فضاء مفتوح للعابرين نابض بالحركة والنشاط والحياة اليومية مرتبطة به بالذهاب والإياب، فهو مرتبط بحياتهم وعلاقاتهم، كما " يعد الشارع فضاء مفتوحا تكتنفه العلانية، يحمل ذكريات الإنسان المفرحة أو المترحة ويصبح ذا أبعاد رمزية ودلالية"[5] فالشارع الواجهة المفتوحة على الخارج وممر العبور الذي ينبض بالحياة والحركة الدائمة والمستمرة، وحلقة الربط والوصل بين الأمكنة.

---

[1]- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 72.

[2]- المرجع نفسه، ص 72.

[3]- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص51.

[4]- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 51.

[5]- المرجع نفسه، ص51.

4- الصحراء:

من الأمكنة الشاسعة والمفتوحة المعروفة بامتدادها ورمالها الصفراء الذهبية، و"تعد الصّحراء من الأماكن المفتوحة والممتدة التي تحمل دلالات كثيرة في الأعمال الروائية"[1] .

الصحراء فضاء واسع ومفتوح معروفة بشساعتها وامتدادها ومساحاتها الرمالية التي تغطيها " ففي الصحراء لا تشاهد سوى الرّمال الصّفراء ...لا شجرة خضراء ، ولا نبتة شوكية، وليس في الأفق طيور، الرمال تسلم المرء إلى مزيد من الرّمال، الرمال تشبه بعضها بعضا، ليس هناك شاخص يدل على درب، ولا علامة مميّزة تشير إلى الطريق، الجو حار،الرّياح الحارة تهب وتذرفي طريقها ذرات الرّمل، فكأنّ الأرض تحترق ويتصاعد من سطحها الدّخان، ومن بعيد يظهر السّراب ولا شيء غير السراب"[2]

كما أنّ الصحراء معروفة بطبيعتها القاسية وجوّها الحار صيفا والبرد الشديد في فصل الشتاء، ومعروفة برمالها الصفراء التي تغطي مساحتها الواسعة .

-عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص63.[1]

- المرجع نفسه، ص 66.[2]

5- البحر:

يعدّ من الأمكنة المفتوحة على نفسها وعلى العالم الخارجي ف" البحر فضاء جغرافي مفتوح متميز، ...فالبحر كعالم فسيح، وفضاء مكاني و طوبوغرافي متميّز، يتمظهر بطرائق شتى في العمل السّردي، وهو يؤطر الأحداث والشخوص، ويحدّد هويتها وخصوصيتها. وللبحر ارتباط كبير بالنّفوس، ولهفة في القلوب إليه عظيمة "[1]،إنّ البحر فضاء مفتوح، وهو ذلك العالم المائي الفسيح الممتد الذي لا حد له، إنه عالم مجهول غير متناهي شاسع، جميل ومخيف في آن واحد، جميل بمنظره وزرقته وأمواجه، ومخيف بعمقه وأهواله و هيجانه.

كما أنّ " البحر كمكان يلجأ إليه الإنسان حين يفقد الأمل في الحياة، أو لعدم قدرته على مواجهة واقعه الذي لا يرتضيه، إنّه فاقد لمستقبله، والمجتمع غير قادر على إيجاد حل، والاحتضان لايتم إلا بالبحر وهو الوسيلة المثلى، وهذا يؤكد عمق الهوّة في التعلق بالمجهول "[2]، فالبحر أحيانا يكون وجهة وقبلة الناس للشعور بالراحة والتنفيس عن نفسها، وهو كذلك مصدر رزق للعاملين فيه، إنه ذلك المكان الجميل بمياهه وزرقته، وامتداده الشاسع والمخيف في آن واحد بأهواله المجهولة .

- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 119.[1]

- المرجع نفسه، ص 119.[2]

ثانيا - الأمكنة المغلقة:

تعدّ الأماكن المغلقة أماكن الإقامة التي تقيم فيها الشخصيات وتتحرك فيها وهي الأماكن الخاصة التي يعيش فيهاويسكن فيهاإما بإرادته أو مجبرا، كما أنّه مكان محدد هندسيا وجغرافيا، ويقيم فيه إما بصفة دائمة أو مؤقتة، فتنشا علاقة بينه وبين هذا المكان إما بالألفة أو النفور .

"المكان المغلق هو مكان العيش والسّكن الذي يأوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزّمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين، لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصّراع الدّائم القائم بين المكان كعنصر فنّي وبين الإنسان السّاكن فيه. ولا يتوقف هذا الصّراع إلا إذا بدا التآلف يتضح أو يتحقّق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه."[1]

المكان المغلق هو المكان الذي يسكنه الإنسان ويقيم فيه فترة من الزمن إما اختيارا أو جبرا، وهو محدد منغلق على ساكنه،يتسم بالضيق ومقيد بجدرانه، كما أنّ وجوده في المكان يولد علاقة تجعله يعيش صراعا لا يتوقف إلا إذا بدأ الذوبان والتآلف مع المكان .

والأمكنة المغلقة تمثل " غالبا الحيّز الذي يحوي حدودا مكانية تعزلها عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بالنسبة للمكان المفتوح فقد تكون الأماكن الضّيقة مرفوضة لأنّها صعبة الولوج وقد تكون مطلوبة لأنّها تمثل الملجأ الحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة"[2]

يتضح أن الأمكنة المغلقة حيزها محدود ومنعزلة عن الخارج، فهي تنحصر داخل جدران منعزلة عن العالم الخارجي وهي تمثل الملجأ الذي يأوي إليه الإنسان هروبا من صخب الحياة ومشاكلها.

كما أنّ الأمكنة المغلقة عديدة ومتنوعة تشمل البيوت والغرف والمدارس والجامعات والمستشفيات و الفنادق والمكاتب والسجون والمقاهي و المسرح والملاهي.

"إنّ الحديث عن الأمكنة المغلقة هو حديث عن المكان الذي حدّدت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت، والقصور، فهو المأوى الاختياري والضّرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدرا للخوف. أو هو الأماكن الشعبية التي يقصدها النّاس لتمضية الوقت والتّرويح عن النّفس كالمقاهي، أو هي تلك الأماكن التي تتردّد عليها الطبقة المترفة الثّرية لتشبع نزواتها كالملاهي."[3]

---

[1]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 44.

[2]- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة، دار الأمل للطباعة،الجزائر، دط، 2009، ص59.

[3]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 44،43.

يتضح أن الأماكن المغلقة منها ما هي أمكنة إقامة اختيارية كالبيوت والأماكن الشعبية كالمقهى والملهى ومنها ما هي أمكنة إقامة جبرية كالسجون .

1- البيت :

يعد البيت من الأمكنة التي تحوي الإنسان ويقضي فيه حياته اليومية ، إنّه " مكان مغلق للعيش والسكن يقضي فيه الإنسان فترات زمانية طويلة، فهو مأوى اختياري، وضرورة اجتماعية، يمنح الألفة والأمان، فيه ينشد الإنسان الراحة والسّكينة، وفيه تتشكّل الشخصية في مراحلها الأولى، ولا يلبث هذا البيت أن يشغل حيّزا مهما في ذاكرته، لأنّه يمنحه الشّعور بالطمأنينة والحماية من الخارج، ويمارس فيه حياته الطّبيعية بحرّية"[1]

يعتبر البيت من أكثر الأماكن التصاقا بالإنسان فهو الملجأ الذي ينشأ فيه ويأوي إليه، وهو من الأماكن الهامة في حياته، فهو يوفر له الحميمية و الدفء العائلي والألفة و الأمان،كما أنّه بالنسبة للإنسان مكان للاستقرار بعد يوم شاق والعودة إليه من أجل الراحة والطمأنينة، فهو مكان يحفظه من الأهوال والعواصف ويحميه من البرد والحرّ ويحفظه من الضياع. كما أنه يترك آثارا عميقة وآثارا نفسية على الشخصية ويشغل حيزا كبيرا في ذاكرته فهو المكان الذي أمضى فيه طفولته ومراحله الأولى وتشكلت فيه شخصيته. إنّه البيت القديم الذي نشأ وتربى وترعرع فيه، إنه المكان الذي احتضن صباه وطفولته.

"فالبيت ليس وصفا هندسيا وإنّما هو فضاء يمتلئ حياة، يمارس حضوره مثلما تفعل الشخصية"[2] ، ذلك أنّ البيت يمثل كيانا مليئا بالحياة وهو وعاء حاضن لساكنه، إنّه ملجأه وملاذه الذي يقضي فيه جل وقته، يمارس فيه خلوته وحريته .

البيت هو "المكان المغلق الاختياري، وهو المكان الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي، ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضائه، لهذا فالشّخصية تسعى إليه بإرادتها من دون قيد أو ضغط يقع عليها، لأنّ اختيار المكان يكون بالإرادة لا بالإجبار والإكراه كالبيوت والمتاجر والمكاتب والمحال مثلا."[3]

فالبيت يمثل المكان الحميمي الأليف الذي يمارس الساكن فيه خصوصيته بحرية دون قيد، فهو "كمكان ألفة ومحبة ومغلق اختياري"[4] يقضي فيه خلوته ويطلق العنان لخياله ويسترجع ذكرياته والأيام الخوالي، إنّه مصدر الاستقرار والأمن والطمأنينة الذي يوفر له الحماية التي يسعى إليها.

1- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص85.

2-الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 205

3- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص47.

4- المرجع السابق، ص11.

2 - المقهى:

يعدّ من الأمكنة العمومية التي يرتادها الناس في جميع الأوقات للترفيه عن النفس وتمضية الوقت خارج البيت، "إنّ المقهى مكان نصف مغلق لأنّه يحمل في تكوينه شيئا من خاصية البيت أو مكان نصف مفتوح بسبب كثرة المرتادين عليه يحمل شيئا من خاصية الشارع ويستقبل جميع النّاس دون استثناء "[1]، إنّه من الأمكنة التي تتمتع بخاصية الانغلاق والانفتاح في آن واحد وهو المكان الذي يستقطب كل فئات وشرائح المجتمع .ف" المقهى يجمع بين الانغلاق والانفتاح، فهو مكان اجتماعي يلتقي فيه شّخوص مختلفون لتزجية أوقات الفراغ، وإمداد الفرد بمزيد من قوة الاحتمال لمواجهة رتابة الحياة. وفي أحيان أخرى تلتقي به الشخوص لتصريف لحظات البطالة أو للقيام بممارسات مشبوهة، أو حتى لتناقل الشّائعات الرّخيصة.

والمقاهي نوعان، فهناك مقهى للمثقفين، وآخر شعبي، أكثر حضورا في الأدب يلتقي به المثقف، وغير المثقف"[2]، فاالمقهى يمثل جسر الإلتقاء والتواصل ووسيلة للحوار والنقاش وتبادل الأفكار، يرتاده الناس للتخفيف من الأعباء والهموم والمشاكل اليومية والقضاء على الملل والرتابة، فهو مكان يقصده النّاس المثقف وغير المثقف، العامل والعاطل، لتمضية الوقت والترويح عن النفس والابتعاد عن الواقع ومشكلاته.

فالمقهى "كمكان مغلق وخصوصي، بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشّخصيات الرّوائية كلّما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة، فهناك دائما سبب ظاهر أو خفيّ يقضي بوجود الشّخصية ضمن مقهى ما، ولا يتعلق الأمر هنا بإلزام شخصي أو اجتماعي يدعو إلى غشيان هذا الفضاء الانتقالي فقد يحدث ذلك بمحض اختيار الإنسان الذي تحركه، في العادة، رغبة ذاتية ملحّة."[3] فالمقهى من أماكن الالتقاء خارج البيوت التي يرتادها الإنسان بمحض إرادته، ويلجأ إليها عن رغبة ذاتية في التحرّر من القيود كلّما وجد نفسه على هامش الحياة الاجتماعية ومشاكلها.

"إنّ المقهى يشكل واحدا من الفضاءات الخاصة التي تتميّز بتنوع دلالاتها الفنية فهو البؤرة المكانية التي تلتقي عندها الشخصيات ومن طبقات اجتماعية مختلفة، تحاول البحث عن راحتها النفسية في وسط ذلك الفضاء المغلق "[4] ،فهو فضاء انتقالي ترتاده كل شرائح المجتمع نتيجة الواقع المؤلم وهربا من

---

[1]- محبوبة محمدي محمدآبادي،جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 69.

[2]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 100.

[3]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، مهدي عبيدي ، ص 45.

[4]- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية،ص 64.

ضغوطات الحياة وللتواصل والقضاء على الوحدة والروتين، فهو مكان خاص وعام في آن واحد ويتميز في كونه مكان لاستقطاب النّاس وتجمعهم فهو يمثّل " مسرح الحياة الشعبية، وهو مكان اللّعب، لعب الأفكار، ولعب الأصابع والورق والحجارة، واللّغو والتّأمّل، والتّفريج عن النّفس التي ضاقت بالحاضر وهمومه وأغلاله الاجتماعية والسّياسية و الفكرية"[1] .

يتضح أن المقهى من الأماكن الاجتماعية العمومية المعدّة للإقامة المؤقتة، وهو من الأماكن المتاحة لكل النّاس بدون استثناء يقصدها العام والخاص المثقف وغير المثقف العامل والعاطل ، فهو مكان يستوعب الجميع دون شروط مسبقة ودون مواعيد مسبقة، مفتوح لكل الفئات والطبقات الاجتماعية على اختلافها، يقصدونه لتمضية الوقت و طلبا للراحة و الترويح عن النفس والابتعاد عن الرتابة والروتين اليومي .

كما أنّه " المكان الاجتماعي وملتقى لقطاع واسع من النّاس بمختلف الشّرائح والطّبقات، لذا فالمقهى يأخذ قيمة فنّية في عملية الإبداع الأدبي. حيث جاء بدور ظاهر وملموس في الأعمال الإبداعية على مستوى الفن الرّوائي ومهما اختلف الشّكل وتباين النّوع فهو مكان لارتياد النّاس، حيث يقضون فيه وقتا مؤقتا "[2] هربا من مشاكل الحياة والروتين اليومي، وبحثا عن الخلوة والراحة وتمضية الوقت، كونه " المكان الذي تلتقي فيه مختلف طبقات الشّعب، ومختلف الرّغبات والأهواء. زيادة على ذلك، فإنّ المقهى كمكان جمالي، يعتبر علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي. و الثقافي[3]"

المقهى مكان عام وخصوصي يتسم بالانفتاح والانغلاق وهو مكان يلجأ إليه النّاس للتحرّر من القيود والابتعاد عن منغصات الحياة وهروبا من مشكلات الواقع، باحثا فيه عن راحة البال والطمأنينة التي يفتقدها، كما أنها ملاذه في الالتقاء والحوار وتبادل الأفكار و الآراء، فهي جسر تواصل مع العالم الآخر ذلك أنّ" المقهى كمكان، كان رمزا للحرّية الفكرية والحرّية الاجتماعية، حيث تستطيع أن تقول ما تشاء، دون حسيب أو رقيب"[4] . ففي المقهى يستطيع أن يحرر نفسه من الضغوطات والقيود فيعبر عن أفكاره ويتبادل الحوار والنقاش كيفما شاء ويتواصل مع الآخرين .

- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص196.[1]

- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 68.[2]

- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الروية العربية، ص195.[3]

- المرجع نفسه، ص 196.[4]

3 - المستشفى :

تمثل المستشفى المكان الذي يتم فيه تقديم الإسعافات الأولية والعلاج للمرضى، فهو مكان مخصص من أجل العلاج و الشفاء، وهو يعرف حركة دائمة ومستمرة بصفته مكان انتقال يقصده الناس من كل مكان، متواجد على طرف المدينة أين السّكون والهدوء وبعيد عن ضوضاء المدينة وضجيجها، فهو يعمل من أجل تحقيق الراحة تقديم العلاج لكل المرضى من أجل الشّفاء.

"يتخذ في الواقع شكل مكان للعلاج، لا يركن بزواره المؤقتين يأتونه من أمكنة مختلفة بحثا عن الشفاء، ثم يغادرونه فهو في النّص الرّوائي يكتسب تشكيلا جماليا خاصا يتموقع دائما على طرف المدينة حيث السكون والهدوء لأنّه وجد أساسا لتقديم الرّاحة والاطمئنان من أجل الشفاء "[1].

يعتبر المستشفى من المرافق العمومية التي تقدم خدمات العلاج والإسعافات التي يحتاجها المريض من أجل الشّفاء، فهو مكان يقصده النّاس بغية أخذ العلاج و الدّواء لمرضهم ودائهم ، لذلك هو مكان يعج بالحركة الدّائمة والمستمرة بصفته مكان انتقال يتوافد عليه النّاس في كل الأوقات طلبا للعلاج والحياة، والاطمئنان على حياتهم وتحقيق الرّاحة النّفسية.

المستشفى "هو مكان يحمل دلالة المرض والمعاناة، وفي الوقت نفسه يطلب فيه العلاج أملا في الشّفاء"[2]، فدوره تقديم العلاج المجاني للمرضى وإجراء الفحوصات الطبية وتقديم العلاج اللازم لمن يطلبه وتحقيق الشفاء ، فهو مكان مخصص للعناية بالمرضى .

[1]- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 238.[1]

- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص113.[2]

4 – السجن:

يعدّ من الأمكنة المغلقة الإجبارية و"السّجون كأمكنة روائية، لها جمالية فنّية مميّزة تميّزا فنّيا ملحوظا. وذلك يعود إلى التّجربة الحياتية القاسية المعاشة، في مثل هذه الأمكنة "[1]، فالسّجن من الأمكنة المغلقة المعدّة للإقامة الجبرية التي تقيد فيه الحرية والإرادة ف " السّجن هو مكان إقامة جبرية، غير اختيارية في شروط عقابية صارمة للسجناء. وهو نقطة انتقال من الخارج إلى الدّاخل، ومن العالم إلى الذّات، مليئا بالالتزامات والمحظورات، فما أن تطأ أقدام النّزيل السّجن حتى يرمي وراءه عالم الحريّة، وتبدأ سلسلة العذابات التي لا تنتهي سوى بالإفراج عنه"[2]

يتضح أنّ السجن من الأمكنة التي تقيد فيها حرية الإنسان بمجرد دخوله إليه فينتقل من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي والخضوع لسلطته و قوانينه .

"إنّ الحديث عن السّجن يختلف عن الحديث عن البيت، فبقدر ما يشعر البيت بالرّاحة والأمان، يشعر السّجن بالخوف والضّيق والكآبة، إذ يزج الشخص فيه مرغما، ويعامل فيه معاملة قاسية لا يعرفها إلا من عاناها "[3]

و يقيم الإنسان فيه بحكم القانون إلى حين الإفراج عنه فيكون فيه " فاقد الحرّية، وهو مجرد متلق. و من هنا أطلقت السّلطة على السّجون منذ عهد بعيد اسم أماكن الإصلاح والتّهذيب، ويسمى السّجن ب(المؤسّسة الإصلاحية) والإصلاح هنا بمعنى إعادة صياغة الآخر، عقليا، وفكريا وأخلاقيا، أي إعادة بناءه من جديد"[4]

فالسجن من الأمكنة التي تكون فيه إرادة الإنسان مقيدة وفاقد لحريته التي تستلب منه، فيصبح عاجزا أمام السلطة ويخضع لقوانينها وأنظمتها مدة إقامته فيه وهو" الذي يعيد بناء الإنسان ويصوغه من جديد، حسب قوانينه و أنظمته "[5] فالسجن سالب للحرية ومقيد لحركة الإنسان داخل زنزانة ينصاع للأوامر المفروضة عليه، ويكون عاجزا ف " السجن فضاء مغلق، كما أنّه ضيق ومظلم ويكون انغلاقه تاما حيث يتحول هذا المكان شديد الانغلاق إلى مكان مسرحي تلتقي فيه نماذج مختلفة من الشّخصيات تربطها علاقات حميمة وتذوق العذاب الجسدي الذي تعاني منه"[6]

---

[1]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 310.

[2]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 90.

[3]- المرجع نفسه، ص 77.

[4]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص317-318.

[5]- المرجع نفسه، ص317.

[6]- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 78.

فالسجن" مكان مغلق يوحي بفقدان الحرية لأنّه محكوم بالسيطرة البوليسية المستمدّة من السلطة، التي تعمد إلى ترسيخ مفهوم العنف، القمع، والظلم،... والسجن مرتبط أيضا بالقيود لأنّه مخصص لمصادرة الحريّة، وتتسم علاقة الشخصية به بالمعاداة، لأنّه يفقدها أثمن حقوقها، وهو حق الحركة والتنقل."[1]

"ويبعث السجن شعور بالخوف عند الإنسان بسبب أبعاده الهندسية وجدرانه العالية وزنزاناته الانفرادية والضيقة وانغلاقه على العالم الخارجي وتلوثه المقزّز، ومعاقبة السجناء وتعذيبهم للاعتراف بما فعلوا خاصة السجناء السّياسيين الذين يخالفون السلطة الحاكمة "[2]

يتضح أن السجن من الأمكنة المغلقة التي يفقد فيها الإنسان حريته وحقوقه في الحركة والتنقل و فيقيم في مكان ضيق بين جدرانه المغلقة ويعيش في غربة ووحدة وضياع بانعزاله وعدم اتصاله بالعالم الخارجي.

" فهذه الأمكنة هي أمكنة إقامة وثبات للقيد والحبس والإكراه. فالأمكنة الإجبارية معنية بالإقامة التي تبعد المرء عن العالم الخارجي وتعزله عنه، بل تقيد من حريته"[3]، ففي هذا المكان يفقد الإنسان حريته ويخضع لقيده وقوانينه التي يلتزم بالخضوع لها.

- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 108.[1]

- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 79.[2]

- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص75.[3]

5- الفندق:

يعدّ من الأمكنة الحضارية التي تتميز بها المدينة، فهي أمكنة مخصصة للاقامة المؤقتة التي يلجأ إليها المسافرين والسيّاح للمبيت وقضاء فترة من الوقت.

" يعدّ الفندق من الأماكن المغلقة التي تتميّز بها المدينة، ومن المظاهر الحضارية لأية دولة، وهو مكان له عالمه الخاص، فهو مؤقت، ويشير إلى مسافر يقيم إقامة مؤقتة، ثم لا يلبث أن يرحل، لذا لا يترك في الشّخصية ذكريات عميقة، أو آثارا نفسية كالتي يتركها البيت مثلا، لأنّه مكان عابر في حياة الشّخصية"[1]

فالفندق من الأماكن المغلقة التي يرتادها الشخص من أجل الإقامة المؤقتة لفترة محددة لذلك يعدّ من الأمكنة العابرة التي يقصدها الناس بهدف الاستجمام أو قضاء بعض الوقت ثم الرّحيل.

[1]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 96.

خامسا: المكان و علاقاته بالعناصر الروائية الأخرى

يعدّ المكان من المكونات الأساسية في العمل السردي الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهو يجمع جلّ العناصر السردية الأخرى وتسبح في فلكه فهو " الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشّخصيات، وتتفاعل معه، وأيّ نص مهما كان جنسه الأدبي لابدّ أن يتوافر على هذا العنصر مادام فعل الحكيّ هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه ويتمظهر من خلاله وبواسطة آلياته وقوانينه"[1] فالمكان هو مسرح الأحداث والإطار الذي تتحرك فيه الشخصيات وبتعالقه مع كل العناصر السردية يكتمل العمل الأدبي ويعطي الحيوية للنص الأدبي ويخرج من الجمود والسكون، فالمكان يتسم بالثبات والجمود والسكون وبتفاعله مع الزّمن والشخصية والحدث يخرج من قوقعته وسكونيته إلى الحيوية والنشاط ويصبح مفعما بالمعاني والدلالات، فالمكان "لا يمكن بأي حال أن يظل منعزلا عن باقي مكونات السرد الأخرى للنّص كالشخصيات والأحداث، والزّمن وعدم النظر إليه في تفاعله مع هذه المكونات يجعل التأويل قاصرا على إدراك الأبعاد الدّلالية"[2] فمن خلال النظر إلى المكان وصلاته بالعناصر الأخرى يسهل علينا فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السّرد فالمكان " لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السّرد وإنّما يدخل في علاقات متعدّدة مع المكونات الحكائية الأخرى للسّرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصّلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النّصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السّرد"[3]، وللمكان الروائي صلة بالعناصر السردية الأخرى فهو يتعالق ويتفاعل معها مما يسهل عملية الفهم والتأويل للنص وإدراك أبعاده ودلالاته، ذلك أنّ " المكان لا يظهر في النّص السّردي بمعزل عن العناصر السردية الأخرى، بل أنّ هناك نوعا من التلاحم والارتباط الصميمي بينه وبين هذه العناصر، وهذا الارتباط يشكل في حدّ ذاته لوحة فسيفسائية مشكلة جماليا برعت في إظهارها يد الرّوائي الفنّان"[4]

فعلاقة المكان بالعناصر السردية كاللوحة التشكيلية الفنية التي تتماهى ألوانها مع بعضها البعض لتكون في النهاية صورة مكتملة الشكل هكذا حال المكان و علاقاته بالزمن والحدث والشخصية فبتعالقها وتلاحمها وتداخلها مع بعضها البعض تكون نصا سرديا متناسقا ومنسجما وتسهم في تشكيل البناء السردي

---

[1]- محمد صابر عبيد- سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008، ص 229.

[2]- جوزيف.إ.كيسنر،شعرية الفضاء الروائي، ترجمة: لحسن احمامة، أفريقيا الشرق، 2003، ص 10.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 26.

[4]- محمد صابر عبيد- سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 230.

1- علاقة المكان بالشخصية :

تعدّ الشخصية من أبرز مكونات البنية السردية وهي العمود الفقري في العمل السردي فهي تساهم في تشكيل بنية النّص بحيث "لايمكن تصور رواية بدون شخصيات"[1] فهي تعتبر من ركائز العمل الروائي، والمكان هو الإطار والحيّز الذي تتحرك فيه وهو الوعاء الذي يحتويها ف" المكان في الرّواية ليس مظهرا تزويقيا، ولكنّه جزء أساسي من هندسة الرّواية ومعماريتها، بمعنى أنّ جمالياته تتفق وتتناسق وتتماشى مع جماليات الرّواية الكلية. ولا تخرج عنها بأيّ حال من الأحوال، باعتبار أنّ المكان في حركة أخذ وعطاء مع شخصيات وأحداث الرّواية .يتوجه بوجهتها، ويرتبط بحركتها، ويقوم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائما"[2] ، فالمكان في الرواية ليس عنصر شكلي فحسب وإنما مكون أساسي وتشكيلي في البناء الرّوائي و علاقته بالشخصية كعلاقة الجسد بالروح" فالإنسان من خلال حركته في المكان، يقوم برسم جماليات هذا المكان.والمكان بدون الإنسان، عبارة عن قطعة من الجماد، لا حياة ولا روح فيها. كذلك فإنّ الإنسان بمشاعره وعواطفه ومزاجه، يأخذ من الطبيعة وطقوسها وفصولها ما يساعد مشاعره وعواطفه ومزاجه على رسم المكان، فإذا به كالفنّان الذي يختار من الألوان ما يساعده على تنفيذ لوحته الفنية، ويساعده على أن ينقل ما يريد أن يقوله"[3] فباختراق الشخصية للمكان تخرجه من حالته السكونيةو تجعله يدب بالحياة والحيوية، ذلك " أنّ المكان يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل الرّوائي، ويسعى إلى تكوينها فكريا ونفسيا ووجدانيا، ويؤثر في إنتقالها من حال إلى حال. كما أنّه يسهم في خلق المعنى داخل الرّواية. كما أنّ الرّوائي يستطيع أن يحول المكان إلى أداة تعبيرية عن موقف الأبطال من العالم الخارجي"[4] ، فالعلاقة بين المكان والشخصية علاقة متبادلة ذلك أنّ"المكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخصية التي يندرج فيها"[5]

فالشخصية تساهم بشكل كبير في بناء المكان والعلاقة بينهما "تتعدى العلاقة الشكلية، لأنّ المكان لم يعد إطارا خارجيا جامعا لحركة الشخصيات بل إنّ المكان الرّوائي تجاوز وجوده السطحي المرتكز على

---

[1] -بوعزة محمد، تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 9.

[2] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 96.

[3] - المرجع نفسه، ص96.

[4] - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 08.

[5] - إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية، ص 32.

البعد الجغرافي والفيزيائي فقد أصبح يحدّد سلوك الشّخصية و اتجاهاتها زيادة على أنّ تقاليد المكان وأعرافه تحكم نفسية الشخصيات وممارستها "[1]

يتضح أنّ المكان لم يعد مجرد إطار تتحرك فيه الشخصية وإنّما هو يتواجد معها ويظهر من خلال خطابها ولا ينفصل عنها فهو يؤثر فيها بقدر ماهي تؤثر فيه، والأكثر من ذلك أن المكان يتجاوز وجوده الجغرافي والفيزيائي ليفرض سطوته على الشخصية على سلوكها ونفسيتها وطبيعتها، ومن خلاله يمكننا أن نحدّد هوّيتها وانتمائها الاجتماعي، ومعرفة الأعراف والتقاليد التي يفرضها المكان على الشخصية.

"فبقدر ما يصوغ المكان الشّخصيات والأحداث الروائية، يكون هو أيضا من صياغتها، وإنّ البشر الفاعلين، صانعي الأحداث هم الذين أقاموه وحدّدوا سماته، وهم قادرون على تفسيره، ولكنّهم بالطّبع بعد أن يقوموا – أي البشر- بذلك فهم يتأثرون بالمكان الذي أوجدوه"[2] فالمكان في علاقة تأثير وتأثر متبادل مع الشخصية فكل منهما يؤثر في الآخر.

" إنّ المكان يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل الرّوائي، ويسعى إلى تكوينها فكريا ونفسيا ووجدانيا، ويؤثر في انتقالها من حال إلى حال. وكما أنّه يسهم في خلق المعنى داخل الرّواية. كما أنّ الرّوائي المبدع يستطيع أن يحول المكان إلى أداة تعبيرية عن موقف الأبطال من العالم الخارجي"[3]

فالمكان هو المسرح الذي تتحرك فيه الشخصيات وكلما كان محكم البناء أدى دوره بشكل أفضل في التعرف على الشخصية وسبر أغوارها وفهم الأسرار الدفينة للشخصية الروائية، ذلك أنّ " للمكان قدرة على التأثير في صياغة الشّخصيات والأحداث، وكذلك الشّخصيات التي هي صانعة الأحداث هي أيضا لها دور في تحديد خصائصه، وهي قادرة على تغييره، ومع ذلك فهذه الشّخصيات تتأثر بالمكان الذي أوجدته، لأنّ التّفاعل بين المكان والشخصيات دائم في الرّواية كما هو دائم في الحياة. إذ أنّ تكوين المكان، وما يعروه من تحولات، أحيانا يؤثر في تكوين الشّخوص، بل قد يكون وصف الأمكنة دافعا من الدّوافع التي تجعلنا نفهم الأسرار الدّفينة للشّخصية الرّوائية" [4]

فبقدر ما يؤثر المكان في الشخصية في حركتها وسلوكها فإنّها هي الأخرى تساهم في تغييره وتشكيل ملامحه وأبعاده،"فالشخصيات هي التي تعيش في هذه الأماكن، تتلاحم معها، وتندمج فيها، تحس بألفتها، وثمة شخصيات تتجاوز سلبيتها فتنفر من اماكن معينة وربما تعاديها...

[1]- أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص113.

[2]- غالب هاسا، المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب، ع 2-3، بيروت، 1980، ص 73.

[3]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 8.

[4]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 18.

ويبرز دور الرّوائي في خلق حالة من التماهي والاندماج الفضائي في عملية ظهور الشخصيات في المكان المحدّد للحال السردية وفي المناسبة المحدّدة، ويتم ذلك من خلال تحديد الملامح العامة للشخصية، وتميّزها عن غيرها، حيث الأمكنة تنتج شخصياتها المتمايزة والمختلفة: الشخصية الصحراوية، الجبلية، المدينية،...، حيث كل منها تناصب الآخر الاختلاف والتغاير في المستويات الجسدية والنفسية والاجتماعية "[1] فالشخصية التي تعيش في الصحراء تتأقلم مع الطبيعة القاسية للصحراء وتندمج في المكان وهذه الشخصية تختلف عن تلك التي تعيش في الأماكن الساحلية وتميّزها عن غيرها، فالذي يعيش في المناطق الحارة غير الذي يعيش في المناطق الباردة، "حيث يلتحم المكان بجسد الشخصيات التحاما عضويا ويساهم في صياغة الكائن الذي يسكن فيه، ويميّزه عن غيره من خلال بعض الملامح التي يمنحها، إضافة إلى أنّ المكان يؤثر في الكائن ويصوغ مفاهيمه وقيمه وتقاليده "[2] فكل مكان يترك أثره على الشخصية التي تعيش فيه ومن خلاله نستشف ملامحها وطبيعتها وتأثير المكان عليها،" فالمكان يؤثر على الكائن الإنساني ويمنحه ملامح تميّزه عن غيره وتنسبه لذلك المكان "[3] ،كما يؤثر عليها على المستوى الاجتماعي والنفسي والجسدي و بالتالي فالإنسان على علاقة دائمة بالمكان وله تأثير كبير عليه فالمكان "عنصر حيوي وفعال في بناء الشّخوص وفي تحديد مصيرها"[4] فمن خلاله نستطيع معرفة الشخصية ومعرفة طبيعتها، و من خلال معرفة المكان المتواجدة فيه نستطيع أن نكشف عن الحالة النفسية والشعورية التي تعيشها الشخصية وتأثير المكان عليها بالإيجاب أو السلب، ومدى تفاعلها مع المكان والتحولات التي تطرأ عليها فيه، لذلك "هناك تأثير متبادل بين الشّخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الرّوائي أن تكشف لنا عن الحالة الشّعورية التي تعيشها الشّخصية بل وقد تساهم في التّحولات الداخلية التي تطرأ عليها "[5] ، فالمكان هو الوعاء الذي يحتضن الشخصية والذي يكشف عنها باعتباره الفضاء الذي تتحرك فيه، كما انها تكشف عنه بقدر ما يكشف هو الآخر عن المكان وملامحه باختراقه له.

فالمكان له دور كبير في فهم الشخصية وتأثيره ينعكس على حالتها "كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعروالحدوس حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الآخر"[6]

---

1. - محمد صابر عبيد- سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 231.
2. - محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 47- 48.
3. - المرجع نفسه، ص 50
4. - عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 18.
5. - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 30.
6. - المرجع نفسه، ص 31.

فالإنسان على علاقة دائمة بالمكان كالحياة يعبر عن آمالها وآلامها ويعكس حقيقتها "حيث أنّ المكان الذي يسكنه الشّخص مرآة لطباعه، فالمكان يعكس حقيقة الشّخصية ومن جانب آخر، إنّ حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها "[1] فالمكان مرآة عاكسة لما حوله وما يحيط به فهو يأخذ " دور المرايا العاكسة للكوامن النفسية، وصراعاتها الداخلية إزاء الأحداث. لتصبح الأوصاف الملاصقة لهذه الأماكن في بعض مراحل السرد تعادلات رمزية ذات دلالة في سياق التّشخيص.إن طبائع البطل وسلوكه الحياتي ومزاجه تصل إلى المتلقي من خلال الجزئيات المادية للمكان"[2]، ويعكس حقيقة الشخصية المتواجدة فيه من خلال وصف المكان وما يحويه من أشياء وأثاث فنتمكن من معرفة الشخصية وطريقة تفكيرها وحالتها المادية والمعنوية من خلال مؤثثاته، كما نتمكن من فهم سلوكها وتصرفاتها وطباعها وتأثير المكان عليها بالإيجاب أو السلب، وبذلك يصبح المكان أداة فاعلة ووسيلة لمعرفة الشخصية وسبر أغوارها وفهم طباعها ومعرفة ما يجول بداخلها ومدى تأثير المكان عليها.

هذا ونشير إلى أنّ " اللّغة تلعب دورا أساسيا في تصوير الأثر النفسي على الشّخصية، فألفاظ مثل الضيق والاطمئنان والشّعور بالخوف أو الأمان وغيرها من الملفوظات الدّالة على وضع المرء في مكان ما وموقف ما، إنّما تتشكل من الأثر الذي يتركه المكان على الشّخصية، وتترسب في أعماقه على شكل ومضات مضيئة أو مظلمة حسب الحالة التي يمر بها الإنسان "[3].

لذلك فإنّ" العلاقة وثيقة جدا بين المكان والشخوص، لأنّ الرّواية تحتاج إلى مكان ليس لوقوع الحدث فحسب، بل لتأثيره في الشخوص والحوادث، وقدرته على حمل الدلالات والإشارات التي تكشف عن الحالة النفسية أو الاجتماعية لشخصية ما، أو تكشف عن أحوال سياسية وفكرية واقتصادية لشخصيات أخرى، وهناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه، أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشّخصية ، بل قد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها"[4]

المكان هو الوعاء الذي يحتضن الشخصية والفضاء الذي تتحرك وتعيش فيه، ولا يمكن تصوره دونها " فعلاقة الترابط بين الشّخصية والمكان على درجة من التعالق على نحو لا يمكن تصور مكان مكان دون بشر أو بشر دون مكان، حتى ولو كان هذا المكان ضبابيا أو غرائبيا أو أسطوريا، أو كانت الشخصية

---

1. - سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 118-119 .
2. - مصطفى علي حسانين، استعادة المكان، ص 32.
3. - محمد صابر عبيد- د. سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 234.
4. - عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 120.

تحمل نفس السمات، دائما يستوجب وجود المكان وجود الشّخصية التي تقوم بالإقامة فيه "[1]، و" إذا كان المكان يتخذ دلالته التّاريخية والسّياسية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، فإنّه يتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشّخصية عامة "[2]

فالمكان قد يكون مغلقا وقد يكون مفتوحا بالنسبة لها ويؤثر في حالتها الشعورية، فتشعر إما بالألفة أو العداء والضيق على حسب طبيعة علاقتها وارتباطها بالمكان فتضفي الشخصية على المكان إما شعور بالسعادة والحب والفرح، وإما صفة الحزن والألم والتعاسة، ف "في علاقة الشخصيات بالمكان يتنوع المظور السردي بتنوع الشخصيات، ذلك أنّ لكل شخصية وجهة نظر معينة تنبثق من لحظة الإحساس بالتفاعل والاندماج مع المكان الذي تسكنه واستئناس به، أو على العكس من ذلك بالنفور منه وخلق حالة من العدائية معه.

والراوي ملزم بنقل وجهات النظر كلّها، ولاسيما إذا انتقلت الشخصية من مكان إلى آخر، فهو ينتقل معها ويتابع ويرصد الحالات الانفعالية والوجدانية: الايجابية والسلبية التي يتركها المكان على الشخصية "[3].

العلاقة بين المكان والشخصية هي علاقة تلاحم وإندماج، فالمكان لا يعيش منعزلا عن الشخصية باعتباره البيئة التي تعيش فيها فتؤثر في سلوكاتها وأفكارها وطبيعتها فالإنسان ابن بيئته، ولذلك

" يتخذ المكان قيمته ووجوده من خلال علاقته بالشخصيات التي تعبر عنه وتلتحم به، ولا يتوقف حضوره على المستوى الحسّي وإنّما يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني، حافرا مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذّات المختلفة ليصبح جزءا صميما منها "[4] فالمكان يؤثر في الشخصية أكثر من غيرها من المكونات السردية ، فهو يسهم في تشكيلها ويتغلغل في كيانها إلى درجة أنه يصبح مرآة عاكسة لكل تصرف تقوم به ومن خلاله نستطيع فهم كنهها "فلا يحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال تواجده في المكان، فما يتبدى في مكان ما أنّه غير لائق، قد لا يبدو كذلك في غيره من الأمكنة. أضف إلى ذلك أنّ جل مفاهيم الإنسان الأخلاقية، والنفسية والاجتماعية وحتى الإيديولوجية، لا يعبّر عنها إلا تعبيرا مكانيا صرفا "[5]

كما أنّ الشخصية عند اختراقها للمكان تحدث فيه تغييرات وأفعال تكسبه هوية جديدة وتحول معالمه تبعا لأفعالها وبانتقالها من مكان إلى مكان آخر نتعرف على المكان من خلال حركتها وخطابها

---

1. - مصطفى علي حسانين، استعادة المكان، ص 33.
2. - محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط2، 2002، ص233.
3. -.محمد صابر عبيد- د. سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 231.
4. - محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص47.
5. - محمد صابر عبيد- د. سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 233.

"فللمكان دور مهم في تشكيل الشخصية في الرواية ، وفي التحولات التي تطرأ عليها، وإذا كانت الشخصيات تخضع لتأثير المكان فهذا يعني أيضا أنّ المكان يتأثر بأفعال الشّخصيات، فالعلاقة بينهما متبادلة"[1]

اذن المكان يمارس تأثيره على الشخصية بحيث لا يمكن أن نتصور الشخصية خارج المكان فهي ترتبط به و تتحرك فيه وتنتقل فيه وتترك أثرها عليه فتغير من معالمه، وهو الآخر يمارس دوره بالتأثير عليها فالعلاقة بينهما جدلية ومستمرة وعلاقة متبادلة في التأثير والتأثر ولا يمكن تصور وجود شخصيات خارج المكان أو دونه ، و"لأنّ عقل الإنسان مازال لا يستطيع تصور شخصية منعزلة عن كل شيء:(لا يمكن عزل الشخصية الرّوائية عن العالم الخيالي-بأناسه وأشيائه- الذي تنتمي إليه فليس من الممكن أن توجد في الأذهان وجود كوكب منعزل: إنّها مرتبطة بمجموعة: تعيش فينا بواسطتها وبكل أبعادها)"[2] فالشخصية تعيش وتتحرك في مكان ما وترتبط به وتترك أثرها عليه، كما أن هذا المكان تتضح أبعاده ودلالاته باختراق الشخصية له "فالشخصية الروائية تتحدّد من خلال الفضاء، ويتحدّد الفضاء من خلال رؤيتها وبهذا يتحقق التفاعل بين الذات والموضوع "[3] كما "أن الإنتقال من مكان إلى مكان يصاحبه تحول في الشخصية"[4]. فالمكان يؤثر على الشخصية بقدر ماهي تؤثر فيه، وتكشف ملامحه .

وبحضور الشخصية في المكان فإنّها تقوم بتنظيمه وتحديد أبعاده ذلك أنّ " المنظور الذي تتخذه الشّخصية هو الذي يحدّد أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافيته ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الإيديولوجي "[5]

نستنتج أنّ المكان والشخصية من المكونات الأساسية الشديدة التلاحم والتداخل، وتربطهما علاقة وطيدة بحيث كل منهما يستحضر الآخر فالمكان لا تدب فيه الحياة إلا بوجود الشخصية وتفاعلها معه، فهو بيئتها التي يحتضنها وتعيش وسطها، ف" لا يستطيع الرّوائي تشكيله بعيدا عنها ولا يمكنها التحرك خارجا عنه، فهو بيئتها التي تعيش وسطها، تخترقه، فتمنحه قيمتها، ويحتضنها، فيعطيها حيزا تحكي فيه وبه وله "[6]وتربطهما علاقة تأثير وتأثر متبادلة.

1- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة، ص120.

2- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة الجزائرية، ، الجزائر، ط2، 2013، ص 74.

3- سعيد يقطين، لرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، ص67.

4- سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 106

5- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 32.

6- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010، ص 24.

2- علاقة المكان بالحدث:

يشكل المكان العمود الفقري الذي لايمكن الاستغناء عنه في تشكيل البنية السردية، فهو " يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لايمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"[1]، كما أنه في العمل الروائي لا يعيش منعزلا عن عناصر السرد، فهو يدخل في علاقات عديدة ومتداخلة مع بعضها البعض بحيث لا يمكن فصله عن العناصر السردية الأخرى، ف " تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصهم "[2].

ويعدّ الحدث أحد المكونات الفاعلة في تشكيل المكان والبناء السردي، و "المكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث...فهو ليس مكانا معتادا كالذي نعيش فيه أو نخترقه يوميا، ولكنه يتشكل كعنصر من بين العناصر المكونة للحدث، فإن مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث"[3]ولايمكن تصور أحداث بمعزل عن المكان الذي تدور فيه ذلك أن " مجمل الأحداث المعروضة في رواية ما، لا تتشكل إلا في إطار مكاني ما، لكل حدث تسرده يحتويه مكانه كإطار، سواء كانت هذه الأحداث تمتد بوشائج إلى الواقع أم لا، فإنه لا بد أن تجري في فضاء مكاني، متسع أو ضيق، بل إن المكان الروائي يكتب القصة حتى قبل أن تسطر يد المؤلف أحداثها"[4] فيقوم المكان بتنظيم الأحداث " تنظيما دراميا، إن المكان في الرواية، خديم الدراما، فبمجرد الإشارة إليه يعني أنه جرى (يجري) فيه أمر ما، ومجرد ذكره يجعلنا ننتظر حدوث واقعة من الوقائع، فلا وجود لمكان لا يكون شريكا في الحدث"[5]، وبذلك هو يتجاوز دلالته الهندسية ومفهومه كديكور باعتباره مكونا جوهريا في البنية الحكائية ويساهم في تطور الأحداث وسيرورتها ولا يمكن تصور أحداث خارج المكان ف" علاقة المكان بالحدث الروائي علاقة تلازم، أي أن الصلة بين المكان والأحداث تلازمية إذ لا نتصور النظر إلى الأحداث بمعزل عن الأمكنة التي تدور فيها...

---

[1]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 99.

[2]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

[3]- المرجع نفسه، ص 29- 30.

[4]- محمد مصطفى علي حسانين، إستعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل رواية (السفينة) لجبرا ابراهيم جبرا أموذجا دراسة نقدية، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، 2003، ص 28.

[5]- المرجع السابق، ص 28.

وانطلاقا من تحديد العلاقة بين هذين العنصرين يمكن النظر إلى فعل الشخصيات من حيث الدلالة على تطور الحكاية بين البداية والنهاية وهكذا تتشابك الأجزاء لتعرض علينا وحد النص القصصي"[1].

يعتبر الحدث محور العمل الفني وهو لا يحدث في الفراغ فالمكان هو الوعاء الذي يجري فيه ويحتضنه، كما لا يمكن فصلهما لتلازمهما وبحكم العلاقة الوطيدة التي تربطهما لا يمكن تصور وقوع أحداث خارج نطاق المكان، وبتفاعلهما يخرج المكان من حالة الركود والجماد إلى الحركة والحيوية فيؤدي السرد رسالته الحكائية ويتشكل البعد الجمالي في النص الأدبي ويكسبه قيمته الدلالية والرمزية.

وكلّما كان المكان محكم البناء ساهم " في سبر أغوار الحدث وفهم العلاقات المتبادلة على طول المسار السردي. فعلى صعيد الحدث لا يمكن لنسيجه أن ينبثق من فراغ، بل هو مرهون حيث وجود المكان الذي تولد فيه الأحداث وتتطور، من منطلق كونه – أي المكان- يشكل الإطار المحدد لخصوصية اللحظة الدرامية المعالجة، فالحدث لا يكون في لا مكان. إنه في مكان محدد، يحصر أطرافه المتشعبة ويسجل حضورها الموقعي"[2] . فالنص السردي مفعم بالأحداث التي يكشف عنها المكان الروائي الذي يحويها من بدايتها إلة النهاية، فهو الأرضية التي تشمل أفعال الشخصيات ويحتويها، وبمجرد ذكر الحدث يقتضي ذلك ذكر المكان الذي وقع فيه، فهو الذي يكسبه الحيوية والحركة، ومن خلال ما تقوم به الشخصيات من أفعال وأحداث تضفي على المكان العديد من الدلالات وتجعله مفعما بالحياة، كما تظهر قيمة المكان من خلال الأحداث التي وقعت فيه، فالحدث يمكن أن يعبر عن المكان كما للمكان أن يعبر عن الحدث، ولا يمكن فصلهما بحكم العلاقة الوطيدة والتلازمية التي تجمعهما ولإسهامهما في تماسك العمل السردي ووحدته .

كما أنّ" تطور الحدث هو مرهون بتمظهر المكان، فتقدم السرد في اتجاه اكتشاف المكان واختراقه يمنح الحدث حدوده وإيقاعه، فعلاقة المكان بالحدث يخلق إيقاعا خاصا في الرواية"[3]، ويبرز المكان من خلال الأحداث التي تجري عليه.

---

[1]- محمد صابر عبيد- سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 231.

[2]- نقلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي، ص 198.

[3]- حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة مخلوقات الأشواق لإدوارد الخراط نموذجا، مكتبة الأدب المغربي، دار نينوي، سوريا، دمشق، دط، 2011، ص304.

3- علاقة المكان بالزمان:

إنّ " المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني ولكل رواية علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان، وتتسع هذه العلاقة بمجموعة من القيم الجمالية والاجتماعية والفنية التي تشكل فضاء الرواية حيث أن فضاء الرواية يتشكل من بعدين أحدهما أفقي والآخر عمودي مكاني"[1]

ويرى كمال أبو ديب " استحالة فصل الزمان عن المكان، فقد أطلق عليهما مصطلح جمع بينهما أسماه الزمكان، وبذلك يتسع مفهوم الفضاء ليشمل الزمان والمكان معا، وأن كلا منهما لا يتحقق من دون الآخر"[2]، كما أنّ الزمان هو " الذي يعطي المكان ملامحه وأشكاله التي تختلف من عصر ومن حضارة إلى أخرى فالمكان لا تتجلى أبرز صفاته الجمالية إلا من خلال الزمان "[3]

نرى أن المكان والزمان متلازمان بحيث لايمكن تصور وجود أحدهما دون الآخر، كما أن كلاهما لا يتحقق دون الآخر، فالزمان والمكان عملة بوجهين لايمكن فصل أحدهما عن الآخر " ففي الزمكان الروائي يتداخل الزمان بالمكان فينمو التاريخ فالتاريخ ينشأ من اجتماع الزمان بالمكان"[4]

هذا ونشير إلى أن المكان يكتسب " قيمته الفية والموضوعية بتحويله إلى وعاء للزمان ومن خلال المكان والزمان تحقق الشخصيات كيانها الذاتي والاجتماعي والتاريخي وفق مجموعة عوامل تشكل محيطها الوجودي ويمتلك المكان القابلية التكثيفية للزمن فيه، إذ أن وطيفة المكان تتمثل في احتواء الزمن مكثفا في مقصوراته المغلقة التي لاحصر لها "[5]

علاقة المكان بالزمان علاقة وثيقة بحيث يستحيل فصلهما عن بعضهما البعض، فالزّمان مقياس للتغيرات التي تحدث في المكان والمكان إحتواء للزمن المكثف، وهذا ما تذهب إليه حنان محمد موسى حمودة بقولها " أما علاقة المكان بالزمان فهي العلاقة التي تشكل المحور الأساسي بالاعتماد على النظرية النسبية لأنشتاين التي بيّنت مدى ارتباط المكان بالزمان ارتباط لا انفصام له"[6] و"هكذا يتخذ المكان شخصية زمانية "، هذا وتضيف أنه " يمكننا أن نميز بين نوعين من الزمان : الزمان الرياضي الفلكي

---

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 80- 81

[2].حسين علي الدخيلي، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصر الجاهلي والإسلامي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص 16.

[3]- محمد السّيد إسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، دائرة الثقافة والاعلام، دط، د.ت، ص 19.

[4]- المرجع نفسه، ص 122

[5]- ضياء غني لفتة، سردية النص الأدبي، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص28.

[6].- حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، د.ط، 2006، ص 113.

والزمان الوجداني، فالزمان الرياضي الفلكي هو : اسم يدل على الوقت يقاس بالسنين والأيام أو الساعات، ويتكون من ماضي وحاضر ومستقبل، أما الزمان الوجداني فهو احساسنا الداخلي بالزمن فليس له وجود مادي محدود، وهو زمن مصبوغ بالانفعال وثمة من يسمّه بالزمن الفلسفي لأن الثاني ينضوي في الأول أي أن الوجداني قد يكون فلسفيا وقد لا يكون إلا أنني أحبذ تسميته الزمن الالزامي فسواء كان هذا الإنسان فيلسوفا يفلسف الأمور بما فيها الزمن، أو إنسانا عاديا يعيش الحياة بدقائقها فلديه لحظات مصبوغة بالانفعال يعبر عنها ولحظات أخرى فلسفة"، وهذا ما يذهب إليه أحمد حمد النعيمي بقوله أنّ العلاقة بين المكان والزمان علاقة وطيدة ووثيقة بحيث " لا تنفصم كما أن العلاقة بينهما وبين العناصر الروائية الأخرى هي علاقة حميمة "[1]، ويضيف أنّ " المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية والجيولوجية والأركولوجية كما لها ذاتيتها التاريخية "[2]

نستنتج أن المكان والزّمان متصلان ومرتبطان لا ينفصلان عن بعضهما، وهما مكونا الفضاء في الخطاب الرّوائي وعلى علاقة حميمة بالعناصر السردية الأخرى.

ويؤكد الناقد حسين محمود أنّ " المكان والزّمان سواء في العالم الواقعي أم في العالم القصصي التخيلي متلازمان أو هما توأمان إذ أن المكان بمثابة وعاء للزمن، ويمثل كذلك إطار الأحداث في العمل الروائي والخلفية التي تقع فيها الأحداث"[3]، وتقول سيزا قاسم " إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه "[4].

إذن علاقة الزمان بالمكان هي علاقة تلازمية ووطيدة ولا يمكن الفصل بينهما، فالعلاقة القائمة بينهما وطيدة ، بحيث كل واحد يستدعي الآخر بحكم علاقة الاتصال والترابط الوثيق بينهما، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال فصلهما فهما متلازمان، فالعلاقة بينهما علاقة ترابط وتداخل واتصال، وتلازم وتلاحم وغير منفصلان عن بعضهما البعض .

" والزمن الروائي عند سيزا قاسم – مثلما هو عند غيرها – لا يخلو من أن يكون حالا على الحاضر، أو المستقبل، أو الماضي. والحدث الذي يروى هو بالنسبة للراوي شيء قد مضى، وهو بالنسبة للقارئ

---

[1]- أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص 81.

[2]- المرجع السابق، ص 82

[3]- حسن محمود، الضفة الأخرى دراسات في الثقافة والأدب والنقد، دار وائل ، الأردن، ط1، 2008، ص 339.

[4]- سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، د.ط، 1985، ص 102.

حدث معيش كما لو أنه يجري في أثناء القراءة، ولهذا كان الماضي عند الراوي حاضرا عند القارئ."[1]، كما أنّ "المؤلف يذكر في العادة زمن وقوع الحوادث، والمكان الذي دارت فيه، وجرت، والأشخاص الذين هم محور تلك الوقائع."، فالمكان والزمان وجهان لعملة واحدة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر لارتباطهما الشديد، وتحكمهما علاقة متينة ووطيدة إلى جانب العناصر السردية الأخرى.

[1]- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2009،ص 11.

الفصل الثاني

أنواع المكان في رواية " وطن من زجاج" لياسمينة صالح

ملخص رواية وطن من زجاج

ياسمينة صالح كاتبة جزائرية من مواليد 1969 بالجزائر العاصمة من عائلة جزائرية مناضلة، تخرجت من كلية علم النفس بجامعة الجزائر ثم اشتغلت بالتدريس الذي انسحبت منه للتوجه إلى عالم الصحافة. تعد رواية وطن من زجاج من أعمالها الأدبية التي كتبت سنة 2006 مباشرة بعد الإرهاب الذي عرفته الجزائر والواقع المأساوي الذي عاشه الوطن فترة التسعينات ما أطلق عليه زمن العشرية السوداء.

صورت الكاتبة في رواية وطن من زجاج واقع الوطن الجزائر بمدنه وقراه وشوارعه وأحياءه الشعبية وشعبه البائس من خلال شخصياتها الروائية وسرد الأحداث الأليمة على لسان السارد والشخصية البطلة "لاكامورا" الذي أخذ على عاتقه تعرية الشخصيات وفضح المستور وكشف الحقائق من خلال عمله كصحفي بالجريدة.

تبدأ أحداث الرواية من المقهى مكان اللقاء مع عمي العربي الشخصية الثورية المناضلة وسرده للحكاية عن وطنيته ونضاله زمن الاستعمار ليشهد اليوم واقع الوطن المأساوي نتيجة الفكر الخاطئ والصراع الإيديولوجي وحزنه على اغتيال صديقه الرشيد ضابط الشرطة أثناء تأدية واجبه، وشعوره بالحزن معه، وتبادلهما أطراف الحديث عن الأوضاع المأساوية والاغتيالات التي لا تنتهي على يد الإرهاب، والإصغاء لحكايته التي لا يمل من سردها بالمقهى كأنها برنامج إذاعي مسجل، إحساسه الكبير بالوجع جعله يغادر المكان بعد عدم قدرته على قول أي شيء لعمي العربي، وتذكر سؤال الرشيد عن كتاباته وما يكتبه؟ ومن يكون؟ فوجد السارد نفسه حائرا أمام سؤال الرشيد ويسأل نفسه من يكون؟ فيروي لنا تفاصيل قصته التي يتذكرها وتعود أحداثها إلى العام الصيفي 1972 عندما كان طفلا صغيرا يعيش في القرية مع جده الإقطاعي، كان في سن السادسة من العمر حينما كان يجرّه ويصطحبه معه إلى نزهاته في أطراف القرية والمشي على الأرض التي كانت ملكه وتحمل اسمه جنان الحاج عبد الله، حيث أهالي القرية كانوا يعملون عنده في أرضه الواسعة التي كانت مصدر قوتهم وعيشهم، كما كانت له سلطته في القرية بعد رئيس البلدية الذي كان يتفاوض معه من أجل مشروع الطريق الذي يمر على القرية ، وعلاقة الصداقة الغامضة التي كانت تربطها المصلحة، تلك المصلحة التي لأجلها هرب والده من القرية بعد وفاة زوجته أثناء ولادة لاكامورا، قرر الهرب على الزواج بابنة رئيس البلدية التي سبق لها الزواج مرتين الطلاق مرة واحدة وفي الثانية مات زوجها في حادث غريب. الجدّ كان يرغب في توسيع أرضه من خلال هذا الزواج لكن هروب ابنه الوحيد كسر ظهره ، ولم يبقى له إلا ابنته المشلولة في سن الثلاثين عجز عن تزويجها، وهي عمة لاكامورا التي عوضته عن حنان الأم، فكانت الصدر الحنون والدافئ الذي يعود إليه، ويتقاسم معها غرفة البيت، وجودها خفف عنه حدة اليتم والعزلة التي كان يحس بها، خاصة بوجود أقرانه ونظرة أهالي القرية

وحديثهم الذي لا ينتهي وتطيرهم بوجوده بينهم خاصة بعد غرق أبنائهم في وادي القرية وتحميله السبب بعودته حيا إلى أحضان عمته سالما، فأطلقوا عليه لقب لاكامورا، وتعني ببساطة من لاحق له في الموت براحة، فيكتشف مع الوقت أنه لم يفكر يوما في استدراج ابني المعلم إلى الوادي، المعلم الذي كان ينتقد الأوضاع المزرية للمدرسة الوحيدة في القرية النائية، لقد كان عطوفا مع لاكامورا ويربت على كتفه ويمسح على رأسه دون لوم أو عتاب، ويطلب منه أن يكون مختلفا عن جدّه الإقطاعي، كان يدرك لاكامورا أنّ جدّه لا يحب المعلم ويكن له الضّغينة لوعيه، ولأنه لا ينصاع لأوامره، حيث كان يخطب في مسجد القرية في صلاة الجمعة و يطلب من أهالي القرية أن يتحرروا من الإقطاعية، لأن الناس أحرار لا يستعبدون. المعلم كان يعطف على لاكامورا ويشفق عليه ويهتم به لأنه طفل يتيم وصغير يحتاج للرعاية والاهتمام، ولأنه كان مختلف عن جدّه الإقطاعي وعن أبناء القرية، وتميزه بالطيبة والذكاء، ففتح له بيته الذي لم يكن يستقبل فيه أحدا، ليجد فيه العطف والحنان والدفء الذي كان يفتقده، و إحساسه بالحب والطفولة، بيت المعلم كان ملحقا في المدرسة،كان يسكن فوق السطح في غرفة شبه ضيقة مع زوجته وابنيه، والطابق الأول يسكنه المدير ومعلم اللغة الفرنسية.

صداقة لاكامورا لابني المعلم لم يرضاها الجدّ، لكنّ الحفيد لاكامورا لم يكن يأبه لذلك ولا لأقاويل سكان القرية بخصوص علاقته معهم، وتعود التردد على بيته واللعب معهما، و اصطحابهما إلى البيت العائلي وإلى الأرض والجري في الحقول وتسلق الأشجار العالية لرؤية القرية والكون من الأعلى، فقد أحب المعلم وابنيه وزوجته التي كانت دائما تبتسم له وتعطف عليه مثل ابنها، فأحبهم وتعلق بهم وأحس بالسعادة بوجودهم في حياته. ويواصل السارد سرد أحداث حياته وفي بحثه عن ذاته وخيبته بعد رحيل المعلم من القرية وانتقاله إلى العاصمة بعد توقيفه عن العمل من وزارة التربية التي طلبت منه العودة إلى العاصمة وقد تزامن ذلك مع انتهاء العام الدراسي وزيارة رئيس البلدية والجدّ للمدرسة، أين ألقى المعلم خطبة الوداع على مسمع الجميع وانتقاده للوضعية المزرية للمدرسة الوحيدة بالقرية النائية، كلمته التي أثارة دهشة الجميع بمن فيهم المدير الذي ظل شاحبا قريبا من الإغماء، فكان نتيجة ذلك توقيفه عن العمل تأديبا لتطاوله. رحيل المعلم وأسرته عن القرية جعل الحفيد الإقطاعي لاكامورا يحس باليتم من جديد وإحساسه أن القرية فارغة من دونهم وأصبح المكان موحشا، والعطلة مملة ورتيبة، فأصبح يقضي وقته في الانتقال بين غرفة عمته والإسطبل الذي كان يعمل فيه شخص مهذب وكتوم يقوم بالاعتناء بالإسطبل، وعلم فيما بعد أنه طلب يد عمته للزواج ورفض جدّه، فأصبح جسر تواصل وحلقة وصل بينه وبين عمته بنقل الرسائل إليها والتي لم يكن يفهمها غيرهما .

وذات يوم طلب عامل الإسطبل من لاكامورا أن يأتيه برد العمة مباشرة بعد وصول الرسالة إليها وقراءتها، لكنها لم ترد فتوجه عامل الإسطبل مسرعا نحو الجدّ ولم يدري ما الذي جرى بينهما يومها، وبقي لاكامورا ينتظر في الإسطبل رجوعه إلا أنه لم يعد منذ ذلك الحين، فتوجه إلى العمة ليجدها تبكي بحرقة والجدّ غاضب جدا وثائرا صوته يصل إلى البيت كلّه مما أثار خوف العمة وانطوائها على نفسها، وخوف الحفيد لاكامورا من أن ينقلب الجدّ عليه لأنه كان صديقا لعامل الإسطبل وقام بإيصال الرسائل المهمة بينهما ، يومها اتصل الجدّ بالشرطة واتهم عامل الإسطبل بالسرقة فاضطر إلى الهرب خوفا من السجن. اكتشف الناس فيما بعد أن عامل الإسطبل طلب يد العمة للمرة الثانية والجدّ رفض ذلك، فاستغربوا رفضه تزويجها وهي المشلولة التي لن يتزوجها أحد، وفجأة ودون سابق إنذار ماتت العمة فوقف الحفيد لاكامورا على جثتها الممددة وسط الدار مصدوما ويبكي بحرقة شديدة على فقدانها وتذكر أنه لاكامورا الذي ارتبط وجوده برحيل الذين أحبهم، موت العمة لم يكن عاديا بالنسبة لسكان القرية وارتبط موتها برحيل عامل الإسطبل، وانتشرت الإشاعات في القرية كاللهيب ونظرات الشفقة و التشفّ في عيون الناس للجدّ ، الأمر الذي قسم ظهره وأسقطه طريح الفراش عاجزا عن الحركة، وظهر طمع رئيس البلدية الذي أصبح يتردد على الجدّ كل مرة مستغلا مرضه ومساومته في بيع الجزء الأيمن من الأرض التي بجانب الوادي، وهكذا تنازل له شيئا فشيئا عن الأرض حتى باعه إياها، فقد كان يعلم الجدّ أن حفيده لن يختلف عن ابنه الذي رحل وترك كل شيء وراءه، وهذا ما كان يعلمه الجميع وخاصة رئيس البلدية الذي استغل الموقف لصالحه، وتحصل على الأرض مصدر عيش أهالي القرية، وزاد جشعه في الحصول على البيت كذلك، فقد كان يعلم أنّ الجدّ ليس له أحد سوى حفيده الذي كان ينتظر إنتهاء دراسته الثانوية للحصول عليه، فقد كان هذا هو الإتفاق الذي أبرمه الجدّ قبل وفاته. وفي الخامسة عشر تفوق لاكامورا في دراسته الثانوية رغم كل شيء انتقاما من الوضع ومن نفسه، ولأجل حلمه بالمغادرة من القرية نحو المدينة العاصمة حتى لا يكون وحيدا وبائسا مثل أهالي القرية الذين استعبدتهم الأرض وحتى لا يكون مثل جدّه، ولأجل الوعد الذي قطعه للمعلم كان يتفوق دائما في دراسته، وفي سن التاسعة عشرة حيث كان في سنته الأخيرة في الثانوية والتحضير للبكالوريا، وذات يوم عاد متعبا حد الموت إلى بيته فوجد جدّه قد فارق الحياة والناس مجتمعين في بيته، فأجهش بالبكاء ووجد رئيس البلدية بجانبه يصافحه ويقول له لقد أصبحت رجلا ويمكنك الاعتماد على نفسك، ليصافحه ويدرك أن الاعتماد على النفس يبدأ بالرحيل من القرية.

إنتقل الحفيد لاكامورا إلى العاصمة ليواصل دراسته الجامعية فسجل بكلية العلوم السّياسية دون حماس، كان يدرس فقط حتى لا يكون عاطلا في نظر الآخرين، ووجد نفسه دائما يبحث عن ذلك المعلم

الذي رحل من القرية. في العاصمة كان يشعر أن عالم الجامعة لوحده يعكس واقع البلاد وأنه خرج من قرية نائية صغيرة ليجد نفسه في قرية كبيرة أكبر بؤسا وموحشة، كما أحس فيها أن الناس اليتامى كثيرون حتى بوجود أبائهم، فالكل يتحدث عن الماديات ومكانة أبائهم في المجتمع، والوساطة الفاضحة حتى في أبسط الأمور، والتباهي في الحرم الجامعي بامتلاكهم للسيارات والبطاقات التي يشهرونها على أنّهم أبناء الأسياد والثروة لحل مشاكلهم اليومية، كما لاحظ أن المدينة العاصمة كانت تعيش الفقر والأوضاع المزرية لسكانها الذين يحرمون أبنائهم الصغار من ارتياد المدارس لأنهم لا يملكون ما يسدون بهجوعهم وغير قادرين على توفير ثمن الكتاب وثمن الخبز معا. إنصدملاكامورا في واقع المدينة العاصمة والوضع المزري الذي يعيشه الناس، وعدم اهتمامهم بالدراسة واهتمامهم بالعمل كيفما كان لكسب قوتهم، ذلك أنّ الشهادة العلمية لا تعنيهم، فمصيرهم البطالة لا محال بوجود الطبقية وأبناء الأسياد، والوساطة التي تطغى في كل أرجاء البلاد. لاكامور كان متفوقا في دراسته الجامعية ومواظبا ومنضبطا في الحضور، وتفوقه في الدراسة جعل الأساتذة الجامعيون يقترحون ضمه إلى جريدة الجامعة، وقتها كان في السنة الثالثة حين أشرف على صحيفة الجامعة التي أيقظت فيه روح الصحافة، ووجد أنّها المجال الذي كان يبحث عنه ليكتب كلمته عن قناعة، فأحس لأول مرة في حياته أنه إختار شيئا لم يدخله عن خطأ بعد رحلة البحث عن ذاته. وبعد تخرجه من الجامعة توظف في جريدة حكومية كصحفي حيث إلتقى بزميله السابق في الجامعة المهدي، فيكشف لنا عن شخصيته وممارساته المشبوهة التي كان يقوم بها في شقته مع نبيل الطالب الجامعي الذي مات في حادث مرور مفاجئ بسيارة سبور حمراء تعود له، والذي ادعى والده أنها سرقت منه يوما قبل حدوث الجريمة حتى لا يفتضح أمره، وحدثنا عن شقته التي كان يملكها ويرتادها النساء، وكذا أصدقاءه لأجل المصلحة وقضاء مآربهم والإحساس بالمتعة، الفضول لمعرفة ما يجول بالشقة جعل لاكامورا يقبل دعوة المهدي بالذهاب معه إلى الشقة، لكنه رفض التورط فيما كان يجري هناك من عبثية لأنه كان يعلم أن ذلك سوف يسيء إليه طويلا. فيستغرب اليوم في أمر المهدي وحديثه عن الزوجة المتحجبة المثالية التي لم يذقها رجل في شقته الصاخبة، وأمنيته في أن يجدها ليتزوج بها بعدما عاش متورطا ومستهترا، وطائشا يحتمي وراء سلطة والده الذي كان مسؤولا قبل إحالته على التقاعد، فيسرد لنا قصة المهدي وكيف عاش على حساب غيره وهو في سن 21 من عمره، وكشف لنا شخصيته، بعد لقاءه بالجريدة اليومية، وجده زميلا معه بالصحافة فتبادل معه الحديث عن البلاد ووضعها الأمني والاغتيالات وعن الوطن والصحافة وواقعها في البلاد، ورغم ذلك الواقع إلا أن لاكامورا كان يشتغل في الصحافة وعن إصرار رغم أن الكتابة في تلك الظروف كانت في نظر الأسياد وقاحة، وتتحول إلى تهمة القذف والتشنيع. وبعد عامين بالعمل في الصحافة المكتوبة، اكتشف لاكامورا أنه لا جدوى من الصحافة فقلت كتاباته

خاصة وأن رئيس التحرير كان يلغي مقالاته وما يكتبه بحجة أنه صحفي وليس شرطي اجتماعي لمساءلة المسؤولين، وحدثه عن الصحف المستقلة التي بدأت تظهر في أواخر الثمانينات التي تتناول الوطن وانتقادها للأوضاع الداخلية للبلاد، فأحس بالإحباط وفكر في الاستقالة، ولكنه ذات مرة وجد نفسه ينتقي صحيفتين مستقلتين ظهرتا في تلك الفترة ورأى اسم النذير الذي بحث عنه طويلا، فتذكر المعلم وطفولته التي تقاسمها معه، وحب الطفولة لتلك الصغيرة التي تركت له عقدها كذكرى لازال يحتفظ به، فأخذه حنينه إلى الجريدة المستقلة بحثا عن النذير، فكان اللقاء بعد توتر شديد وحيرة وشعوره بخيبة الأمل لأنه لم يعرفه لو لم يذكر له القرية، فتعانقا واندهش كيف أنه زميل له في الصحافة واستغرب إختياره لهذا العمل، ثم روى له حكايته في وقت قصير عن وفاة والده الذي صار حمالا في الميناء، ومرضه الذي أدى إلى موته حاملا معه حزنه وانكساره الكبير حيث كان أنذاك في الثانوية العامة، وعن والدته التي عملت في مصنع الخياطة القريب من البيت لإعالتهم وتدريسهم، وعن أخته التي أصبحت طبيبة، وعن شقيقه الذي ولد في العاصمة بعد مغادرتهم القرية، وحدّثه عن عمله بالصحافة ورئاسته للقسم السياسي في صحيفة مستقلة، و عن حلمه بأن تكون له جريدة مستقلة خاصة به، حدثه عن كل شيء، وعن والدته التي لا يزورها بسبب الاغتيالات في الشارع الذي يسكنه، فقد صار الحي خطيرا منذ صارت مقالاته مقروءة. لقاءهما كان له أثر كبير كما أصبحت حياة لاكامورا أقل وحدة وعزلة بوجوده، فقد كان يزوره في شقته الصغيرة ويحدثه أن قيمة الإنسان في دفاعه عن قيمة وطنه وعن قناعاته التي وجد أنها لا تختلف عن والده، وذات يوم جاء النذير إلى بيت لاكامورا ليلا لإخباره عن تحقيق حلمه وتأسيس جريدة مستقلة خاصة به اسمها مدى الجزائر، واقترح عليه العمل معه ليوافق دون تفكير وفي اليوم التالي من انطلاق الجريدة اعترف لاكامورا للنذير بحبه للمكان الذي كان مستودعا للخردوات، وأخبره النذير أنه في زمن الفجيعة والحقيقة التي يجب أن يكتبا عنها، فتذكر لاكامورا الرشيد وشعر بالخوف بعدما أصبح معروفا في سنة واحدة من العمل، خاصة بعدما أصبح الصحفي في المدينة مشروع ضحية ومقتول على يد الجماعة المسلحة. ثم حدثنا عن المجازر التي كانت تحدث ويقوم بالكتابة عنها بعد الانتقال إلى مسرح الجريمة، كانتقاله إلى مدرسة بقرية نائية تعرض سكانها لمجزرة لم ينج منها إلا القليل وعن قرية أخرى بضواحي مدينة المدية تعرضت هي الأخرى إلى هجوم المسلحين، وقتل ثلاثين شخصا من أفرادها، وكيف أنه في كل مرة يذهب لتغطية واقعة الموت والمجازر، وعن الواقع المأساوي الذي يعيشه الوطن في غياب الدولة والمسؤولين، وعن التهديدات التي كانت تصلهم من الجماعة المسلحة المكتوبة باللون الأحمر. وذات يوم قرر صديقه النذير زيارة والدته فقام بدعوة لاكامورا مرافقته إلى بيت العائلة في الحي الشعبي، وكم كان سعيدا بذلك رغم الحزن الذي خيم على الجميع، لأنهم يعلمون أن الصحفي مشروع للقتل على يد

الإرهاب، إلا أن ذلك لم يمنع من زيارتهم وسعادته بلقاءهم ورؤية أخته حب الطفولة. لينقلنا بعدها إلى الحديث عن عمله في الجريدة التي أسسها النذير، والتي في سنة واحدة ارتفع توزيعها بشكل ملفت وتزايد عدد قراءها كونها موجهة للشعب الذي فقد أمنه وحريته، ولكنه لم يفقد الرغبة في قراءة الجريدة يوميا، وعن تزايد أرباح الجريدة مما أدى إلى الانتقال إلى مقر آخر في مبنى دار الصحافة. وذات يوم كان لاكامورا في المكتب فتلقى اتصالا هاتفيا يخبره أنه تمّ إطلاق النار على النذير عندما كان عند والدته، وأنّه عند مغادرته صباحا أطلقوا عليه الرصاص ونقل إلى المستشفى، تلقى لاكامورا الخبر كالفاجعة فوجد نفسه يركض في الشارع من مقر الجريدة إلى المستشفى مصدوما وحزينا ليصل مقطوع الأنفاس والنذير في غرفة العمليات لإصابته البليغة ودخوله في غيبوبة، أسبوعا من بعد استطاع الأطباء أن يخرجوا الرصاصتين من جسده، أما لاكامورا فكان دائما يقف في آخر الممر ينتظر الطبيبة أخت النذير وحب الطفولة الأبدي التي من أجلها هو في المستشفى في حالة إنتظار، وأصبحت المستشفى وجهته التي يقصدها من أجل رؤيتها ولو من بعيد، فيجلس في قاعة الانتظار القريبة من الممر حتى يراها فقد كانت حبه ووطنه الذي يبحث عنه منذ زمن بعيد، وذات يوم وهو في المستشفى كعادته ينتظر مرور الطبية أخت النذير ليتفاجئ بمرورها مع رجل يتأبط ذراعها فيصدم كمن يتلقى رصاصة، عندما رآها تقف أمامه وتقول عنه إنه زميل النذير في الجريدة وصديقه، وأن هشام خطيبها، تلك الصدمة التي أفقدته الحياة والذهاب إلى العمل والمستشفى، وأصبح يقضي وقته في التسكع في الشوارع كمن يبحث عن رصاصة تنهي حياته التعيسة، وبعد أسبوعين شعر بتأنيب الضمير وتذكر أنه لولا الاتصال الهاتفي الذي تلقاه من زميله الصحفي كريمو الذي طلب منه إرسال بعض الصور المتعلقة بمجزرة وقعت في مدينة البليدة ولولا انتظاره له لرافق النذير لزيارة والدته ولأصيب بدلا عنه. ثم انتقل السارد لاكامورا بالحديث عن شخصية كريمو وسرد حكايته وكيف تربى في الملجأ لأنه غير شرعي وعن حياته و أنه تخلت عنه والدته وهو في سن الخامسة والزواج ثانية، وعن حياته المهنية وكيف دخل عالم الصحافة بالتقاطه الصور ودراسته في فرنسا ليتعلم فن التصوير، دراسته التي تكفل بها المعهد بعد مسابقة فاز فيها بتذكرة السفر إلى هناك ليعود إلى الجزائر بعد أن عرضت عليه وكالة الأنباء منصب عمل بها كصحفي، كما كشف عن خصوصياته في الارتباط بحبيبته التي رفض أهلها تزويجه إياها لأنه لقيط وغير شرعي وانتقامه منهم وتحول الحبيبة إلى عشيقة تتقاسم معه السرير بالشقة . كريمو الذي بسبب انتظاره بقي حيا وأصيب النذير برصاصة الإرهاب. وفي اليوم العشرين زار لاكامورا النذير في غرفة المستشفى وحضرت أخته الطبيبة وطلبت منه الخروج والجلوس في كافتيريا المستشفى بعد شعورهما بالتعب والإرهاق وبدأ بالحديث مع نفسه وعتابها ولومها لأنها لم تخبره عن خطيبها وهو الذي رسمها وطنا له و جعلها حبه الأبدي وعن خيبته بالبحث عنها وأنه مشروخ الكرامة

ليجد نفسه يخرج عقدها ويتأمله أمامها فتأخذه منه وتتأمله كمن يستعيذ ذاكرة فقدها وحين كانت ستتكلم جاءت الممرضة مسرعة تطلب منها الحضور حالا لأن حالة النذير ازدادت سوءا وليجد خطيبها أمامها، خطيبها الذي كرهه دون أن يعرفه وحضرت الوالدة والأخ الأصغر، وفي ذلك المساء الماطر مات النذير فأصبحت الحياة بلا قيمة وتافهة وبعد مرور شهر دخل السارد (لاكامورا) في حالة من الكآبة والعزلة ووجد نفسه مسؤولا عن جريدة فقدت الرغبة في الاهتمام بما تنشره وتحول من رئيس تحرير إلى مدير تحرير. وفي يوم ماطر عاد من مقر الحكومة بعد ندوة صحفية متعبا وهو يفتح باب الجريدة على زملاءه أخبرته السكرتيرة بخبر قتل المصور كريمو يومها رغب في الذهاب إلى بيت النذير لرؤية الطبيبة الحبيبة فقد أحاطه اليأس والشعور بالكآبة والانكسار وكانت هي الوطن الذي يفتقده والأمل الذي يعيش من أجله ولأجلها يتمسك بالحياة وإذ به يلتقي هناك بخطيبها الذي جاء هو الآخر لزيارتهم فجرى بينهما حوار عن البلاد التي تمشي إلى الكارثة وسأله عن جدوى الصحافة في هذا الخراب، لقاءه بخطيبها في البيت وحوارهما جعله يحس بالضغينة والقهر فخرج من بيتها بإحساس كبير باليتم ولأسابيع غير منتهية أحس بالإحباط الشديد واليأس مع الاغتيالات اليومية التي كانت تصل الجريدة، ولأنه فقد الأم والوطن وحب الطفولة فكر في الموت الذي لم يفكر فيه يوما، فبدأ يجوب الأزقة الخطرة والأحياء الشعبية، والتسكع في شوارع المدينة بحثا عن رصاصة تنهي حياته التعيسة في وطن جريح وبائس، وعن لاوعي منه يجد نفسه يتوقف عند المقهى القريب من بيت النذير ليرى حبه ووطنه الذي فقده وتفكيره في مغادرة البلاد خاصة بعدما وصلته دعوة لحضور منتدى إعلامي في سوريا، وأثناء استعداده للمغادرة نحو سوريا وجد نفسه يمشي في الشوارع ليجد نفسه في المقهى الذي كان يرتاده عمي العربي صديقه فتعرف عليه صاحب المكان الذي لم يتغير وأخبره عن الوضع والناس والمقهى الذي لم يعد آمنا، وأنّه صار مكانا يستقطب الإرهابيين ويصطاد ضحاياهم فيه فقرر تغييره إلى قاعة شاي تحمل اسم عمي العربي وتوظيف حارس يقوم بالحراسة والتفتيش، وتفاجئه بالخبر عندما سمع منه أنه تم اختطاف عمي العربي الذي كان شاهدا وحيدا على وطن انتهى إلى الكارثة فشعر بالصدمة وتذكر آخر مرة رآه فيها يوم اغتيال الرشيد وتذكر حديثه بخصوص الوطن وأن لا يكره الوطن لأنه جزء منه فشعر أنه كسر فرحة السفر بتلك الزيارة للمقهى وقبل أن يفيق من صدمته وقبل 12 ساعة من ركوبه الطائرة نحو سورية تلقى خبر وقع أمام عينيه كالصاعقة وهو انفجار سيارة مفخخة على مقربة من المديرية العامة للأمن عشرات القتلى من بينهم الضابط هشام خطيب أخت النذير حبه الأبدي ووطنه المفقود وقد كان مطالبا بأن يكتب افتتاحيته قبل المغادرة إلى سوريا لكن الخبر جعله صامتا وعاجزا عن الحركة لفظاعة الخسائر ووجد نفسه يغادر مكتب الجريدة مسرعا إلى بيتها في اليوم الثاني من الحادث، ولأنه لم يجد ما يقوله لها والصمت الرهيب يخيم على

المكان سألها عن والدتها التي كانت في غرفة مجاورة أنهكها الحزن، فجلس على حافة سريرها وإحتضنها وأجهش بالبكاء وهي كذلك وطلبت منه أن يكون أقوى من هذا وأن يتمسك بحق البقاء لأجلهم، تمنى لو سمع هذا الكلام من ابنتها التي كانت في الغرفة تلوذ بالصمت فحاول الانسحاب والرحيل لتمسكه الطبيبة من ذراعه والنظر إليها وضمها بقوة لتجهش بالبكاء في حضنه، هو الذي عاش حياته مشتتا بين الحب والرحيل واليتم والضغينة في وطن بائس يسكنه القتلة وعمّه الخراب والخوف، يجد حبيبته التي كانت ثورته ووطنه الوحيد والتي من أجلها يتمسك بالبقاء ومن أجل الوطن الذي وجده فيها، فقرر أن يكون استثنائيا ويكتب افتتاحيته لأجل أن ينتصر الحب على القتلة وعلى سوداوية الكون والمدينة والأشياء، لتبقى الرواية مفتوحة على أمل أن يعود الأمن والسلام للوطن .

أولا - الأمكنة المفتوحة :

1- الوطن :

عنوان الرواية "وطن من زجاج" عامل مساعد في توجيه القارئ إلى محتوى ومضمون الرواية، فهو بمثابة اللافتة الاشهارية والإعلان للعمل الإبداعي ، إنّه امتداد للرواية ومصرّح عن مضمونها، فالعنوان هو الذي " يتيح (أولا) الولوج إلى عالم النّص و التّموقع في ردهاته ودهاليزه لاستنكاه أسرار العملية الإبداعية وألغازها "[1] ، ومن خلال قراءة العنوان أول ما يتبادر في ذهن القارئ أنها تتحدث عن الوطن وهي تفيض بكم هائل من الدلالات فكلمة وطن تعبر عن الهوية، الانتماء، البلاد والمواطنة، أما عبارة "من زجاج" فتوحي بعدة دلالات فالزجاج رمز للصفاء والوضوح باعتباره شفاف يمكن من خلاله الرؤية الواضحة كما أنه يتسم بالنعومة، ومن جهة أخرى يتسم بعدم الصلابة و الهشاشة والرّقة حيث تبقى عليه الآثار بمجرد لمسه أو خدشه، كما أنّه هش وسريع الانكسار في حالة سقوطه ، وشيتأذى الجميع بشظراته المتناثرة.

الوطن من الثّيمات التي لها حضور كبير ومميز في رواية "وطن من زجاج" كما أنّه لم يشكل فضاء مفتوحا بل كان شديد الانغلاق وله حضور قوي مليء بالوجدان والمشاعر وانعكاسه على الحالات النفسية وتأثيره الكبير على كل شخصيات الرواية، الوطن في الرواية مثل الهوية والانتماء والوطنية، وهذا واضح وجلي بدءا من الإهداء " إلى الوطن الذي نحبه برغم كل شيء.. ونعيش فيه برغم كل شيء"[2]

الكاتبة في بداية الإهداء تفصح عن ألمها العميق والحزن على الوطن الذي مرّ بخيبات كثيرة وانكسارات متتالية، ولا زال يتجرع الألم والمعاناة، ويعيش حالة من الحزن والبؤس جراء الواقع المرير والمأساة التي لا تنتهي، واليتم و اللاأمل في وطن سكنه الطواغيت والقتلة الذين قتلوا الأمل والحلم، ولم يتركوا إلا الفراغ والانكسار، وذاكرة حيّة لا تموت شاهدة على الفجيعة التي مرّ بها الوطن الجزائر في التسعينات زمن العشرية السوداء، وهذا ما صرحت به " حين نستيقظ صباحا ولا نجد وطنا نتكئ عليه نكتشف حدّة اليتم والفراغ المهوّل الذي نجره يوميا في عمرنا الجاهز للانكسار. واليتم.. و اللاأمل..

إلى كل الذين يعتقدون أنّ حزنهم أرفع من خيباتهم الكثيرة. أرفع من سوء الطالع الذي يتربص بهم في مسيرة البحث عن وطن لا يسكنه القتلة.. ولا الطواغيت

---

[1]- خالد حسين حسين، في نظرية العنوان تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين حسين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2007، ص 06.

[2]- ياسمينة صالح، رواية وطن من زجاج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2006، ص 5.

إلى الذين رحلوا تاركين ذاكرتهم معنا"[1]فمن البداية تفصح الكاتبة في الإهداء عن مضمون الرواية بحزن وألم، وعن الحالة النفسية وخيبات العمر، والغربة التي يعيشها الناس في مسيرة البحث عن وطن لا يسكنه القتلة. رصدت الرواية من خلال شخصياتها الأحداث التي جرت في الوطن من جرائم شنيعة التي رحل على إثرها العديد موتا وهجرة، ولم تبقى إلا ذاكرتهم معنا في سرد الأحداث الشنيعة التي تجرعها الوطن على كل المستويات والأصعدة السياسية والاجتماعية والنفسية ، لذلك لا يمكننا تجاوز إهداء الرواية الذي يقودنا إلى فضاء النص " لأنها وعاء معرفي وإيديولوجي تختزن رؤية المؤلف وموقفه من العالم"[2].

الوطن عند ياسمينة صالح ثيمة لها وقعها على النفس والذاكرة التي لا تموت، إنه الوطن الذي نعيش فيه، وتضع من خلال شفافيته كل الشخصيات التي داخله بكل أبعادها ونفسيتها، فالوطن له بصمته في نفسية الشخصيات والكاتبة وما يعكسه على شعورها.، وقد كان حضوره بارز وجلي في الرواية وهو بؤرة الانطلاق بداية من الإهداء وتمهيدها الذي تكشف فيه عن أساها وحسرتها وحزنها على الوطن، وعلى الجيل الذي سيأتي ويكون أكثر يتما وفجيعة.

مزجت الكاتبة في روايتها بين الواقع والخيال، وجعلت من تاريخ الجزائر مرجعيتها الذي استمدت منه حدثا تاريخيا ترك بصمته، فقد صورت الوطن زمن التسعينات فكان الوطن شخصية رئيسة في الرواية، وجوهر العمل الأدبي ككل، فهو المكان موقع الحدث الأساسي الذي من أجله تمت الكتابة، لأنّ" الوطن هنا هو فضاء الهوية"[3]، هو ذلك الفضاء الذي ينشد أهله السلم والأمان، الوطن الذي تحول فجأة إلى بؤرة للعنف على يد الجماعة المسلحة والإرهاب.

الوطن كفضاء مفتوح وشاسع لا حدود لامتداده، إنه المكان الذي يسع الجميع، إنّه المسرح الذي تجري فيه كلّ الأحداث، إنّه مسرح الجريمة الذي ارتكبت في حقه العديد من المجازر الشنيعة و ضحية أعمال العنف والشغب والفساد والتهميش على مستوى الدولة والسلطة على حد سواء، فالوطن شاهد على انكساراته على يد أبناء المجتمع الواحد والصراع الإيديولوجي.

الكاتبة صورت المكان (الوطن) بكل أبعاده المختلفة السياسية والتاريخية، والاجتماعية، والثقافية والنفسية، وتأثيره على الشخوص الروائية ورؤيتها للحياة والمستقبل، ومن خلالها عبرت عن الواقع المأساوي والمزري للوطن والإنسان على جميع الأصعدة داخل الوطن، فتروي لنا الرواية على لسان بطل

---

[1]- المصدر نفسه، ص 5.

[2]- عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2009، ص 147.

[3]- عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، ص 23.

الرواية لاكامورا السارد بقلب مفجوع، ومرارة، وخيبته في وطن سرق اللصوص والطواغيت قلبه، والإحساس بالغربة، واليتم الأبدي في الوطن المفجوع وجراحاته التي لا تندمل.

الوطن المسرح الرئيسي للأحداث وصورة أخرى للواقع المرير، والحياة التي لا تخلو من الخوف والرّعب، والألم ،والحزن، والمعاناة، بل المأساة بكل ما فيها من قهر و شتات، وغربة، والخطر المحدق بالجميع في أي لحظة دون سابق إنذار. هذا هو حال الوطن في التسعينات زمن العشرية السوداء ، الذبح والمجازر الشنيعة تخيم كل الأرجاء، فالوطن بمدنه وقراه وشوارعه وأحياءه وشعبه البائس أصبح يعيش شتاتا رهيبا .

مثل الوطن في رواية وطن من زجاج الهوية والانتماء، والبحث عن الأمان، وهذا ما يتضح جليا من خلال حوار السارد الشخصية البطلة (لاكامورا) مع عمي العربيالشخصية المناضلة، و رمز الثورة والنضال، فقد مثّل الذاكرة الحية التي لا تموت،والشاهد على الأحداث التاريخية التي مر بها الوطن فترة الاستعمار الفرنسي للبلاد باعتباره من الثّوار القدامى للوطن، ها هو اليوم شاهد على واقع آخر في الوطن، فبعد الاستقلال وخروج الاستعمار يعيش أزمة أخرى وهي الإرهاب، الذي هدّد وحدة البلاد وتماسكه، وفرق أبناء الشعب الواحد، وزرع الخوف والرعب في القلوب، والنفوس، فالإرهاب " ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها، بل بفضاعتها ودرجة وحشيتها "[1] ، فقد عانى الوطن كثيرا من المجازر الوحشية على يد الإرهاب التي لم يسلم منها أحد، وبرزت ملامح المكان من خلال إختراق الشخصيات له، وتعرفنا عليه من خلالها، فقد كشفته لنا بقدر ما كشفها هو الآخر، فالرواية تبدأ الحكاية بالسرد عن الرشيد الذي يمثل أمن الدولة الذي تمّ اغتياله على يد الجماعة المسلحة " لقد مات في اشتباكات حين كان يطارد جماعة مسلحة "[2] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن البلد كان في حالة اضطراب و عدم استقرار نتيجة الإرهاب الذي طال سيادة الدولة، فضابط الشرطة يمثل أمن الدولة، وبالتالي المساسبه هو مساس بالنظام وزعزعة الأمن، ومن خلاله تمّ سرد حكاية الرعب والفوضى التي عمّت الوطن، وتهديد سلامة وأمن الوطن واستقراره. كما كشفت عن الأحداث وعن الصراع داخل الوطن الذي ذهب ضحيته صديق عمي العربي الرشيد ضابط الشرطة أثناء أداء واجبه في الدفاع عن الوطن باغتياله على يد الجماعة المسلحة، تاركا وراءه والدته وخطيبته، وحلمه في تكوين أسرة. إنّه الوطن الذي ضحى من أجله فهو يقدس الوطن، وباسم الواجب والوفاء للوطن يقوم

[1]- مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص 88.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص07.

بالدفاع عنه، وترخص حياته في سبيل أمن البلاد واستقراره، إنّه الوطن المقدس الذي يمثل الهوية والانتماء إلى البلد الجزائر الذي ضحى من أجله الشهداء، وهذا ما كشفه لنا السرد " الوطن حقيقة يجب الإيمان بها يا بني. الوطن ليس رئيس الجمهورية وليس الحكومة وليس الغيلان السياسيين، ولا الجلادين ولا السجّانين ولا المنفيين ولا المفقودين، ولا الخونة ولا الإرهابيين .. الوطن هو ما نتنفسه وما نستشعره .. هو الأعشاب التي نمشي عليها والعصافير التي توقظنا في الصباح، والمطر الذي يباغتنا عن غير موعد، والتحايا البسيطة التي لا نستوعب قيمتها إلا متأخرين "[1] نستشف أن الوطن هوية وانتماء و وجود ولا يمكن ربطه بالرجال فهو أكبر من ذلك بكثير، إنه الفضاء الذي يحضننا جميعا ونستنشق هواءه كل لحظة، عمي العربي رمز للوطنية الغيور على وطنه والمناضل الثوري، فقد رجله وشلّت يده اليسرى أثناء مداهمته للعميل الخائن للوطن، إصابته البليغة أفقدته الوعي وعند استعادة وعيه وجد الوطن يفاوض على آخر أيام الاستقلال. من خلال حديث السارد مع هذه الشخصية الثورية يكشف لنا عن الهوية والانتماء للوطن ووطنيته، وعن تعلق وحب الشخصيات للوطن، فعمي العربي يمثل الوطنية والانتماء للوطن وغيرته عليه رغم فقدانه لأوراقه الثبوتية، فانتماءه للوطن وحد كاف لإثبات هويته والوطنية التي تسري في عروقه ودمه وفي ذاكرته المعطوبة وإيمانه بهويته ووطنه الذي ضحى من أجله، "لا يمكننا أن نكره الوطن بسبب كرهنا للرجال الذين يحكمونه، الوطن أكبر من هذا بكثير !"[2] فالمقطع يكشف عن قدسية الوطن والانتماء وفيه دلالة على حب الوطن والانتماء إليه و أن الوطن أكبر من أن نربطه بالرجال وأن ندافع عنه من دون تبرير ودون انتظار المقابل "لا تصدق الخونة يا بني .. صدق أولئك الذين أحبوا الوطن، هؤلاء الذين ماتو قليلا أو كثيرا...صدّقهم حين يدافعون عنه دونما حاجة إلى تبرير شيء لأحد، ودون المطالبة بالمقابل من أحد"[3] فمن خلال الحوار نستشف أن الوطن بالنسبة للشحصية كيان فقد سلامته واستقراره بسبب الخونة وشخصية عمي العربي المناضل دلالة على المواطنة والوطنية والإخلاص والوفاء للشهداء والحب المقدس للوطن برغم كل الظروف والأحوال .

لا يمكننا الحديث عن الوطن بعيدا عن الشخصيات الرئيسة التي تتولى السرد وبخاصة شخصية لاكامورا الصحفي والسارد الذي يمسك بزمام سرد أحداث الرواية وتفاصيلها، فهويمثل صوت الشعب ورمزا له، إنّه من يقومبتقديم الأمكنة ويكشفها لنا، فمن خلاله تم الانتقال إلى الأمكنة واتضحت ملامحها، وفضح حقيقة المكان وصورته بالوقوف على الحقائق وتعرية الشخصيات ومعرفة حقيقتها

[1]- المصدر السابق، ص 11.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 23.

[3]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص12.

وكنهها. بدءا من حواره مع عمي العربي الذي يروي حكايته التي يربطها بتاريخ الوطن، وسرد حكايته للكل عن الوطن ووطنيته، وحبه الكبير للوطن دون ملل بحرقة وألم بعد أن وجد نفسه وحيدا دون عائلة، يروي حكاية الوطن والواقع الاستعماري الرّهيب الذي عاشه الوطن وراح ضحيته الملايين من الشهداء لتعيش الجزائر حرّة مستقلة، يتذكر تاريخه الأليم الذي على إثره فقد أعضاءه الجسدية، ونضاله في الثورة، ليعيش اليوم المأساة الكبرى مرة أخرى في الوطن لكن على يد أبناء المجتمع الواحد، وشاهد على واقع آخر داخل الوطن، واقع مأساوي ودموي، والشعور بالألم والقهر نتيجة الفكر خاطئ الذي راح ضحيته الرشيد.

يواصل السارد حديثه عن الوطن والوضع الذي آل إليه على كل المستويات من شتات وضياع، وتفكك وانقسام وحدته، وشعوره بالإحباط والضغينة للآخر، وللوقت والمكان "كيف يمكن احتمال شساعة قلب مكتظ بالكراهية للآخر. ولا يهم من هو الآخر، القائد أم القواد..لا يهم من الآخر الوطن أم اللاوطن ! كثيرا ما سألت نفسي عن الشيء الوحيد القادر على غسل قلبي من ضغينة الوقت والمكان؟ ما الشيء الذي يمكنه إعادة رجل مثلي إلى حب الوطن كما لو أنّه لم يرتكب ضدي شيئا، كما لو أنه لم يرتكب ضدنا شيئا "[1] يتضح أن المكان فضاء للضغينة والقهر، والحرمان في الوطن، كما يعكس لنا الحيرة والإحباط واليأس والقهر، وبوجود الشخصية في وطن يحس نحوه باليتم الأبدي وبالمعاناة التي لا تنتهي "من يشعر بالضغينة أكثر من شعب يفتقد إلى الحنان والدفء، شعب يعيش كيتيم تتقاذفه الأرجل، والملاجئ. أجل. من يحب هذا الوطن فعلا؟ ولكن الجميع يحبون الواجب. واجب الكلام، وواجب النقد وواجب الغضب وواجب الإحباط أيضا أمام الخطأ غير القابل للإصلاح. هل ثمة شيء اسمه الإصلاح في واقع كهذا الواقع؟ ما الذي يمكن إصلاحه إذا كان صاحب البيت بهذا المستوى من العبثية و اللاجدوى "[2] فالمقطع يكشف عن الواقع الحقيقي للوطن وحالة التهميش، والحرمان وعن الضياع، وهذا دلالة على الوضع المزري للبلاد وسوء التسيير وحرمان الشعب من أبسط الحقوق وشدة الإحباط واليأس من واقع لا يمكن إصلاحه أو تغييره في وطن تطغى فيه السلطة والقوة، ولا مكان للشعب الضعيف والمقهور، وخوفه من المطالبة بحقوقه، كما أن المقطع السردي يكشف عن العلاقة بين الشعب والدولة، وعن سوء الأوضاع في وطن يعيش شعبه القهر والحرمان من الأمن والطمأنينة والحرّية رغم شعور الجميع بالواجب أمام واقع يصعب إصلاحه في غياب الحاكم وعدم إحساسه بالشعب ومعاناته.

---

[1] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 80.

[2] - المصدر نفسه، ص 81

كما يكشف لنا السارد من خلال السرد صورة أخرى للوطن والواقع الحقيقي للبلاد، ويسلط الضوء على الفساد القائم في أنظمة الدولة وحكامها وكذا الهوة العميقة الموجودة بين الشعب والحاكم " هم الذين يخاطبهم الحاكم بعبارة أيّها الشّعب كما أنّه لو يخاطب سكان أمريكا الجنوبية "[1] فالسارد يتعرض بطريقة ساخرة للعلاقة التي بين الشعب والحاكم في الوطن وهي دلالة على الواقع المأساوي والتهميش والقهر الذي يعانيه الشعب في وطنه مما أدى به إلى الشعور اتجاهه بالكره والضغينة لأن فيه أحس بالحرمان والفقر و الإهانة والذل وهو في بلده ."الجزائري يحس دوما أنّ دولته كانت السباقة إلى إهانته . دولته التي بصقت في وجهه منذ ولادته، ورمته إلى ملجأ الأيتام الشعبي في مجتمع تحول إلى غاشي من الطراز الفريد !"[2] فالمقطع يكشف عن واقع البلد وواقع الجزائريين في وطنهم وتهميشهم من طرف الدولة وصورة اليتم والقطيعة بين الشعب والدولة في بلده الجزائر " أيمكن أن يجوع شعب مداخيله النفطية بالمليارات؟ أجل ! يقول النذير..في الجزائر أكثر من 15 مليون فقير، وأكثر من نصف الشعب يعيش على المحك. الموت والجوع والغربة والخوف والمجزرة. كلها أسماء لنفس الوطن أيضا، لنفس المكان الذي نكتشف شعاراته في وسط الشوارع الكبيرة على شكل الثورة من الشعب وإلى الشعب أية ثورة يمكن توريثها لشعب جائع قبالة براميل البترول التي تباع باسمه، و مداخيل النفط التي تذهب إلى جيوب اللصوص والمرتزقة؟"[3] فالمقطع السردي يكشف عن الوطن الجزائر المفتوح على حالة الضياع والتهميش والحرمان وعلى الواقع الاقتصادي للوطن والواقع الاجتماعي المزري لأبناء الوطن وفيه دلالة واضحة على استغلال ثروات الوطن وإدانة الحكام و المسؤولين عن سوء تسييرها وتهميشها للشعب.

كما أن الرواية تصف الوطن من خلال شخصياتها التي أبرزت لنا الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية والمجازر اليومية الشنيعة التي أدت بأبناء الوطن التفكير في الهجرة إلى الخارج " الجزائري الذي يقنع نفسه أنّه أنقذ جلده من الوطن، يجد نفسه في فرنسا يذهب إلى منطقة باريس المكتظة بالجزائريين والمغاربة و الأفارقة المقهورين"[4] دلالة أن الوطن مكان مفتوح على العنف والألم نتيجة الوضع الراهن في الوطن الغير مستقر و يعاني اللاأمن والموت يحاصر الجميع فالوطن أصبح يعيش مجازر يومية ولا حياة لمن تنادي في غياب الدولة التي جعلت الكل يفكر في الهرب من الموت " كنت أصغي إليه وأفكر في كل الكلام الذي سمعته عن المجزرة.. عن الوطن الذي لا يحمي أبناءه، وعن الدولة الغائبة في حضور الموت والعنف

[1] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 81.

[2] - المصدر نفسه، ص 84

[3] - المصدر نفسه، 88

[4] - المصدر نفسه، 84.

معا"[1] نستشف أن الوطن فضاء مفتوح على الموت، ودلالة على غياب الدولة وعدم وجود الأمن والاستقرار في الوطن وانتشار العنف والمجازر الدموية، الفضيحة التي تحدث كل يوم وتتصدر في الجرائد والصحف اليومية بالبند العريض دون تدخل الدولة في حماية أبنائها، والأكثر من ذلك تكذيب الخبر بوجود المجازر وهذا مايتضح من خلال السرد " أين هي الدولة؟ الدولة التي تكذب أخبار المجازر في كل مكان. تناشد المستثمرين كي لا يصدقوا أكاذيب الشعب البائس الذي يموت يوميا، وكي لا يصدقوا الصور التي تبثها وسائل الإعلام الدولية عن المجزرة الجزائرية في زمن العار اليومي. كانت الدولة تتهم الإعلام بأنه يسوّق للعنف وأن المجازر أكاذيب تلفقها المعارضة لهز صورة الدولة في المجتمع الدولي ! بينما الناس يموتون كل يوم اغتيالا"[2] دلالة على الوضع السياسي والاجتماعي داخل الوطن الذي لا يوجد فيه إلا المجازر والجثث ورائحة الدماء في وطن غابت فيه الدولة وتنصلت من مسؤوليها في حماية أبناءها الذين يقتلون كل يوم وتفشي الإرهاب والعنف و اللاأمن والرعب في الوطن أصبح عنوانا بالخط العريض يعلم به الخاص والعام، فالوطن أصبح قاب قوسين مقوقعا على نفسه في الداخل وصار أفقا ضيقا وصغيرا يتآكل يوميا على يد الإرهاب الذي شتت وفرق وهدد وقتل وكسر النفوس وقضى على السلم والأمان الذي ناشده الجميع بالنفس والنفيس.

هذا وقد تعرضت الكاتبة على لسان السارد إلى قضايا أخرى عاشها الوطن وهي طمس الدولة الحقيقة عن المجتمع الدولي وتكذيب أخبار الإعلام حول ما يعيشه الوطن من جرائم ومجازر ورعب وخوف ومعاناة لا تنتهي إلا بالموت، فكان الوطن فضاء الوحشة نتيجة العنف والقهر، وشعوره بالعداء والنفور "شهداء اليوم يشعرون أنهم كانوا لوحدهم، وأنهم عاشوا جوعهم وحزنهم وخوفهم لوحدهم. يشعرون أن موتهم أيضا كان عزلة في وطن يضاعف صوت الموسيقى الماجنة كي يعلن للعالم أن الجزائر بخير قادرة على إحياء الحفلات والرقص على ما تبقى من جراحها الملوثة"[3] فالمقطع يكشف عن واقع الوطن، والعزلة والوحدة والخوف والحزن الذي عاناه أبناء الوطن وتنصل الدولة من مسؤوليتها وعدم اعترافها بما يجري في الداخل من خلال إقامة الحفلات لتغطية الحقيقة الدموية والواقع المأساوي والمزري الذي يعيشه الوطن كما تطرح الكاتبة من خلال السارد قضايا أخرى تفشت في الوطن وكشفت الغطاء عن كل ما يجري داخل هذا الفضاء الشاسع الذي انغلق على نفسه وعلى الخارج فطرحت قضايا عديدة منها الانتحار والبطالة التي يعاني منها الجامعي وتهميشه من طرف الدولة. " أولئك الذين يختارون ميتتهم بأنفسهم، بالطريقة التي

[1]- المصدر السابق، ص 96.

- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص97.[2]

- المصدر نفسه، ص 107.[3]

يرونها الأنسب للموت، بدل انتظار قاتل سيأتي في الأزمة القادمة؟ كنت قد سمعت عن أولئك المنتحرين ....الشاب الذي قرر أن يحرق نفسه أمام أهله وسكان قريته. كان في الثلاثين من العمر. خانه الوطن حين أحاله على البطالة المزمنة "[1]. فالوطن تفشت فيه ظواهر عدة :الإرهاب وتهديد سيادة الدولة وكيانها، زعزعة النظام بالاعتداء والاغتيالات الشنيعة، انتهاك القانون من أصحاب الثروة والسلطة، العنف، الفساد، غياب الدولة والتهميش لأبناء الوطن، سوء الأوضاع الاجتماعية والمزرية والطبقية واستغلال النفود والقوة ،وتلفيق التهم وخنق صوت الرأي العام بالتهديدات، انتشار الخوف والرعب واليأس والاضطراب والقلق الدائم في النفوس بسب الإرهاب، "كنت أصغي إليه وأفكر في كل الكلام الذي سمعته عن المجزرة..عن الوطن الذي لا يحمي أبناءه، وعن الدولة الغائبة في حضور الموت والعنف معا "[2]، دلالة على أن الوطن أصبح مهددا بالشتات وتفكك وحدته وغياب الدولة في حماية الشعب الذي يواجه الموت يوميا والفزع والرعب، والخطر الذي يلاحق الشعب أينما كان متواجدا في الوطن، والقتل المفاجئ دون سابق إنذار ، فالوطن مهدد في كل لحظة وفي كل وقت و يتآكل تدريجيا بقتل شعبه واليتم الأبدي لأبناءه " لا أحد يعرف متى تنتهي دموع الوطن " فالمقطع يكشف أن الوطن في حالة إنكسار وألم وفيه دلالة على شدة الحزن والألم العميق، والخوف الرّهيب من سوداوية العنف الذي بات عنوانا لكل شيء، وتَارِك وراءه الألم و الجثث الهامدة المرمية في الأرض تنتظر من ينتشلها ويتعرف عليها.

إستطاعت الكاتبة عن طريق اللغة تشكيل المكان بأسلوب فني رائع ونقل صورة الوطن زمن العشرية السوداء الذي تفككت وحدته ومست سيادته بالعنف الهمجي والقتل العمدي على يد الجماعة المسلحة والإرهابية وعن اختلال " سلم القيم والمفاهيم العقدية، والسياسية، والأيديولوجية، إضافة إلى مسألة الهوية، اختلال أدخل الوطن في متاهة القتل، فاندثر معنى الوطن، واستبدل بالحزب، والعرق والجهة، يسلب الوطن دوره، ويفكك وحدة الانتماء ويطغى سلطان المال، ويتقهقر الفرد، وينكمش على ذاته،بعد أن فقد حريته، وأمنه وسط فضاء اجتماعي قاهر صنعته الفوضى"[3] فأصبح الوطن يعيش حالات الهلع والخوف الذي لا ينتهي وتفكير الخاص والعام في الهرب من البلاد لانقاد ما تبقى منه " أعترف أنني كنت واحدا منهم أولئك الذين كانوا يحلمون بالخروج من هنا، والذهاب إلى أبعد مكان في الكرة الأرضية "[4]

---

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 102.

[2]- المصدر نفسه، ص 96.

[3]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، بيروت، 2010، ص70.

[4]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 83.

فالوطن مفتوح على الألم وانغلاق على الخارج وهذا دلالة على تدهور الأحوال الأمنية وانعدام الأمان والاستقرار واستحالة تغيير الأوضاع في واقع يتحدث بلغة الرصاص ولا يمنح فرصة للكلام والموت لمن يواجهه .

كما يكشف لنا السارد الحالة النفسية الرهيبة التي وصل إليها الشعب الصغير والكبير في وطن أصبح خرابا ولم يبقى إلا الشعور باليتم والقهر والانكسار" بعد ان انتهى الوطن في عينيه مع نهاية أولئك الذين أحبهم وكانوا ذات يوم أهله..هل يمكن لوطن أن يعيش بعد المجزرة؟"[1] فالوطن فقد الأمن والطمأنينة والاستقرار وفيه دلالة على الألم والمعاناة الشديدة وفقدان الأمل والإحساس باليتم والضياع بعد فقدان الأسرة والحضن الدافئ، وفقدان الأمن والسلام في وطن أصبح مجزرة، ونتيجة لذلك أصبح الجميع يفكر في انقاد حياته والتفكير بالهرب والخروج من الوطن، الوطن الذي أصبح يعيش أزمة أزمة العنف والقتل العمدي على يد الإرهاب، لذلك كلّه أصبح الكل يفكر في الهروب خوفا من الموت الشنيع، فالوطن أصبح يعيش في الرعب والألم الذي لا ينتهي، ويعيش شتاتا رهيبا فالموت يهدّد الجميع وأصبح الهروب من الوطن أمرا محتما من أجل البقاء على قيد الحياة، هكذا أصبح الوطن في زمن العشرية السوداء، فقد الجزائري أمنه وحريته وحلمه بالعيش في سكينة وأمان و حلّ محله الهلع والرّعب والخوف الدائم من الموت الفجائي والقتل الوحشي على يد الجماعات المسلحة " حين كنت أنظر إلى خساراتي كلها ثم صار الجميع يبكي ..إلى أن رأيت الشيوخ يبكون على أشياء لم يكن لهم حق البكاء عليها قبلا..إلى أن رأيت الرجال يبكون على أشياء كانت يعيبهم لو بكوا عليها في وقتها إلى أن رأيت الوطن يبكي على شعب يموت كل يوم"[2] فالمقطع يكشف عن الوضع المأساوي للبلاد، وفيه دلالة على الواقع الرهيب والأليم الذي أبكى الرّجال الرّجل الذي لاحق له في البكاء هاهو اليوم يبكي ويبكي بحرقة شديدة ودموع تنهمر على وطن أصبح مكسورا ويموت شعبه كل يوم. فلم يبقى إلا الخوف والرعب والهلع يسكن النفوس ويعم كل أرجاء الوطن " أليس هذا ما لقنه لي الوطن؟ الخوف والخوف الكثير ؟ من ذا الذي يجرؤ على القول أنه تعلم من الوطن شيئا آخر غير الخوف؟ حتى حين نشعر برغبة في الحلم نخاف.حين نضحك نخاف. تقول عجائزنا عن لاوعي اللهم اجعل ضحكنا خيرا هو الخوف من الضحكوالحلم والفرح.الخوف أن تأتي مصيبة مهمتها معاقبة كل من حلم وتفاؤل وضحك ومرح وأحب "[3] المقطع السردي يومئ بدلالات كثيرة منها الدلالات النفسية والوجدانية والحالة الشعورية الرهيبة و الخوف الشديد الذي سكن النفوس وقتل الأمل والفرح والحلم في وطن يلقى

---

1. - المصدر السابق، ص72.
2. - ياسمينة صالح، وطن من زجاج ص 146.
3. . المصدر نفسه، ص 152.153.

مصرعه على يد الطغاة دون رحمة أو شفقة. " أجل .. ألم يكن الوطن جثة نتلمسها في حالات الخوف والبرد والبكاء. ألم يكن الوطن مقبرة يتكئ الناس على أسوارها. من يقتل من؟ لم يكن مهما معرفة من يقتل من منذ صارت الجريمة جماعية.. منذ صار القاتل يقتاد القطيع إلى منصة الخطابة ليشرح لهم أصول التفاوض على الميتات الأغرب، على القتل النمطي الذي يحوّل الجثة إلى شيء استثنائي وغير واضح المعالم ..بحيث لن يكون ثمة بكاء على الجثث أكثر من البكاء على من يظل حيا منتظرا دوره.. آآآآآه يا وطن !"[1] فالمكان أصبح مفتوح على الموت والعنف والألم، وعن الواقع المأساوي الرهيب للوطن البائس والحسرة والألم والمعاناة فالوطن أصبح كشاة يقوم الجزار بذبحها ويتفنن في تعذيبها قبل النحر على مرأى الجميع ولا أحد يحرك ساكنا لأنه مات رعبا وخوفا قبل أن يقتل، مات من شدة هول المشهد للميتات الشنيعة المروعة، وحده الموت ينهي عذاباتها والرعب الذي يسكنها.

الوطن رغم انفتاحه واتساعه إلا أنه أصبح مغلقا وشديد الانغلاق على نفسه زمن العشرية السوداء بفعل الإرهاب والقتل والاغتيال، فتحول الوطن الشاسع بمساحته عالما ضيقا ومغلقا على نفسه وعلى الخارج، وفضاء مفتوح على الموت والألم والجراح التي لاتندمل نتيجة انكساراته المتتالية وتحوله إلى قيمة مفقودة يفتقدها الجميع وينشدون الأمن والسلام في وطنهم المفقود " إلى هذا المآل الحزين والمأساوي وصل الوطن، تجزأ أحزابا، وجهات، فقد مركزيته وسلطته وأمنه، وتحول إلى رقعة يحكمها العنف والفوضى، وتوارى مفهوم الوطن، وكنتيجة حتمية اضمحلال حياة الفرد وانزوائه معتزلا، يفتقد الشعور بالانتماء إلى الجغرافيا التي هي الوطن بكل أبعاده السياسية والثقافية والعقدية، واللغوية، والتاريخية، نتيجة طبيعة العلاقات التي أرهصت بالنهايات، وأشارت إلى تراكم الأسباب والدواعي التي تفاقمت، إلى أن أدت إلى انهيار الوطن قيمة، وكيانا، وهوية، وانتماء، أدخلته في دوامة العنف في أبشع صوره"[2] ، وطن فقد استقراره وأمنه وسلامته وانغلق على نفسه وعلى الخارج وانعزل عن العالم .

كما وردت صورة الوطن في الرواية في شكل المرأة التي مثلتها شخصية الطبيبة، "وتحول خطاب المكان والفضاء إلى خطاب الذات الإنسانية وإبراز التعلق والارتباط بها."[3] وقد كان لها حضور بارز وقوي في الرواية وتأثير كبير على السارد والسرد فقد كانت الأمل والوطن الذي يبحث عنه ويلجأ إليها لحظات اليأس والشتات والضياع وهذا ما نستشفه من خلال العديد من المقاطع السردية " يا امرأة من زجاج، يا وطنا

- المصدر السابق، ص 79.[1]

[2]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 78.

[3]- محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر دراسة نقدية، موفم للنشر، الجزائر، 2014، ص 50.

عشته بتفاصيله الخاصة بي. يا دولة لم أعرف الدفاع عن هويتها.."[1] دلالة على أن المرأة الطبيبة رمز للوطن والبلاد والتي يتشبث الراوي من أجلها بالبقاء فالطبيبة رغم جراحها وحزنها وألمها لازالت صامدة وصابرة على معاناتها فهاهو من خلال النداء يصفها أنها امرأة من زجاج وهو إحالة على العنوان "وطن من زجاج" حالها حال الوطن الجريح، وهو يتشبت بالحياة والبقاء لأجلها ويحلم بغد يعمّه الأمن والسلام.

" من كان ليظن أن تكوني أنت ثورتي الخاصة وقضيتي الخاصة ومطالبي الخاصة؟ ألم أكن واحدا من الشعب؟ وجهك الذي كان وطني الوحيد. كان مطالبي الشرعية بالخبز والحرية والعدالة والمساواة.. وجهك الذي صنع بهجتي الأولى وارتباكي الأول وحنيني الذي عبره فقط كنت آتيك مجرّدا من الحجج.. لكم كنت فارغ اليدين من دونك. لكم كنت يتيما ووحيدا وباحثا عن الموت من دونك. كل الدروب التي قادتني إليك هي نفسها التي مشيتها بحثا عن وطن أردت أن أستعيده في اسمك السهل."[2] دلالة على أن المرأة الطبيبة تمثل الوطن الذي يبحث عنه السارد فهي الملاذ والملجأ الذي يلجأ إليه، والوطن هي الأم والحبيبة والحضن الذي يفتقده ويبحث عنه . " يا امرأة جزائرية مغرورة حد الدهشة. إبك في حضني سيدتي. إبك ما استطعت من الدموع والجراح. لا أحد يعرف متى تنتهي دموعك. لا أحد يعرف متى تنتهي دموع الوطن. لكن الوقت يمضي نحو ذلك الغد الذي لم أعد قادرا على الكفر به بعد اليوم."[3] نستشف من المقطع أن الطبيبة رمز للوطن الجزائر ، فهذه المرأة الصامدة بكل جراحاتها وآلامها تمثل الوطن وهي رمز للجزائر التي عاشت انكسارات شتى وتعاني من جراح لم تلتئم إلا أنها صابرة وصامدة تنشد غدا يعمّه الأمن والسلام والاستقرار، والسارد مصّر على البقاء لأجلها لأنه وجد فيها الوطن والأم والحبيبة .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص163.

[2]- المصدر نفسه، ص 174.

[3]- المصدر نفسه، ص 175.

2- قـريــة جنان الحاج عبد الله - الأرض/ البساطة - مكان الألفة :

يصعب الحديث عن المكان بعيدا عن الشخصيات لارتباطها الوثيق به، خاصة شخصية البطل (لاكامورا) الذي يقدم لنا الأماكن و يعرفنا عليها، إنها فضاء الطفولة والحياة البسيطة، والمكان مرتبط إرتباطا شديدا بهذه الشخصية التي عاشت فيه طفولتها وترعرعت فيه.

شكلت قرية جنان الحاج عبد الله الوطن الأم، واللبنة الأولى التي شكلت وكونت شخصية لاكامورا، إنها القرية التي نشأ وترعرع وتربى فيها وفتح عينيه فيها، فالقرية تبرز من خلال ذاكرته، فهو الذي يتذكر القرية ومظاهر الحياة فيها. هذه القرية شكلت فضاء رحبا مليئا بالأحداث، الحياة فيها قائمة على بساطة العيش والأرض مصدر الرزق والقوة، فقد كانت مصدر ثروة وقوة الجد الإقطاعي الحاج عبد الله، والقرية تحمل اسمه، إنّها مصدر سعادة وشقاء في ان واحد، كما كانت مصدر عيش الأهالي في هذه القرية النائية .

" تشدني تلك البداية من يدي، بحميمية ذلك العام الصيفي الحار من أعوام 1972.. أجل أتذكر أيامها وأنا في السادسة من العمر، حين كان يجرجرني جدي من يدي ويصطحبني معه إلى نزهاته الغامضة في أطراف القرية "[1] فمن خلال المقطع يكشف لنا السارد عن المكان الذي أحيته ذاكرته، وأيقظت حنينه للمكان وتذكر طفولته، فالقرية سكنت في ذاكرة السارد (لاكامورا) كونها الوطن الأول الذي نشأ فيه ومازالت تعيش في ذاكرته فقد تولى جده رعايته وعمته المشلولة التي كانت بمثابة أمه التي توفيت عند ولادته وغياب والده منذ ولادته فعاش يتيما وحيدا، القرية التي عاش فيها السارد طفولته ومنبع ذاكرته التي لم ينساها رغم انتقاله إلى العاصمة فقد كان دائما يعود وصلها عبر الذكريات التي لازالت عالقة بذاكرته.

" جدي الذي لا أتذكر من القرية شخصا بقدر ما أتذكره هو.. جدي الذي حين يراني يشدني من يدي ويجرني معه.. كنا نمشي على الأقدام على طول تلك الأرض الممتدة فوق تعب الناس. فوق عرقهم وأحلامهم الصغيرة أو الكبيرة، وكنت عبر تلك النزهات أتأمل مساحة الخير الذي كان يتباهى بها أمام الناس قبالة ملامح الفلاحين الذين يعملون عنده "[2] فالسارد وصف لنا المكان وجماله الطبيعي الخلاب وكشف لنا عن طبيعة القرية الساحرة و الفاتنة بأراضيها الخصبة و حالة الألفة بالاستمتاع بالتنزه في حقولها الخصبة والواسعة بامتدادها، فالقرية رمز العطاء والخير، والمقطع السردي يفصح عن قيمة الأرض ومكانتها، فقد كانت مصدر قوة الجد الذي يتباهى بملكيته لها، كما ينم السرد عن الحياة البائسة لمن كان يعمل فيها من سكان القرية ومن جهة أخرى تتجلى صورة القرية المرتبطة بالأرض وخيراتها والتي كانت

[1]. ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص28.

[2]-المصدر نفسه، ص 28.

مصدر سعادة وبهجة الحفيد والجد الإقطاعي من خلال النزهات والاستمتاع بالتأمل في حقولها وخيراتها التي كان يتباهى بها الجد الذي كان يحسب له ألف حساب في القرية النائية. "تلك الأرض التي صادف أن تحمل القرية أسمها جنان الحاج عبد الله الممتدة بين مداخل ومخارج القرية، فكان الناس يقولون قرية جنان الحاج عبد الله لم يكن لأحد حق مجادلة الاسم الثابث في أوراق القرية الرسمية، حتى حين قررت البلدية رسم طريق يلي القرية بين ناحيتين شرقية وغربية اضطر المسؤولون إلى التفاوض مع جدي على المشروع، لأن الطريق ستعبر أرضه، ولأنه سيد القرية الأهم بعد رئيس البلدية نفسه " [1] فالمقطع يفصح عن هوية المكان من خلال اسم القرية التي حملت اسم أرض جنان الحاج عبد الله وهذا دلالة على المكانة الاجتماعية للجد في القرية بملكيته للأرض مصدر قوته وهيبته في القرية التي تحمل اسمه بأوراق رسمية، كما تعبر عن الحياة الاجتماعية لسكانها المرتبطة بالأرض فقد كانوا يعملون في الأرض راضين بما يمنحهم لهم الجد الإقطاعي الذي كان يقنعهم بأن الأرض جزء من العرض وتعلقهم بها،" بموجب أرضه الواسعة وبموجب الذين كانوا يعملون في الأرض مستفيدين مما كان يمنحه لهم. كنت أسمع إلى بعضهم يتكلم عن رضا الفقراء الذين كانوا يقتاتون من أرضه مقابل أن يكونوا راضين تماما ومقتنعين أن الحاج عبد الله - الذي لم يكن مسؤولا تابعا للبلدية- قادر على فعل ما لم يقدر على فعله المسؤولون الرسميون أنفسهم كان يخاطب الناس أحيانا بعبارة إخواني ليمتص غضبهم في حالات الغضب، ويقول أبنائي ليجبر الشباب على العمل في أرضه دونما إضافات أو تهديد بالرحيل إلى المدينة التي كانوا يحلمون بها.. مع ذلك، كان يقنعهم أن الأرض جزء من العرض، وأن من يتخلى عن الأرض كمن يتخلى عن عرضه"[2] فالأرض مصدر قوة ورزق الجد، ومصدر عيش الناس البسطاء الذين كانوا يخضعون لصاحبها للحصول على مصدر قوتهم، كما ينم المقطع على الطبقية، وسوء الحالة الاجتماعية المزرية لأهالي القرية النائية والمكانة الاجتماعية للجد الإقطاعي الذي كان يستعبدهم في الأرض الواسعة التي ترجع ملكيتها له، واستغلال فقرهم بوجودهم في قرية نائية تفتقد للكثير، ورضاهم بالعيش الزهيد وما يقتاتونه من أسياد الأراضي، كما توحي بسيطرة وهيبة الجد الإقطاعي،" وفي الوقت يعودون للعمل في أراضي الآخرين مقابل ما ينالونه من فتات يومي و إهانة مزمنة "[3] توحي بالاستغلال وسوء الوضع المادي للناس في القرية النائية التي تقوم حياتهم على الأرض، واستغلال أصحاب الأراضي فقرهم وجوعهم بالعمل لديهم بأجر زهيد من خلال ما يقتاتونه من مالكيها دون تذمر أو اعتراض لان ليس لهم أية دخل أو عمل سوى العمل في أرض الاقطاعيين

- المصدر السابق، ص[1]29

- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 29.[2]

- المصدر نفسه، ص30.[3]

الذين يستغلونهم بالعمل لديهم دون اعتراض، " كان جدي مدركا أن الاعتناء بالأرض لن يحتاج لأكثر من أولئك الذين يعانون من الجوع، بحيث لا يجب أن تمنح للجائع فرصة للكلام، عليك أن تشغله بالعمل لينسى جوعه وعقله وليضل راضيا عنك"[1]، المقطع السردي يصف الفكر الإقطاعي الذي يجسده الجدّ والنمط المعيشي للقرية النائية التي تعتمد على الأرض، كما يوحي بالطبقية وباستغلال الفقراء أصحاب الحاجة لخدمة ملاك الأراضي ومن بينهم الجد الإقطاعي للاعتناء بأراضيهم الواسعة، فصورة القرية تظهر من خلال الأرض التي توضح الطبقية وعوز وجوع سكانها ورضاهم بالقليل الذي يعطيه لهم صاحب الأرض دون تذمر. كما أنّ المقطع السردي كشف عن جانب الفكر الإقطاعي الذي كان يسود القرية النائية وعن المستوى الاقتصادي والمعيشي وواقع القرية المزري والتفاوت الطبقي و الحالة الاجتماعية المزرية لسكانها .

القرية كانت مصدر سعادة لاكامورا الحفيد الإقطاعي الذي كان يتجول في أراضيها ويستمتع بالنزهات في أراضيها الخصبة فهي كانت أفقه الرحب الذي يحس فيها بالحرية والانطلاق " كنت أجد متعة مثيرة وأنا أتحرر من عقدي الصغيرة وأجرهم للعب، والجري في أرض لم تكن تنتهي قبالة دهشتنا الصغيرة.. كنا نتسلق شجرة الزيتون العالية . كنت في قرارة نفسي أبحث عن أشياء اعتقدت أنني سأعثر عليها في تلك المرتفعات. ربما كنت أبحث عن أمي..تلك التي حين تحكي عنها عمتي تقول بصيغة الغائب: لقد صعدت أمك إلى الأعلى .. ولم أكن أدرك ذلك العلو إلا بالارتفاع وكان النذير وأخته يتسلقان معي. يسقطان حينا وينجحان أحيانا. نجلس ثلاثتنا أعلى الشجرة ونتأمل الأشياء من هناك. وحين لا نجد ما نفعله ننزل "[2]

القرية بحقولها ومزارعها وأشجارها مثلت فضاء رحبا للحفيد الإقطاعي، كما أنها مصدر تحرره من عقده وعزلته ويتمه باللعب والجري في الأرض وتسلق الأشجار العالية والشعور بالمتعة والإحساس بالفرح والبهجة برفقة النذير وأخته ابني المعلم الذي كان يعطف عليه و شعوره بالانعتاق من سيطرة الجد الإقطاعي المتسلط الذي كان يرفض صداقته لهما. فوجود المعلم في القرية لم يكن يستسيغه الجد الإقطاعي الذي كان يكن له الحقد والضغينة، لأنه كان يرفض الإقطاعية واستغلاله لأهل القرية الذين كان يستعبدهم في العمل عنده ونتيجة لذلك رحّله من القرية بمساعدة رئيس البلدية وهكذا تخلص منه، أما الحفيد الإقطاعي فقد شعر باليتم من جديد برحيله و أحس أن القرية أصبحت فارغة وموحشة بدونهم . " كنت واعيا من البداية أنني سيء الحظ بموجب ما أخلفه من شرور أغلبها لم تكن بيدي، كنت

---

1. المصدر السابق، ص 30.

2- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 35.

ضحيتها أيضا ..تلك الشرور التي كانت تبيح للناس التطير مني، ليس لأني لاكامورا وليس لأني وجه الشر بل لأني غير قابل للفرح تماما، ولأن الخيبة تسكن وجداني منذ بداية الأرض ! أليست تلك خيبة جرّها رحيل المعلم عن القرية " فالمقطع يكشف لنا عن تأثير المكان على الشخصية البطلة بعد رحيل المعلم ويعكس شدة الإحباط والحزن الشديد برحيل المعلم وعائلته والإحساس بالخيبة التي تسكن وجدانه منذ ولادته والنحس الذي يلاحقه لأنه غير قابل للفرح أينما حل جلب الشؤم والموت وإحساسه الرهيب بالبؤس والتعاسة، وأنه أحد أسباب رحيل المعلم فللمكان دلالة نفسية على السارد فبعد فرحه في القرية بوجود المعلم وعائلته وإحساسه بالحب تسود الحياة في عينيه ويكبر إحساسه باليتم من جديد " في غيابهم تحولت القرية إلى مكان موحش "[1] دلالة على صورة القرية بعد غياب ورحيل المعلم من القرية إلى العاصمة بعد توقيفه عن العمل.

لقد مثلت قرية جنان الحاج عبد الله فضاء مفتوحا يعكس حالات السعادة والفرح للحفيد الإقطاعي بوجوده مع جده وعمته في البيت العائلي وكذا بوجود المعلم وأسرته في حياته وحالات التعاسة والوحدة والشقاء برحيل المعلم عن القرية وبعدها موت عمته وجده الذي كان سنده في الحياة فأصبح اليتم أبديا واسودت الحياة في وجهه بانتقال أملاك الجد الإقطاعي (الأرض والبيت) لرئيس البلدية والشعور بالنفور والعداء للمكان، " رحيل المعلم، وموت عمتي ومرض جدي والبيت الذي صار مليئا بالأشباح حد الوحشة. كنت أعي أنني قد أنهي حياتي في ملجأ للأيتام، كأي واحد يموت فجأة في فيلم كلاسيكي ممل !كان جدي مشلولا وعاجزا عن التصرف. كلما جاء إليه رئيس البلدية يوافق جدي على بيعه جزء من الأرض إلى أن باعه إياها كلها. كان يخيل إلي أن جدي كان ينتقم من الأرض. كان يدرك أن الناس الذين تركوا العمل عنده سيعملون عند رئيس البلدية الذي لن يضطر إلى أن يقول لهم إخواني وأن سلطته تكفي لتصنع منهم عبيدا استثنائيين وإلى الأبد.."[2] فالمكان فقد بهجته وأثر انتقال ملكية الأرض على الجميع بمن فيهم السكان والحفيد لاكامورا ، وتأثير ذلك على الحالة النفسية والداخلية للحفيد وحزنه الشديد على فقدانه أهله وسنده في الحياة وتفكيره في الملجأ كنهاية لحياته البائسة، كما أن المقطع السردي يوحي بالحالة البائسة وعلى ما سيؤول إليه الوضع بعد موت الجد وانتقال الارض إلى رئيس البلدية كما أنها رمز على انتقال الإقطاعية من الجد بموته إلى سلطة الدولة التي يمثلها رئيس البلدية .

قرية جنان الحاج عبد الله كان لها أثر كبير في حياة لاكامورا وفي مجرى سرد الرواية، فمن خلالها تتجلى علاقة السارد بالمكان وارتباطه بها ، فالقرية تمثل وترمز للوطن الأم ولأرض الجزائر وخيراتها، وقد

[1]- المصدر السابق، ص 41

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 45

كان لها حضور بارز في الرواية، " لقد مثلت إلى وقت قريب رمز الأمن، ورمز الأم الحانية على أبنائها "[1]، فالقرية الموطن الأم فيها البساطة، ومكان الألفة والانتماء، فهي تمثل مهد الطفولة التي احتضنت السارد بكل تفاصيلها السعيدة والتعيسة، وهي موطن الآباء والأجداد، والأرض التي ترعرع فيها، إنّها المكان الرحمي الذي احتضنه في صباه. قرية جنان الحاج عبد الله تعتبر "رحم الأم، والذي يبعث على الدفء والحماية والطّمأنينة، مثل بيت الطفولة والقرية، ويظلّ عالقا في الذّاكرة طول العمر"[2]، هذه القرية التي تركها لاكامورا رغما عنه ولقساوة الحياة عليه بعد فقدان الأهل والأحبة، وشعوره بالعداء نحوها، " والرغبة في الهروب من المكان والنفور منه وقطع الصلة معه"[3] ، وقراره بالرحيل إلى العاصمة حاملا معه ذكرياته السعيدة والحزينة .

*مثلت قرية جنان الحاج عبد الله الموطن الأم الذي يحتضن البيت القديم للعائلة الذي نشأ فيه الحفيد الإقطاعي لاكامورا ، قرية نائية تعرف بساطة العيش، وحياتها قائمة على الأرض التي هي ملك الجد الإقطاعي، وبموته انتقلت إلى رئيس البلدية وهي دلالة على الإنتقال من زمن الإقطاعية إلى سلطة الدولة التي يمثلها رئيس البلدية، كان للقرية تأثير كبير على شخصية لاكامورا التي رسخت في ذاكرته وعاشت معه أينما رحل باعتبارها الوطن الأم والمنشأ الأول، ف" القرية هي الذاكرة البكرية الأولى، التي تظل مدرارة للدفء النفسي، وللسعادة الغابرة، طيلة حياة الإنسان.[4]"، كما برزت في القرية الأوضاع الاجتماعية المزرية والطبقية والحالة الاقتصادية للطبقة المترفة للأسياد ووضع العمال الفلاحين بالأرض، كما برز الصراع الأيديولوجي وكذا ظلم السلطة التي مثلها رئيس البلدية وجشعه باستغلال مرض الجدّ الإقطاعي والحصول على أملاكه بعد وفاته.

[1]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 52.

[2]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 16.

[3]- حسين فيلالي، السمة والنص السردي – دراسة-، موفم للنشر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 84.

[4]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص102.

3- الوادي :

إنّه واد واسع وعميق متواجد بقرية جنان الحاج عبد الله ، كان يذهب إليه الأطفال للاستحمام والغطس. لقد شكل الوادي فضاء مفتوحا على الموت بغرق أطفال القرية فيه، المكان كان يتردد عليه الحفيد الإقطاعي ويتحدى أبناء القرية بالذهاب إليه والقيام بمسابقة الغطس فيه، فقد كان يتردد عليه لاعتقاده بوجود جنية البحر الجميلة التي كان يحلم بها في أحلامه وأراد أن يراها في الواقع أمام عينيه، تلك الجنية التي كانت تروي له عمته المشلولة عنها، فكان يستدرج أطفال القرية الى هناك للغطس فيموتون غرقا ويبقى هو حي بوصوله إلى الشط بر الأمان، والبقاء على قيد الحياة والبكاء عليهم لأنهم لم يستطيعوا النجاة من الغرق، وبسبب ذلك أطلقوا عليه اسم لاكامورا والتي تعني ببساطة من لا حق له في الموت براحة . " كان في القرية وادي واسع وعميق يذهب الأطفال إليه للاستحمام والتحدي قبالة بعضهم. كنت واحدا منهم، اصدق أن للجنية عيون تراقبنا، وأنني أحق الناس برؤيتها من غيري .. في سباق غريب كنا نسبح جميعنا في ذلك الوادي، ونتحدى بعضنا بالغطس.. لم يكن يعنيني إثبات شيء لهم، كنت معنيا بالجنية التي لأجلها كنت استدرج الأطفال للغطس عاريين تماما ..وكنت أسبح بعيدا أغامر .. كان بعضهم يصرخ خوفا من التيار، والبعض الآخر يجذبه التيار إلى الغرق ! كنت أعي تماما أن الجنية لن تأكلني أنا، بل تأكل رفاقي الذين أعود بهم إلى أهاليهم ميتين" [1] فمن خلال المقطع نستشف أن الوادي مكان يستقطب الاطفال، ويغري بمياهه الأطفال لسباحة والغوص فيه، فهو يحمل دلالة ساحرة بمنظره الجميل ومياهه الجارية التي تغري الأطفال للاستحمام والسباحة والاستمتاع به، وفي الوقت نفسه يحمل بين جوانبه دلالة الخوف والخطر والموت، فالوادي بهدوئه وسكونه يجلب أبناء القرية النائية باعتباره المكان الوحيد الذي يجلب لهم الترفيه والمتعة بالغطس، كما أنّه يعتبر مصدر قلق وخطر للأطفال الذين كانوا يموتون غرقا فيه، الوادي الواسع والعميق فضاء يوحي بالخوف والقلق والموت لعمقه، ومن خلال حديث السارد عنه نرى مشهد الهلع والخوف الشديد الذي أصاب الأطفال وهم في عمق وقاع الوادي يجرفهم التيار، وصراخهم الشديد الذي يعم المكان، لينقطع بعد ذلك صوتهم فيموتون غرقا دون أن يستطيع إنقادهم، و من شدة الخوف وتعلقه بالحياة يجد نفسه يجثو على ركبتيه للنجاة، مشهد مؤلم و فضيع ومروع للوادي الذي إلتهم أبناء القرية الصغار أمام عيني الحفيد الإقطاعي وعلى أثر ذلك أطلق عليه أهالي القرية اسم لاكامورا .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 37.

الوادي بالنسبة لأهالي القرية منطقة محظورة وخطيرة خاصة بوجود لاكامورا، فقد كانوا يتطيرون بوجوده معهم، وأنه السبب فيما حصل لأبنائهم بالغرق في الوادي، فهو من كان يستدرجهم إلى هناك، ويستفزهم بتحديه لهم بالغطس الذي لم يكن ينجو منه أحد سواه، فأصبح فال شؤم وخطر يجب الابتعاد عليه ." في خضم تلك الميتات المتتالية لرفاقي في الوادي، اكتشفت أن النذير هو الوحيد الذي لم أكن استدرجه إلى هناك. كنت أعي أن والده الذي أحبني يخاف مني أيضا، يخاف من ذلك الشؤم الذي يساير كلام الناس حين يتكلمون عني.. لكنه لم يقل شيئا، ولم يحذرني من الوادي ولم يحذر ابنه مني.. كأنه كان واثقا أنني لن أجر ابنه إلى هناك. كان يعرف أن عطفه علي سيكفل له وفائي له. ولسبب غامض لم أفكر في استدراج النذير إلى الوادي "[1] دلالة غلى خطورة الوادي الذي كان يلتهم الأطفال الصغار، كمايتضح من المقطع السردي أن الحفيد الإقطاعي كان يدرك مدى خطورة الوادي المميت، ومع ذلك كان يستدرج الأطفال رغم الميتات المتتالية، ولم يستدرج النذير إلى هناك حبا لتلك الفتاة الصغيرة التي كانت سببا في الحفاظ على أخيها النذير وبسبب عطف المعلم عليه .

الوادي مثّل للحفيد لاكامورا مكانا للتحدي ومواجهة الموت، وإصراره على رؤية جنية الوادي التي كانت ترفض التهامه وتلتهم أبناء القرية أمام عينيه، ليعود خائفا مرعوبا إلى حضن عمته للإحساس بالدفء والأمان. " أنا من كان يعود إلى عمته مبللا بمياه الوادي. أتسلل خائفا إلى فراشها وأغرس وجهي في حضنها لأصغي إلى الحكاية نفسها ولأنام نوما عميقا كمن لا ذنب له "[2] نستشف أن الوادي مصدر حياة للحفيد ومكان لموت أبناء القرية، وهو مصدر قلق للسكان الذي شكل لهم حالة الخوف والهلع لن فقدان أبنائهم، كما أن صورة الوادي وهو يلتهم الصغار توحي بخطورة المكان وفظاعة الألم والحزن الذي تسببه لاكامورا لأطفال وسكان القرية، وعجزه عن انقاذ أبناءهم وهم يغرقون في عمق الوادي ليعود إلى البيت متسللا خائفا مبلّلا بالمياه .

- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 38.[1]

- المصدر نفسه، ص 39.[2]

4- المدينة– العاصمة / التمدن – المكان المعادي:

تمثل المدينة/ العاصمة فضاء مفتوحا وعالما آخر يختلف تماما عن القرية النائية البسيطة التي عاش فيها الحفيد الإقطاعي لاكامورا، لقد شكلت المدينة الأرضية التي تدور فيها الأحداث المأساوية، والتي نتعرف عليها بانتقال لاكامورا من القرية إلى العاصمة لمواصلة دراسته الجامعية، وانصدامه بواقع المدينة العاصمة الحلم، العاصمة المركز يعيش ساكنيها البؤس والشقاء، واليأس نتيجة الطبقية والواقع الاجتماعي المزري.

شكلت العاصمة بؤرة الأحداث وواقعا صادما للاكامورا، حيث كان ينظر إلى المدينة أنها مكان التمدن والحضارة التي سعى جاهدا للانتقال إليها، وهروبا من يتمه الأبدي وشبح ملجأ الأيتام، ليجد نفسه في مدينة يعيش سكانها التهميش، و أكثر يتما منه، مدينة لا يعرف فيها أحدا وشعوره فيها بالغربة والضياع، تائها فيها و" ما أكثر الظروف التي تجبر الإنسان على مغادرة وطنه وهجره. وربما تكمن الصعوبات الحقيقية، وتظهر العقبات الخفية عندما لا يجد المرء مكانا يحل فيه، فتزيده الغربة آلاما وسره"[1].

العاصمة بؤرة السرد والحكي منها انطلقت الأحداث بمجرد وصول السارد (لاكامورا)، ليندهش في فضاء المدينة المفتوح على تدهور الأحوال الذي يعكسه نمط العيش، وتفكير قاطنيها السلبي، فقد وجد سكان العاصمة أكثر معاناة وبؤسا وحالتهم الحالة الاجتماعية والمادية أكثر بؤساً.

السارد انصدم بواقع المدينةالعاصمة واندهش لحال ساكنيها، فقد وجدها بؤرة للتهميش، وتفتقر الوعي بأهمية التعليم في حياة الفرد، وانشغالهم بالركض وراء لقمة العيش نتيجة الحياة الصعبة، وعدم اهتمام بالحياة الفكرية والعلمية والثقافية، لقد وجد صورة أخرى للمدينة العاصمة التي لا تخلو من الفقر واليأس والإحباط والتهميش نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية والمادية لقاطنيها.

وهذا ما نقله لنا السارد بمجرد وصوله إلى المدينة العاصمة (الحلم) " اكتشفت ذلك حين وصلت إلى العاصمة قبالة أناس لا يتعاملون مع المدرسة إلا بعبارة الله غالب كأن يقول الفاشل لفاشل آخر واش تحب؟ الله غالب ! الدراسة هي التي خسرتني وليس أنا من خسرها ! يقولها الناس ذلك أحيانا حين لم يعد ثمة شيء آخر سوى تبرير هذه الحالة التي تجعلهم يكفون عن إرسال أطفالهم إلى المدرسة لأنهم غير قادرين على توفير ثمن الكتاب وثمن الخبزمعا."[2]

[1]- محمد عويد محمد ساير، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي484 هـ-897 هـ، دار غيدان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018، ص 300.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 47.

من خلال المقطع السردي نجد صورة المدينة من خلال تفاصيل الحياة اليومية لساكنيها، والحالة الاجتماعية المزرية التي يعيشونها، وعوزهم بتوفير لقمة العيش، كما أنه تصريح مباشر بعدم القدرة والكفاية لإرسال أبنائهم للمدارس وهذا دليل على صعوبة العيش في المدينة العاصمة كما يبرز تدني مستوى المعيشة وتدهور الأحوال المادية، وتظهر إشارة واضحة للفقر والحاجة بعدم تمكن العائلات من توفير ثمن الكتاب والخبز معا، نجد في المقطع السردي دلالة واضحة على أحوال المدينة وواقعها الحقيقي من خلال يوميات سكانها وتدهور أحوالهم ومعاناتهم اليومية و تدني المستوى المعيشي وتدهور الحالة الاجتماعية، كما يشير المقطع إلى واقع التعليم والدراسة في العاصمة.

شكلت المدينة العاصمة بؤرة السرد ومسرح الأحداث الذي تتمركز فيه المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والثقافية والفكرية، و حتى الصراع الأيديولوجي، واختلال سلم القيم والمبادئ في واقع لا يعترف إلا بالسلطة و الثروة.

مثلت المدينة العاصمة فضاء معاديا مضادا للقرية (جنان الحاج عبد الله)، فالعاصمة فضاء واسع للواقع المأساوي بكل أبعاده، وما يعانيه سكانها من أزمة الشغل والسكن ،والبطالة، كما برزت مظاهر الاغتراب ،والإحساس بالضياع واليتم الأبدي الذي لاحق لاكامورا ،وبانتقاله إلى العاصمة انتقلت معه أحاسيسه النفسية وشعوره بالتعاسة والحزن والشتات، ورحلة البحث عن الذات والبحث عن المعلم الذي لا يفارق ذاكرته."هالني أن الناس يربطون بين الشهادة الجامعية وبين البطالة و اللا عمل، فلا فرق هنا بين جامعي وبطال أمام اللا عمل. أليس هذا ما رأيته بأم عيني حين بدأت أتعرف على أجواء العاصمة. كنت وقتها أصدق أن بإمكاني أن ألبس ذاكرة جديدة وأتجرد من هباء الماضي الصغير والسطحي الذي حملني من القرية إلى المدينة."[1] في المقطع السردي صورة عن العاصمة وحالة قاطنيها، كما يعكس تدني المستوى الفكري والثقافي، وعدم الاهتمام بالتحصيل العلمي والمعرفي نتيجة أزمة البطالة التي تعم على الجميع دون التفرقة بين أصحاب الشهادات والعاطلين، فهم سواء في مدينة تعاني أزمة الشغل والبطالة، والشعور بالإحباط والصدمة من واقع المدينة العاصمةالمزري على كل الأصعدة. كما يعكس لنا السرد الواقع المأساوي والمزري لقاطنيه وطريقة تفكيرهم ونمط حياتهم، مما جعل لاكامورا يحس بالعداء والغربة في المدينة العاصمة التي تمثل الحضارة والتمدن، وجد الناس يعيشون حياة صعبة وأكثر بؤسا وشقاء، انتقاله إلى العاصمة جعله يرى المدينة على حقيقتها، وصورة العاصمة الحلم التي باتت كابوسا يشعر فيها بالغربة والوحشة، " كنت أعلم أنني خرجت من قرية صغيرة وبائسة لأدخل إلى قرية كبيرة وأكبر

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص47

بؤسا. كانت العاصمة تبدو لي قرية كبيرة وموحشة فقد شعرت أنني أشبه ذلك الممثل الذي يظل يدور في حلقة مفرغة معتقدا أنه يؤدي الدور الأهم، وحين تنتهي المسرحية يكتشف أنه لم يفعل شيئا سوى الدوران حول نفسه."[1] نجد في المقطع دلالة على صورة المدينة العاصمة،والإحساس بالاغتراب وحالة من الإحباط الشديد بالضياع واليتم الأبدي في العاصمة.

من خلال الرواية وحديث السارد تظهر العاصمة بصورة مغايرة تماما عمّا تخيّلها، فقد وجد واقعا آخر وتحولت العاصمة الحلم إلى كابوس، العاصمة مدينة يطغى عليها الفقر والحرمان، والحياة فيها قاسية لا تحتمل ولا تطاق نتيجة ما يعانيه قاطنيها من قهر بسبب الطبقية والتفاوت المادي وتفشي الوساطة واختلال سلم القيم الأخلاقية وشعوره بالاغتراب فيها.

المدينة العاصمة مثلت الفضاء المركزي العام الذي انتقل إليه لاكامورا، إنها "مدينة متناقضة تملك الحب مثلما تملك الكره في سياستها وعاداتها وتقاليدها "[2] وصدمته بواقعها المحزن والأليم نتيجة الحياة المزرية وهموم الواقع وقضاياه ." عشت أبحث عني في تفاصيل مدينة اكتشفت أنها لا تعنيني تماما. ثلاثون عاما من الإحباط والفرح الكاذب والانكسار اليومي قبالة تاريخ لا يقول الحقيقة."[3] فمن خلال المقطع يتضح أن العاصمة فضاء الخيبة للسارد وتأثير المدينة على شعوره واحساسه بالاغتراب والاحباط، و شعوره بالعداء ، فالمدينة العاصمة فتحت جراحاته وإحساسه إتجاهها بعدم الانتماء ونفوره منها، وانعكاس ذلك على شعوره واحساسه بالخيبة والانكسار .

هذا وتظهر تجليات المدينة من خلال قاطنيها بوضعها الاجتماعي والسياسي والثقافي والحالة النفسية، حيث تبرز حالات الشعور بالغربة والضياع واليأس، كما تبرز مظاهر الفقر والحرمان وتفشي الوساطة واستغلال النفود من أصحاب الثروة ، فدخول لاكامورا العاصمة والغوص في أعماقها جعله يعري عن الوجه الحقيقي للمدينة العاصمة،وإحساسه بالخيبة والشتات. العاصمة الحلم أصبحت كابوسا رهيبا يعيشه يوميا، يرى المدينة العاصمة التي تمثل الحضارة والتمدن بؤرة للتناقضات حيث تعيش حالات شتى من الاكراهات والضغوطات التربوية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية . " ألم يكن الواقع سيركا يوميا ؟ الواقع الذي جعلني أكتشف أن اليتامى كثيرون، حتى أولئك الذين يتباهون بآبائهم أمامك يبدون أشد يتما منك. يتحسسون يتمهم بالتباهي. ويشهرون تلك البطاقة الصغيرة التي تقول أن

---

[1]- المصدر السابق، ص 48-49.

[2]- ابن الأخضر السائحي، جماليات المكان القسنطيني قراءة في رواية ذاكرة الجسد. دراسة نقدية تحليلية، سلسلة أبحاث مخبر اللغة العربية وآدابها، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ص52.

[3]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 69.

والده مدير عام في مؤسسة وطنية كبيرة أو مسؤول كبير في جهاز الدولة أو ضابط في الجيش ! كانوا يتباهون بآبائهم أنفسهم."[1] دلالة على واقع المدينة من خلال نمط التفكير ومعيشة قاطنيها، وتفشي ظاهرة استغلال النفود والسلطة .

هذا وتظهر المدينة في مقاطع سردية أخرى فضاءا معاديا، ومكانا للتوجس والخوف والقتل، حيث أصبحت مركزا للعنف، وإنتشرت فيها المجازر الشنيعة ." أنا مهزوم في صور الآخرين، في حياتهم العبثية، وفي تصديقهم الكاذب للعيد القادم إلى مدينة تدفن أبناءها يوميا.. مدينة لا تشبع من القتل. لا تشبع من الدموع، ومن البكاء على جثث لا تعرف أسماء أصحابها.. فلماذا يتوجب عليّ تبرير ما أفكر به في واقع كهذا الواقع ."[2] يتضح من خلال المقطع السردي أن المدينة تعيش حالة من الفزع والرعب والحزن نتيجة الواقع المرّ الذي تعيشه من اغتيالات يومية، والحزن الشديد الذي خيّم على قاطنيها، وهذا ما شتت كيان لاكامورا وإحساسه بالضياع في مدينة سكنها الخوف والرعب، " مع الوقت تسلّل الخوف إلي. أن تكون كاتبا أو صحفيا في هذه المدينة فأنت مشروع ضحية أيضا. مشروع مقتول. مشروع ميت. فلا فرق بين كاتب وزبال حين تقرر جماعة مسلحة القضاء عليك. حين يقرر أحد أن يكون ناطقا رسميا باسم عزرائيل. يظهر فجأة ليشهر مسدسه في وجهك قائلا لك: لك الموت يا طاغوت ! في لغة العنف كان الطاغوت هو كل شخص، وهو أي شخص. الطاغوت هو أب العائلة الذي يكدح لأجل قوت أبنائه، وهو المثقف وهو الطبيب والمحامي والشرطي العسكري. كل واحد لا يفكّر كما يفكّر القاتل بمثابة الطاغوت الذي يستحق التصفية ويسقط عليه حكم القصاص من أمير الجماعة الذي يحلم بدولة طواغيت جدد يملكون حق العقاب والعفو، ويملكون حق الحياة والموت !"[3] فالمقطع السردي يفصح أنّ المدينة فضاء للقهر والعنف والموت، وأصبحت بؤر ة لأعمال الاغتيال الذي يحيط بالجميع، ولا فرق بين طبيب ومحامي وعسكري ومواطن بسيط فكلّهم بالنسبة للجماعة المسلّحة رمز للسلطة والدولة، وفي نظرها كل رمز من رموز السلطة تستحق أن يقام عليها القصاص لأنها مخالفة لفكرها ورأيها، وهو دلالة على صراع الرأي وسيطرة أحادية الرأي، مما أدى إلى انفلات أمني وظهور الإرهاب كرمز للتعبير عن الرأي المخالف للرسميات والنظام، وسلطة الدولة وممارسته العنف، وهذا ما يظهر من خلال الصراع بين سلطة الدولة التي تشمل كل رموز النظام والجماعة المسلّحة، ليدخل المواطن كطرف ثالث في الصراع والضحية التي تدفع ثمن تصادم واختلاف الرأي والفكر بين السلطة والإرهاب.

---

[1]- المصدر السابق، ص 49.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص111.

[3]- المصدر نفسه، ص70-71.

الروائية تشير من خلال السارد إلى زمن الرسميات وسيطرة أحادية الرأي، أين كانت الدولة تتقلد كل مقاليد السلطة واحتكارها على الرأي مما أدى إلى الانفلات الأمني وأصبحت المدينة مركز الوعي والحضارة ملاذا لإبداء معارضة الرأي داخل الوسط الاجتماعي والسياسي، والإرهاب أصبح الرأي المخالف والمعارض الذي يمارس سلطة العنف على كل من يعمل عند الدولة دون استثناء .

5- القرية بضواحي مدينة المدية / العنف – الإرهاب :

جاءت هذه القرية فضاءً مفتوحا على الاغتيال والموت على أيدي الإرهاب، حيث شهد سكانها هجوما مسلحا ومجزرة شنيعة، تركت وراءها الرّعب والهلع في نفوس من بقي من سكانها، القرية رغم التهميش والعزلة إلا أنها لم تسلم من بطش الإرهاب، " كما أذكرك أيضا يوم ذهبنا إلى قرية في ضواحي مدينة المدية هاجمها المسلحون وقتلوا ثلاثين شخصا من أفرادها. ذهبت ككل مرة لأغطي واقعة الموت. كانت المجزرة أشبه برسم كاريكاتوري يومي.. داخل المجزرة فقط كان الوقت يبدو حقيقيا وملموسا بحيث لايمكن رؤية حقيقته المجردة إلا في عيون الناس الذين حكوا لنا ما جرى في الليلة السابقة. عيونهم التي يمتزج فيها الرعب والمرض والضغينة لكل شيء وعلى كل شيء بما في ذلك علينا نحن الصحفيين المتّهمين بالجبن لأننا لا نقول الحقيقة ! لأن الحقيقة لا تقول شيئا ! لأن لا شيء يعني أحدا !"[1] يتضح من المقطع السردي أن القرية فقدت استقرارها وأمنها، وسكانها يعيشون حالة من الذعر الرهيب، وشعورهم بالعداء والنفور بعد فقدانهم الأهل الذين اغتالهم الإرهاب بوحشية، ليتحدث المكان ويكون شاهدا على المجزرة الفضيعة بوجود الجثث والدماء ، " كانت الجثث مرمية على الأرض غارقة في الدم. كنا نبذل جهدا كي لا نمشي فوقها. رأيت أطفالا صغارا مذبوحين، ونساء كانت لحظة الرعب الأخيرة قابعة على ملامحهن التي لم يبقى منها سوى الجزع الأبدي.. كنت وسط مجزرة لأكتب عن تفاصيلها. لأحكي عنها في الصفحة الأولى من طبعة الغد. طبعة لن تستطيع أن تشعر بما شعر به هؤلاء، ولن تستطيع أن تصف رعبهم الأخير وركضهم في كل اتجاه محاولين الفرار."[2] دلالة على بشاعة الجريمة التي ارتكبت في حق القرية، فمن خلال المقطع تظهر صورة القرية التي تحولت إلى فضاء للموت والعنف، فحالة العزلة والتهميش جعلها لقمة صائغة وضحية للعمل الإرهابي، والمأساة التي شهدتها جعلت سكانها يفقدون الثقة والأمل في الحياة، وشعورهم بالألم والحزن والمعاناة النفسية بعد تعرض أهلها للقتل، هذا ما نقله لنا السارد من خلال وقوفه على مسرح الجريمة لتغطية الخبر، وشعوره بالألم وهو عاجز عن استيعاب الضغينة والحقد الذي ذهب ضحيته أبرياء نتيجة الصراع والتصادم بين سلطة الدولة والارهاب .

القرية بضواحي المدية رمز للقرى الجزائرية التي طالتها أيادي العنف والقتل الهمجي الذي أفقدها الشعور بالأمان والطمأنينة والاستقرار، ليحل الظلام الحالك وينتشر الرعب والخوف والألم نتيجة العزلة والتهميش، فتحولت القرية رمز الوطن والهوية والانتماء إلى أرض خصبة للقتل والعنف والخراب، وساحة تسفك فيها دماء الأطفال الأبرياء والناس البسطاء العزل على أيدي الأرهاب، لتصبح القرية مكان معادي

[1]- المصدر السابق، ص 72.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 73.

يشعر فيه المرء بالعداء والنفور، والكراهية بعد فقدانه الأمان والثقة في دولة عجزت عن حماية نفسها ومواطنيها وتوفير الأمن لسكانها، لتحمل القرية دلالات سلبية وطغيان مشاعر الخوف والقلق والرعب في النفوس والشعور باليأس والألم والمعاناة بعد أن أصبحت القرية فضاءللموت لا للحياة.

لقد عكست لنا جل المقاطع السردية الواقع المأساوي والدموي والصور الموجعة التي لايتحملها الإنسان لبشاعة الجرائم المرتكبة، لتظهر لنا القرية بؤرة للصراع بين السلطة والإرهاب، وساحة للعنف والقتل والخراب والموت، فتضيق القرية على رحابتها وتنغلق نفوس قاطنيها على مشاعر الخوف والألم والحزن والقهر، وتجرعها العذاب الذي لا ينتهي وجروح لا تندمل، وهذا ما وضحته لنا الكاتبة على لسان السارد الذي انتقل إلى مسرح الأحداث، ونقل لنا صورة القرية التي تحولت من مكان للألفة إلى مكان معاد وموحش فقد الأمن والهدوء والاستقرار، وأصبح المكان يحمل دلالات الموت والبؤس والشقاء والتهميش والمعاناة، وأضحت القرية فضاءا مفتوحا للقتل والعنف.

القرية بضواحي المدية وغيرها من القرى التي تعرضت للعنف والقتل هي رمز لأرض الجزائر التي أنتهكت حرمتها، وتعرضت للعنف الهمجي في زمن العشرية السوداء، وهي صورة مصغرة عن الوطن الذي عاش مأساة حقيقية ومجازر رهيبة وشنيعة تركت أثرا بالغا في نفسية مواطنيها وراسخة في ذاكرتهم الحيّة.

وهناك أمكنة أخرى وردت في ومضات سردية كمدينة البليدة وبلدية بن طلحة للدلالة على المجازر التي ارتكبت في حق الضحايا .إلى جانب هذه الأمكنة يوجد أمكنة أخرى وقف عندها السارد للدلالة على الوضع المأساوي الذي عاشته القرى والمدن زمن العشرية السوداء هي بلدية بن طلحة التي تم الحديث عنها من خلال الصورة التي تم التحقيق في حقيقة هويتها من قبل الصحفي لاكامورا وهي رمز لمجزرة بن طلحة التي تم التحقيق فيها إن كانت مرتكبة من السلطة أو الارهاب " هذه الصورة يقال إنها ملتقطة من مجزرة بن طلحة. صورة امرأة فقدت كل عائلتها !"[1] فالمقطع يكشف لنا عن المكان الذي طالته أيدي الإرهاب وهي إحالة إلى المجزرة الفظيعة والشنيعة التي أرتكبت لأول مرة في حق الشعب، ومدينة البليدة والتي جاءت في ومضات سردية. وأمكنة أخرى للدلالة على صورة الآخر الغرب المتمثلة في فرنسا والتي جاءت في سياق الحديث عن شخصية كريمو ودراسته في معهد فن التصوير بفرنسا (ص 128)، واسبانيا من حديث الشيخ الذي يروي هجرة حفيده غير الشرعية إليها (ص98.).

[1] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 75.

6- الشارع :

شهد الشارع في الرواية سكونا مريبا حيث اختفت الضوضاء والحركة والنشاط ، وأصبح فضاء مفتوحا على الخوف والرعب والموت، وكان المكان المعادي الذي تنتشر فيه ظواهر العنف والقتل، فقد أصبح الشارع مكانا خطرا يتفادى الأفراد التجول في أزقته أو في الطرقات خوفا من الإرهاب وعنفه، فقد " تحول الشارع بفعل العنف من مكان حركة وتنقل لمزاولة الحياة، إلى مكان للقهر والموت، استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة، نقل هذه الصورة عن الشارع الجزائري وهي تسجل تفاصيل المأساة، تحاول الإمساك بخيوطه المتفرعة والمتشابكة التي كانت وسطا مناسبا لاحتضان العنف المتنقل في الطرقات، لينضاف الشارع ساحة أخرى للعنف الذي لا يكتفي بمكان واحد "[1].

الشارع فضاء معاد مفتوح على العنف والموت بالقتل الهمجي ومركز الأحداث الرهيبة، حيث تحدث فيه انفجار السيارات الملغمة، الشارع في الرواية لا يحضر كمكان هندسي، بل يحضر بمنظور نفسي وما يحملهمن الحيطة والحذر، ودلالات نفسية من مشاعر الخوف والرعب والهلع والانغلاق على الذات، وعدم التجوال والتسكع فيه خوفا من رصاصة غادرة، فقد أصبحت الشوارع والطرقات خالية وساكنة من حركة السير والمارة، يعمها السكون والحزن والكآبة بسبب الإرهاب الذي يترصد الناس، وغياب الأمن بعدما جعله الإرهاب مسرحا للقسوة والعنف والقتل، وأصبح يهدد الأمن والسلام ،خاصة تلك الشوارع والأزقة الضيقة بالأحياء الشعبية أين يقطن الفقراء والطبقة الكادحة في المجتمع، كون " هذه الشوارع هي شوارع شعبية مهملة يسكنها البسطاء من عامة الناس المهمشين "[2] فأصبحت طرقات وشوارع المدينة والأحياء الشعبية غير آمنة ومخيفة، والسير فيها أمرا خطيرا ،فقد أصبحت ساحة خصبة للقتل الشنيع على يد الإرهاب، وفضاء للجثث السابحة في الدماء ومرمية بساحاتها العامة، الخطر والخوف من الموت على يد الإرهاب جعل الشخصيات تهرب من بيوتها، " أخبرني النذير أنه لم يعد يزور أمه منذ وصلت الاغتيالات إلى الشارع الذي يسكنه. فقد اغتيل الكثير من الأشخاص الذين عرفهم، ضباط وصحفيون وموظفون عاديون."[3] فالشارع من أمكنة الانتقال والمرور العامة والهامة،حيث تمر عبرها الشخصيات بالذهاب والاياب من وإلى،

[1]- الشريف حبيلة، الرواية العنف، ص 38.

[2]- المرجع السابق، ص 41.

[3]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 64.

ونشير إلى أنّه قد " تحول الشارع بفعل العنف من مكان حركة وتنقل لمزاولة الحياة، إلى مكان للقهر والموت"[1] يترصد ضحاياه ،

فالسارد يعكس صورة الشارع الذي أصبح أرضية لترصد الضحايا ومسرحا مفتوحا على القتل والاغتيالات والمجازر، وبذلك" يصبح الشارع مصدرا للخوف والقلق، وتتوغل المأساة، ليحكم اللامعقول، تجسده صور العنف الممارس من هذا على ذاك، ومن ذاك على هذا، عنف يضع الشارع على حافة الجنون، يزحف الرصاص لينشر الموت على الأرصفة، ويطمس معالم الأمن، ويتراجع الناس ليفرغ الشارع من الحركة، وينتشر الذعر، وبمرور الوقت يصير المشهد هو المألوف بدل الهدوء والأمن "[2].

يتضح من الرواية أن شوارع المدينة تحمل دلالات سلبية فجل الشوارع في زمن العشرية السوداء أصبحت غير آمنة، وهي في الرواية " لا تحفل بهندسية أو جغرافية الشارع، إنما تلتقط منه ما يعزز صورة العنف والقهر في مكان مفتوح، لذا لا يحضر الشارع كمكان هندسي يقف عنده الراوي أو الشخصية، يصف تفاصيله وأجزاءه المتفرعة، بل يقدمه من منظور نفسي متأثر بأحداث تلك الحقبة "[3] فالشارع فضاء مفتوح على العنف والرعب، ويعيش حالة من التوجس والخوف والقلق الدائم نتيجة الاغتيالات والقتل الشنيع الذي زرع الرعب والمعاناة النفسية في نفوس الناس البسطاء، ضحايا القهر الاجتماعي والعنف السياسي. " في غمرة الواقع السوداوي، في قمة الاحباط اليومي، حين كنت لا أجيد فعل أي شيء أتسكّع في الشارع طويلا، وأنظر وأسمع وأتنصّت. أجل ! كنت أتنصّت على الناس كمن يغتنم فرصة أن يقولوا شيئا ليشي بهم للحاكم/ السجان. كنت أتنصّت على غيظ الفقراء وتعبهم المتكرر والمزمن. أتنصّت على كلامهم الغاضب تارة والمنفعل تارة والحاقد في أحيان كثيرة. كنت هنا كي لا أكون هناك، فالعزاء أن تكون مع الذين يشعرون بالبرد في أعماقهم، من يظنون أنهم أكثر وحدة من غيرهم، فتأتي لتجلس معهم، ولتقاسمهم لحظة بسيطة وصادقة !"[4] يتضح من خلال المقطع السردي أنه لا يتناول الوصف الهندسي والجغرافي للشارع باعتباره من الأمكنة الانتقالية والعمومية المفتوحة للمارة والراجلين بقدر اهتمامه بوصف البعد النفسي والاجتماعي، والأحداث التي تملأ فضاء الشارع الذي يأخذ دلالاته من خلال حضور الشخصيات فيه، وما يحدث فيه من سخط وغضب، وحقد على الاضطهاد الاجتماعي الذي تعيشه شوارع الأحياء الشعبية البسيطة والمعدمة، المحرومة من الحماية والأمن والاستقرار، وعيشها في حالة

[1]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 38.

[2]- المرجع نفسه، ص 48.

[3]- المرجع نفسه، ص 38.

[4]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 80-81.

دائمة من القهر والخوف وغياب الأمن، فأصبحت الأزقة والطرقات والشوارع الشعبية الملاذ الذي تترصد فيه الجماعات المسلحة ضحاياها والتفنن في عمليات التقتيل، والعنف الاجتماعي المسلط عليها دون شفقة ورأفة بحالها الاجتماعي المزري " فكأنه يقوم بذلك انتقاما من السلطة التي تحكم هذا الشارع"[1] ، كما يظهر من خلال المقطع أن الشارع أصبح ملاذ السارد للهروب من انغلاق الداخل وأخبار الاغتيالات، وجرائم القتل التي كانت تصل يوميا الى مكتب الجريدة، وخروجه إلى الشارع للتحرّر من وحدته وعزلته بالتسكع في شوارع الأحياء الشعبية، والاختلاط بقاطنيها للاحساس بمعاناتهم .

هذا وقد تجلت صورة أخرى للشارع الذي توقفت فيه حركة التنقل والسير والعمل، ووضع الحواجز وتعطيل الأشغال، وإخراج الناس والأطفال من المدارس لاستقبال الرئيس شيراك. الشارع الذي تغيرت ملامحه بمجرد وصوله، وتحوله إلى محطة استقبال، المشهد الذي صعق السارد واعتبره إهانة حضارية للجزائريين والشهداء ، " لقد فهمتكم ! تلك العبارة التي بعد أكثر من ثلاثين سنة من الاستقلال جاء الرئيس الفرنسي جاك شيراك ليقولها للجزائريين ثانية! كنت مصعوقا أمام تلك الكلمة التي قيلت أمام عيون الجزائريين الذين كانوا يبحثون عن فيزا يغادرون بها الجزائر نحو المنافي الكثيرة."[2] فالمقطع ينم عن واقع الجزائر وعن نظرة الآخر، كما أن المقطع السردي يومئ بالعديد من الدلالات السياسية والتاريخية بوجود الرئيس الذي يمثل السيادة الفرنسية بأرض الجزائر، والتلميح لانتهاك السلطة الفرنسية حرمة الجزائر بعد الاستقلال وعودتها للجزائر بمجيء شيراك التي اعتبرها السارد إهانة حضارية للجزائريين وإهانة للشهداء الذين ضحوا من أجل الهوية الجزائرية، وماتوا في سبيل الحرّية. كما نستشف البعد الواقعي والاجتماعي والنفسي للمكان، وتأثير المشهد على السارد وتحسره على الواقع الذي آلت إليه الجزائر بنسيان الشعب تاريخه وهويته، وانتمائه وحلمه بالفيزا لمغادرة الجزائر التي فقدت الاستقرار والأمن والسلام، " كان وصول شيراك يومها مثيرا للتساؤل.. ربما لأن المدينة تزينت على شرفه. فجأة قرر رئيس البلدية أن ينزل إلى الشارع ليقود حملة تزيين عللى شرف الضيف التاريخي العزيز !، وصعقت حين صارت زرقاء، تماما. المدينة التي كانت تتباهى ببياضها الحالك ! صارت زرقاء على شرف الرئيس الفرنسي الذي لأجله، تم تعطيل الناس، وإخراج التلاميذ من مدارسهم ليصطفوا على أطراف الشوارع لاستقبال شيراك العزيز. كانت تلك إهانة حضارية للجزائريين أنفسهم الذين أوقعوا في الفخ.. فخ استقبال رئيس يقول لهم بعد أكثر من ثلاثين سنة من الاستقلال عبارة قالها ديغول لآبائهم:

[1]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 27.

[2] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص82.

« Je vous ai compris ! » لقد فهمتكم !"[1] نستشف من المقطع أن الشارع تحولت معالمه وطرأت عليه تغييرات طمست هويته، وغيرت من ملامحه ومعالمه الحقيقية ، وتحول شارع المدينة من مكان عام إلى مكان خاص، وخضوعه لنفوذ السلطة التي غيّرت شكله وملامحه، وأكسته حلّة جديدة تعبّر عن أيديولوجية لم يعهدها بمجيء الرئيس شيراك، كما نستشف امتعاض السارد من تحول الشارع، وا لصورة الجديدة التي أفقدته هويته الجزائرية الهوية الحقيقية، وجعلته شاهدا على سخرية الآخر الذي فرض وجوده وسيادته على أرض الجزائر.

تتكرر صورة الشارع الملاذ للتسكع والهروب من ضيق الداخل وانغلاقه، فرغم الخطر والأحداث الجسيمة التي شهدتها شوارع المدينة وأخبار الاغتيالات اليومية، إلا أنها لم تمنع السارد من الخروج والتحرّر من خوفه والخوف من الموت فجأة، " كنت لسبب غامض لا أنظر خلفي كما تعوّدت أن أفعل حين أمشي في الشارع. لسبب غامض لم أكن أشعر بشيء سوى نشوة المشي هكذا عاريا كالفقراء، وبسيطا كالأنبياء. وحقيقيا حد اللمس، وكان النذير يبدو لي هادئا، كمن تحرّر من عبء ثقيل. كان يتكلم عن المدينة والناس. عن الحياة التي فجأة لم تعد مهمة، ولا ضرورية، ولا بائسة أيضا، صارت عادية، عادية فقط..صارت كشيء نعيشه فقط، نعيشه بتناقضاته من دون أن نسأل عن اللحظة التالية التي قد تكون الأخيرة.. مشينا معا هكذا.. بسيطين وعاديين، قريبين من بعض.. صادقين.. مشينا كما يمشي صديقان حميميان.. أخوان يكتشفان فجأة أنهما يحبان المشي معا، في شارع يكتظ بالناس، والخوف والضحايا القادمين."[2] يتضح من خلال المقطع أن الشارع يحمل دلالات سلبية وأن الشارع فضاء مفتوح على الموت والخوف والألم، والمعاناة النفسية التي تتجرعها الشخصيات وهي تعلم مسبقا أنها محل ترصّد من قبل الجماعة المسلّحة، ورصاصة غادرة تنتظر ضحيّتها، فالشارع أصبح مكانا محظورا لايمكن التسكع فيه بعد أن أصبح محفوف بالخطر، خروج السارد مع النذير إلى الشارع جعله يتحرّر من الخوف ومن الموت الذي هو آت لا محالة. وهي صورة عن الشارع الجزائري زمن العشرية السوداء الذي تحول إلى مساحة مفتوحة على العنف والقهر والخوف، وأصبح فضاء مفتوحا على الموت، " لا أدري كيف صعدنا السلم ركضا أم مشيا أم زحفا.. كان قلبي يخفق بقوة، ولعلي كنت أتلفت حولي فجأةَ، ربما منتظرا أن أرى شخصا يطلق النار باتجاهنا."[3] يتضح من خلال المقطع حالة الخوف والرعب الذي تعيشه الشخصيات بوجودها في الشارع ، وتأثيره على الحالة النفسية والشعورية، كما نستشف صورة الشارع والخطر الذي يهدد الجميع،

[1] - المصدر السابق، ص 82.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 91.

[3]- المصدر نفسه، ص 92.

فالشارع لم يعد آمنا يسكنه القلق والرعب والخوف والسكون، وتحول إلى مسرح مفتوح على العنف والموت،" كنت أتساءل طوال الطريق عن هدف القتل في شارع بائس كهذا الشارع؟ حكى لي النذير عما سمعه من الناس هنا.. الناس الذين كانوا يتناوبون على حراسة أنفسهم وأملاكهم ليلا.. حراسة بيوتهم وأهاليهم.. يجتمعون على أسطح البيوت وفي مداخل الأحياء ومخارجها. يجتمعون فرادى وجماعات مسلحين بكل ما تقع عليه أيديهم من حديد وسواطير وعصيات خشبية أو أي شيء آخر.. كان الناس يصنعون الأسلحة التي يدافعون بها عن أنفسهم وعن أهاليهم.."[1] يتضح من المقطع أن الشارع فضاء للقتل والعنف، وحصد أرواح الأبرياء العزل الذين أصبحت حياتهم بائسة وتعيسة نتيجة الخطر اليومي، والقلق الدائم الذي يعيشونه في انتظار هجوم مفاجئ عليه، واضطراب حياتهم وعدم استقرارهم، فالشارع مكان العبور بالذهاب والاياب، والطريق المؤدي إلى البيت أصبح غير آمن وفضاء للترصد تحصد فيه أرواح الناس البسطاء. " كان الشارع قبالتي كئيبا كوجه غادره الفرح. وكنت قبالته وحيدا كيتيم دفن أمه للتو.. ألم أكن يتيما فعلا؟ أنا الذي وجدت نفسي على حافتك منهارا...بدت لي حياتي مسرحية مملّة.. كفيلم شاهدناه مرارا بالأبيض والأسود.."[2] يعكس لنا المقطع صورة الشارع الذي تغيرت ملامحه، وصفاته بعد أن غدا ملاذا للضحايا، وشاهدا على الحوادث الجسيمة، والجثث التي ألقيت على أرصفته وأزقته، ليصبح كئيبا وحزينا، وضيقا يعكس آلام وأوجاع قاطنيه ومعاناتهم، كما يعكس لنا تأثيره على الشخصيات من خلال وحدة السارد وتعاسته والحالة النفسية التي وصل إليها .

بالنسبة للسارد (لاكامورا) أصبح الشارع رغم الحزن والاحباط الذي يخيم عليه فضاء للتحرر والشعور بالحرية من قيود الجدران ، والهروبمن الواقع الأليم ، والخروج من قوقعته بالتسكع في الشارع بحثا عن وطنه، وحبه المفقود الذي تمثل في وجه حبيبته الطبيبة، فكان يجوب الشوراع الذي أصبح ملاذه وهو في حالة نفسية حزينة ومحبطة، باحثا عن وجه حبه الطفولي والأبدي، إنها وطنه الذي طالما بحث عنه، وكل شوارع المدينة وطرقها والأمكنة الموجودة تؤدي إليها،"فالذين يجوبون الشوارع بدون وجهة محددة علامة على الضياع والتيه والفوضى فلا تملك الاختيار أن تمشي أو تتكئ على جدار وهذا أسوء مما يكون عليه الإنسان حين لا يشعر بقيمته ودوره في الحياة ويبقى وقته ضائعا هكذا بدون فائدة لكن رغم ذلك نشعر بثنائية ضدية في المكان من آثاره المباشرة التصدع والانهيار"[3] فحالة اليأس والاحباط والانكسار جعلت السارد يضيق بالأمكنةن ويهرب إلى الشارع كملاذ لوضع خلاص لأوجاعه وآلامه." .. وها

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 96.

[2] - المصدر نفسه، ص 125.

[3]- ابن الأخضر السائحي، جماليات المكان القسنطيني، ص39-40.

أنا أفكر في الموت لأول مرة منذ مدة أصبحت أمشي في الشوارع التي أتوقعها الأخطر، وأجوب الأزقة التي أتوقّعها الأقتل.. كل حواسي تعطّلت فجأة. تحولت من صحفي إلى شخص قابل للطعن.. قابل لرصاصة سهلة تصيبه في الرأس أو في الظهر أو الصدر.. كنت أمشي في الشوارع بلا رغبة في الاختباء أو الاحتماء بأحد.. أمشي طويلا وأدخل شوارع لم يكن لي حق الدخول إليها حين كان الخوف موطنا سكناه جميعنا.."[1] نستشف من المقطع صورة الشوارع الخطيرة التي يتجنها ويتفادى الناس التجول فيها أضحت الفضاء الذي يتسكع فيه السارد، وملاذه للهروب من واقعه وصدمته بعد فقدانه حب الطفولة، وبحثه عن الموت في هذه الشوارع المحظورة، وقد استطاع الشارع أن يعكس لنا صورة الحياة بعد فقدان الأمل، وحالة الاحباط واليأس التي وصل إليها السارد، وتفكيره في الموت الذي يهرب منه الجميع، ليجعل من الشارع ملاذا له، وفضاء للتسكع فيه لوضع حدّ ونهاية لحياته البائسة،" ككل مرة يموت شخص أعرفه، أجدني أرغب في المشي طويلا، بلا هدف وبلا انتهاء.. أمشي كمن لا وقت له سوى للمشي.. أمشي متعبا ومتجاوزا رغبة الصراخ بالمشي.. أمشي وأمشي، لأنسى أنني أمشي وأن الشوارع تزداد ضيقا أمامي والناس يزدادون فجيعة قبالتي.. فكرت في أنني أريد أن أموت لسبب حميم وشخصي جدا."[2] يتضح من المقطع تأثير المكان والأحداث، وحالة السارد الذي جعل الشارع ملاذه كلّما أحس بالاحباط والانكسار، لكن هذه المرة الفجيعة التي ألمت به بعد موت النذير ومن يعرفهم جعلته يمشي في الشارع بلا هدف ولا أمل، سوى المشي والمشي الطويل لينسى ألمه وعذابه وحرقته، الشارع الذي أصبح السارد يجده ضيقا لايحتملشساعةألمه والاحساس والشعور بالتعاسة والقهر.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 161.

[2] - المصدر نفسه، ص 151.

7- الحي الشعبي :

من خلال الرواية يتضح أن الحي الشعبي يعبر عن الطبقة الاجتماعية الكادحة والطبقة التحتية السفلى للمجتمع، حيث نجد الطبقة المحرومة التي تعاني العزلة، الفقر، العوز ،والقهر. كما تبرز فيه الفوارق الطبقية والمعاناة الاجتماعية .

ورد الحي الشعبي في مقاطع سردية من خلال شخصية الصحفي النذير وتردده عليه، فبرز كمكان خطير تفشت فيه ظاهرة العنف والقتل لأنه أصبح ملاذا للإرهاب، ومكانا يترصد فيه ضحاياه، يعيش قاطنيه في حالة من الترقب والخوف،" أخبرني النذير أنه لم يعد يزور أمه منذ وصلت الاغتيالات إلى الشارع الذي يسكنه. فقد اغتيل الكثير من الأشخاص الذين عرفهم، ضباط وصحفيون وموظفون عاديون. صار الحي خطرا منذ صارت مقالاته مقروءة، ومنذ تحول من صحفي جزائري إلى "مارق جزائري" !"[1] يتضح من المقطع السردي أن الحي الشعبي أصبح مكانا خطيرا بعدما أصبح يتردد عليه الإرهاب ليترصد فيه ضحاياه، وقتلهم دون شفقة أو رحمة، كما يتضح الحالة الشعورية للنذير بعدما أصبح معروف الهوية ومعروفا بمهنته كصحفي بالصحافة المستقلة، ولأنه صحفي فهو مهدّد بالقتل والموت في أي لحظة ودون سابق انذار برصاصة الغدر على يد الإرهاب،" كنت أعي من البداية شعور النذير حين قرر الانقطاع عن أهله خوفا عليهم من مهنته. حكى لي كيف أنه حين يغلبه الشوق، يتسلل إلى حيه القديم وينط عبر الأسطح العتيقة. من سطح إلى سطح كلص محترف، كي لا يراه قاتل يتربص به."[2] نستشف أن الحي الشعبي هو حي قديم وضيق، وبسبب الإرهاب انقطع النذير عن زيارة لأهله، وهذادلالة على الخطر الذي خيّم على الحي الشعبي الذي لم يعد آمنا، والحالة النفسية الرهيبة والرّعب والاضطراب الذي يعيشه سكان الحي الشعبي. .

يحضر الحي الشعبي في الرواية فضاء مكاني قديم وضيق يقطنه الناس البسطاء، كما يظهر من السرد أنّه مكان يمارس عليه العنف والضغط بكل أنواعه مما جعل ساكنيه يعيشون حالة من الرعب والحيطة، والقلق الدائم على أرواحهم لأنه محكوم عليهم بالقتل في حال سقوطهم في أيدي الجماعات المسلحة ،وهذا ما نستشفه من السرد" لم يكن المجرمون يتعبون أنفسهم بالنط عبر أسطح البيوت. كانوا ينتظرون دوما في المكان نفسه.. يعرفون دوما أن ضحيتهم ستأتي وأنهم لن يفعلوا أكثر من أداء دور جهزّ قبلا، إطلاق النار على من يرونهم جزء من الطاغوت !"[3] دلالة على غياب الأمن والحماية في الحي الشعبي

[1]- المصدر السابق، ص 64.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 89.

[3]- المصدر نفسه، ص 90

الذي يقطن فيه الناس البسطاء، وتعرضهم للخطر بعدما أصبح ساحة مفتوحة للعنف والقتل في غياب الأمن والحماية وعجز سكان الحيّ عن حماية أنفسهم من القتلة.

" وأنا أدخل إلى ذلك الحي الشعبي المكتظ بالناس والباعة المتجولين والعيون المتربصة.. العيون التي تظل تراقب الداخلين والخارجين وتتبع خطواتهم.. "[1] دلالة على أن الحي مكان يعيش فيه أناس بسطاء وأنهم يعيشون في حالة من التوجّس والقلق الدائم والخوف من دخول الغرباء إلى الحيّ، نتيجة الخطر الذي أصبح يهدد حياتهم وحياة عائلاتهم للقتل فأصبح ممنوع التجول والسير في الحي حفاظا على أمنهم وحياتهم من القتل، " – قد لا أعود إلى هنا مرة أخرى..

قالها النذير وتناول سيجارة ظل يدخنها طوال الطريق ونحن نغادر البيت نحو مخبئنا.. ولم أعلق بشيء.. كنت أفكرّ في الواقع الممتد على جراحنا اليومية.. نظرت إلى شكل الحارة التي بدت لي بائسة جدا.. إلى وجوه الناس المغلفة بالحزن والفجيعة والخوف.."[2] يتضح أن الحيّ أصبح فضاء معادي يعرف سكونا مخيفا وهذا ماتعكسه ملامح قاطنيه من خوف وحزن ورعب والخطر يتربص الجميع.

كما نقل لنا السارد صورة الحي الشعبي من خلال قاطنيه، الحي الذي فقد استقراره وهدوءه وطمأنينته وتحوله إلى فضاء يسكنه الخوف من الإرهاب " يجتمعون فرادى وجماعات مسلحين بكل ماتقع عليه أيديهم من حديد وسواطير وعصيات خشبية أو أي شيء آخر.. كان الناس يصنعون الأسلحة التي يدافعون بها عن أنفسهم وعن أهاليهم.. تحولت الحدادة إلى مصنع لصنع الأسلحة اليدوية كالسيوف والخناجر التي لا يعرفون استعمالها.. بينما تحمل النساء مهارز أو أي شيء يقرعن عليه بقوة لتنبيه الأخريات وهكذا يتحول الحي كله إلى قرع ودق متوازي الصوت، فيعرف الجميع أن الإرهابيين مقبلون وأن الدفاع عن النفس حتمية لا مفر منها كي يتحول الحي إلى خبر مجزرة في جريدة الغد !"[3]

تتكاثف الدلالات بوصف الحياة اليومية البائسة لسكان الحي بأناسها وأحداثها، والزمن النفسي الذي يعيشونه مفجوعين على مصيرهم من خطر القتل والعنف، فالمقطع يصور لنا كيف تحولت حياة سكان الحي بوجود الإرهاب الذي هدّد حياتهم وأملاكهم في غياب الأمن، ليتحول إلى حيّ بائس مقهور يعيش حالة من الرعب والاضطراب، فالمقطع يعكس " الانعطافات الهامة التي شهدتها البلاد، جاءت لتعبر عن مرحلة تاريخية واجتماعية عاشها أهل هذا المكان، وجاءت اللغة لتنقلها إلى النص الروائي بتفاصيلها

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 91 - ص 92.

[2]- المصدر نفسه، ص 95.

[3]- المصدر نفسه، ص 96.

الحزينة مجسدة في يوميات السكان."[1] سكان يعيشون في حيّ فقد كيانه بعدما تجرد من الأمان والسلام، وأصبح مهددا في حياته ومعرض للخطر المفاجئ والمميت .

[1]- الشريف حبيلة،الرواية والعنف، صث 54.

8- الأحياء الشعبية المحرّرة:

برزت في الرواية من خلال اسمها أنّها أحياء لها إنتمائهاالعقائدي، وأنها أماكن خاصة بالجماعة الإسلامية المسلحة، وأنّه لا سلطة للدولة عليها بخروجها عن قانون الدولة، وأنّه بموجب إنتمائها العقائدي لها قانونها الخاص الذي تخضع له، كما ظهرت في الرواية أنّها مناطق خاصة بالمتطرفين والجماعة المسلحة ." وجدتني أدخل إلى الأحياء الشعبية التي يقال عنها محررة بموجب انتماءاتها العقائدية .. دخلتها لأكتشف الناس يمارسون الحياة بطرق مختلفة وبقناعات مختلفة.. الرجال بقمصانهم الطويلة ولحاهم المسترسلة والنساء بجلبابهن الأسود، فيخيل إليك أنك دخلت إلى دولة أخرى قابعة على خطوتين من الخط الفاصل بين الدهشة والدهشة...."[1] نستشف من الوصف أن الحي الشعبي كانت له أعرافه وتقاليد التي تحكمه، وخضوع قاطنيه لقانونه ونظامه الذي يظهر من الهندام المفروض على الرجال والنساء (القمصان الطويلة، اللحى، الجلباب الأسود)، كلها مظاهر خاصة بالمناطق المحرّرة التي لها نظامها وقانونها الخاص بها وخروجها عن سلطة الدولة، كما نستشف من المقطع أن المكان محظور ولا يدخله إلا من ينتمي إليها، وبهذا تظهر الاحياء الشعبية المحرّرة رمز للتطرف والانتماء العقائدي المتطرف والمعارض لسلطة الدولة وقانونها.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 161- ص162.

9- السفارة :

تم حضورها بشكل لافت تعكس صورة الآخر من خلال مكتب السفارة المفتوحة على نفسها وعلى غيرها، لقد كانت فضاء للحلم والدخول أليها بهدف الحصول على الفيزا والهجرة من الوطن الجزائر الذي أصبح فضاء للموت والعنف والقهر، والحياة في البلد الأخر الذي تصان فيه كرامته، ويوفر له الأمن والسلام الذي فقده في وطنه ، ومن جهة أخرى كانت السفارة فضاء للقهر والسلطة، ورمز للآخر الغالب والاطار الرسمي لوجوده من خلال مكتب السفارة الممثل الرسمي لها في الجزائر.

" أعترف أنني كنت واحدا منهم أولئك الذين كانو يحلمون بالخروج من هنا، والذهاب إلى أبعد مكان في الكرة الأرضية، وكنت أحيانا كي أرغب في الشعور بما يشعرون به أمشي بالقرب من تلك السفارات التي كانت مكتظة بالشباب الحالم بالهرب. كانت السفارة الفرنسية الأكثر اكتظاظا بالطوابير، بينما الشرطي الفرنسي يرمق الجميع بوجه بارد مليء بالكراهية التاريخية، ليذكّرهم أنهم يقفون داخل السيادة الفرنسية كان يصرخ باستمرار:

« Vous etes en territoire français, »"[1] يتضح من خلال المقطع أن مكتب السفارة رمز للهجرة الطوعية من طرف واحد ، كما أنها فضاء مفتوح على الأمل والحلم بالحصول على الفيزا، والهجرة إلى فرنسا طلبا للحياة في أمن وسلام فقده الجزائري في وطنه هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبرز صورة الآخر وانتمائه الايديولوجي التي تظهر من خلال الشرطي الفرنسي الذي يمثل السيادة الفرنسية وسيادته على المكان، وممارسته القهر والسلطة على طالب الفيزا، ونظرته العدوانية للجزائري، ليصبح مكتب السفارة رمز للآخر الغالب، وسيادته التي يفرضها على المتواجدين بمكتب السفارة لأجل طلب الفيزا والهجرة .

وقد نقل لنا السارد صورة مكتب السفارة فضاء الحلم الدي يتوافد عليه الجزائريين لطلب الفيزا وسلطة الآخر الفرنسي ، " كانت السفارة بمساحتها الخارجية تابعة للشرطي الفرنسي الذي لا يخفي قرفه من هؤلاء الجزائريين بينما الطوابر تزداد اكتظاظا. لأجل الفيزا يتقبل الجزائري الإهانة، من بواب السفارة وصولا إلى الموظف الداخلي الذي لا يتردد في طرح السؤال الآخر أمام من يحالفه حظ الدخول إلى مكتب التأشيرات، يسأله بصوت لا يخلو من ضجر: لماذا تريد الذهاب إلى فرنسا؟ كأنه ليقول: فرنسا لا تريد أن تذهب إليها !"[2] يتضح من المقطع سيادة سلطة المكان وقهريته ومن خلاله تظهر سيادة الآخر الفرنسي على الطرف المغلوب على أمره الجزائري الذي يتقبل الاهانة والعنف اللفظي والمعنوي في سبيل حصوله على الفيزا والهجرة إلى فرنسا هربا من الموت والقتل وأملا في الحياة.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، 83.

[2]- المصدر نفسه، ص83.

" أجل أمام أعين السلطات الجزائرية يهان الجزائريون يوميا باسم سيادة الآخرين على أرضنا. أمام أعين الجميع يقذف الشرطي الفرنسي جواز السفر الجزائري على وجه طالب الفيزا قائلا له بصوت لا يخلو من تجريح: لقد رفض طلبك. لن تسافر إلى فرنسا ! ودونما عبارة أخرى يطلب منه مغادرة المكتب !"[1] يتضح من خلال المقطع السردي أن مكتب التأشيرات بالسفارة فضاء للقهر، وسيادة سلطة الآخر الفرنسي في الجزائر.

فجل المقاطع السردية تظهر فيه سطوة المكان، وقهريته على الآخر الجزائري الذي كان يعتبره فضاء للهجرة بحصوله على الفيزا، والأمل في الحياة ببلد آخر غير الوطن ليضمن فيه العيش في أمان وسلام لم يجده في وطنه الذي أصبح فضاء للموت .

كما نستشف من المقطع القهر والإهانة التي يتلقاها الجزائري في مكتب السفارة على يد الآخر الفرنسي بعد رفض طلبه وعدم منحه التأشيرة للهجرة إلى الخارج داخل السفارة، والمعاملة السيئة التي يتلقاها من طرف الشرطي الفرنسي لمغادرة السفارة وخيبة الجزائري وتحطم أحلامه بمغادرة الوطن الجزائر والهرب من الوضع المأساوي الذي كان سائدا .

وهناك أمكنة أخرى وردت في سياق السرد للدلالة على الآخر الغرب وهي فرنسا واسبانيا وحلم الجزائري بالهجرة إليها وهربا من الواقع الأليم .

[1]- المصدر السابق، ص 84.

10- **الميناء:**

فضاء مفتوح على ممارسة النشاط كمصدر للرزق، وملاذ مفتوح للهرب من بطش السلطة، لقد شكل المكان الآمن و البديل للمعلم الذي يحفظ له كرامته ويكسب منه لقمة عيشه من خلال عمله به كحمال، كما يحمل دلالة العناء والشقاء والبؤس، فالحاجة والعوز جعلت من المعلم يرضى على نفسه العمل كحمال في الميناء ليعيل عائلته.

الميناء مثّل الملاذ بعد المصائب التي ألمت بشخصية المعلم الذي كابد الظلم والقهر، وهو دلالة على الشخصية المثقفة الكادحة في المجتمع بسبب الظروف الاجتماعية المزرية التي جعلته مهمشا يسعى وراء لقمة العيش لإعالة أسرته، وهو عينة من المجتمع التي عانت القهر والظلم في المجتمع، ومن خلاله تبرز هموم الطبقة الكادحة ومشاكل الحياة وتعقيداتها التي لاتنتهي، وعمله كحمال بالميناء دلالة على الظلم الاجتماعي والفقر والقهر، وعمل المعلم كحمال بالميناء ماهو إلا صورة للمواطن الجزائري المظلوم والمقهور والمهمش في الحياة الذي يكافح لحفظ كرامته ومن أجل العيش، كما أنه نموذج للشخصية المثقفة التي تعيش القهر والحرمان من حقوقها ومعاناتها من الفقر والذّل والمهانة،" فكان عليه أن يجد عملا جديدا، وأن يتخلى عن مزيد من الواجب إزاء قناعاته الشخصية. ذلك الرجل الذي كان معلما قبل أن يصبح بائعا في متجر لينتهي به الأمر إلى حمّال في الميناء."[1] من خلال المقطع أن الميناء مصدر عيش المعلم، وفضاء مفتوح على الأمل والألم، حيث يتضح أن الوضع المادي المزري أجبر المعلم على العمل كحمال بالميناء لأنه لم يجد مايعيل به عائلته سوى ذلك العمل المتعب، وتحمل الأعمال الشاقة التي لم يتعود عليها لإطعام أطفاله الصغار وإعالتهم، فالعمل بالميناء جعله يتنازل ويخضع لقساوة الحياة التي فرضت عليه أن يكون حمالا وإحساسه بالقهر والظلم، الأمر الذي سبب له المرض ثم موته .

الميناء فضاء العمل الشاق، والخضوع والانكسار،" قال لي النذير أنهم لم يعرفوا عمله الجديد.. لا أحد كان يعرف أن المعلم الوقور والمحترم صار حمّالا، ولا حتى زوجته كانت تعرف.. ظلت معتقدة أنه مايزال بائعا بسيطا بلا أهمية تذكر.. لكن ذات مرة، مرض فجأة ونقله عمال الميناء إلى البيت. كان مريضا دون أن يعرف أحدا بمرضه الذي منعه من العمل لفترة من الزمن، لكنه بمجرد أن شعر بالتحسن حتى عاد إلى الميناء، وعاد مريضا إلى أن مات. مات حاملا حزنه الشخصي وانكساره الكبير."[2] من خلال المقطع السردي يتضح أن عمل المعلم كحمال بالميناء جعله يحس بالقهر والذل والمهانة، وإخفاءه الأمر على عائلته بسبب الفقر والحاجة .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 62.

[2]- المصدر نفسه، ص 62.

ثانيا- الأمكنة المغلقة :

1- بيت الجدّ الإقطاعي (بيت العائلة) :

إنه البيت الذي نشأ وترعرع فيه لاكامورا، إنه بيت الطفولة والمنزل الذي تربى في كنفه واحتضن صباه، إنه المكان الذي وجد فيه الحنان والرعاية والاهتمام، فقد إهتمت به عمته المشلولة التي كانت تعتني به بعد غياب والده الذي تركه طفلا بعد ولادته والصدر الحنون التي خففت من إحساسه باليتم الأبدي برحيل والديه فكانت العمة المشلولة بمثابة أمه يتقاسم معها الغرفة ويتبادل معها الحديث والفرح كلّما ضمته إليها فهي كانت الحضن الدافئ والصدر الحنون الذي يلجأ إليه كلما كان محبطا أوخائفا.

" هروب أبي من البيت خلط الأوراق وكسر ظهر جدي الذي لم يكن له ابن غيره..إنما كانت له ابنة وحيدة في الثلاثين، ينخر اليأس عظامها، بعد أن عجز في تزويجها بسبب شللها "[1] فالمقطع يكشف أسرة لاكامورا وعن البيت العائلي الذي يعيش فيه مع عمته المشلولة والحاج عبد الله بعد غياب والده الذي هرب من زواج المصلحة بابنة رئيس البلدية."لم يكن لي أب أتباهى به، منذ غادر أبي دونما رجعة، ولم تكن لي أم أحلم بأعيادي الحميمية في حضورها منذ ارتبط موت أمي بولادتي، ولكن كانت لي ذراعي عمتي وحضنها ويدها التي كانت تمسح بها على شعري. كان لي صوتها وحزنها وذاكرتها المعطوبة حد الشلل.. عمتي التي مع الوقت صارت تناديني ابني وصرت أناديها عن لاوعي: أمي "[2] ، يتضح أن بيت الجدّ الملجأ الذي يأوي لاكامورا، إنّه بيت العائلة الذي يعود إليه للإحساس بالحماية من الخارج، وشعوره بالدفء والطمأنينة، فمن خلال حديث السارد نستشف تأثير البيت العائلي وإحساسه الكبير باليتم والوحدة والضياع خاصة في أعياد الميلاد التي تذكره برحيل والدته بعد ولادته وشعوره بالذنب لغياب والده دون رجعة وربط ميلاده بوفاتها . كما أنّ المقطع السردي ينمّ عن إحساسه بالتعاسة لغياب الوالدين عن البيت، وفقدانه الشعور بالفرح والسعادة بغيابهما، فالبيت العائلي لا يوجد فيه إلا الجدّ والعمّة المشلولة التي عوضته حنان الأم بحضنها الدافئ، ويدها التي كانت تعطف بها عليه وتمسح بها على شعره، فوجودها في حياته وفي البيت خففت من وحدته ويتمه بوجوده معها في نفس الغرفة التي كانت تحتضنه فيها كلما عاد إلى البيت لينعم بحبها وعطفها رغم شللها " عمتي التي وجدتها حاضرة في غياب أم ماتت وهي تضعني للحياة ..وجدت صدرها وذلك الكرسي المتحرك الذي كان يلازمها، وكنت أدفعه بها أحيانا كي أجرها من مكان إلى مكان، مع أنها لم تخرج قط من البيت إلا فيما ندر.. كنت أقاسمها الغرفة والسرير والصحن الذي تأكل فيه.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 32.

[2]- المصدر نفسه، ص 32.

أقاسمها الحوارات المبهمة، والفرح الغريب الذي كان يطرأ على محياها كلما فتحت ذراعيها لتضمني "[1] فالمقطع يكشف لنا عن البيت العائلي الذي احتوى لاكامورا وتربي فيه ، كما يعكس لنا حرمانه من الجو العائلي، وعلاقته بأفراد الأسرة خاصة عمته التي كانت تحن عليه، ويشعر بالحب والدفء بوجودها رغم شللها، وعن العلاقة الحميمية وتعلقه بها لأنها لم تبخل عليه بالعطف وحبها ،واحساسه بالحب والأمان بوجودها معه . " في المساء أعود إلى عمتي، مستعيدا حضنها الآخر، وصوتها المثير حين تحكي لي به حكايات أتمسك بتفاصيلها كلها..ألم تكن عمتي حكاية استثنائية؟ عمتي التي كانت كل مساء تحكي لي عن جنية البحر ..تلك الجنية التي لم يعادلها أحد في الجمال..جنية البحر التي كانت تداعب أحلامي الصغيرة لأجدني أغط في نوم عميق .. ألم تكن الجنية تحمل وجه عمتي أيضا. ذلك الوجه الجميل و الحزين حد الانكسار .. وصوت يداعب مخيلتي في حكاية تبدأ ب "يحكى أن" "[2] في المقطع السردي دلالة واضحة عن تأثير المكان وعن الجو العاطفي والوجداني، والعلاقة الحميمية التي كانت تربط العمة بالحفيد، وعن الألفة داخل غرفة البيت التي كانت تجمعهما، والشعور بالراحة النفسية وجو العائلة، وتأثير وجودها في حياة لاكامورا من خلال حكاياتها التي كانت تدخل البهجة والإحساس بالراحة، وتأثير حكاياتها وصوتها على مخيلته التي تجعله يغط في نوم عميق بين أحضانها ودفئها الذي يعم الغرفة بوجودهما مع بعض. كما نقل لنا السارد بعض الأعراف والتقاليد التي كانت تقام في بيت الجد، حيث كانت تقام الولائم ودعوات الأكل المعروفة ب الزردة ويقوم الجد باستدعاء أهل القرية للأكل والدعاء فكان يحضر كل سكان القرية ماعدا المعلم الذي كان يثير غيظ الجد ويعتبره شخصا وقحا ومغرورا، " حين يقرر جدي استدعاء أهل القرية لزردة يأكلون فيها مجانا لأجل أن يدعو له بطول العمر، والرزق والسلطة التي تصنع منه سيدا دائما واستثنائيا "[3] فمن خلال المقطع نستشف المكانة الاجتماعية والمستوى الاقتصادي والمعيشي للجد في القرية النائية، كما أن المقطع السردي يفصح عن رفاهية الجد الإقطاعي الذي كان يفتح أبواب بيته لأهل القرية بإقامته دعوات الأكل والزردة في قرية نائية معزولة سكانها يعانون الفقر والجوع ، ولإمتصاص غضبهم كان يقيم لهم وليمة الزردة للأكل والشرب، والدعاء له، وفي نفس الوقت ليتمكن من بسط نفوذه في القرية، وحتى يكون استثنائيا في القرية بادعائه الكرم والسخاء على سكان القرية.

بيت الجد هو البيت القديم وبيت الأسرة والعائلة، إنه بيت الطفولة الذي تربى فيه لاكامورا وتلقى فيه الحب والحنان والدعم والرّعاية، إنّه مكان الألفة وبيت الطفولة الأولى، وغرفة العمة هي منبع

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 32.

[2]- المصدر نفسه، ص 36- 37.

[3]. ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 30

الحنان والعطف المفقود، فبعد وفاتهما أصبح المكان موحش وفارغ " موت عمتي ومرض جدي والبيت الذي صار مليئا بالأشباح حد الوحشة. كنت أعي أنني قد أنهي حياتي في ملجأ للأيتام، كأي واحد يموت أهله فجأة "[1] المقطع السردي يوحي بالحالة النفسية للحفيد ووحدته بعد فقدانه الأسرة والبيت الذي كان يحتضنه ويحميه من الخارج، وفراغ البيت من أهله وحرمانه من الجو العائلي وتعاسته والخوف الشديد من الهواجس التي تلاحقه بنهاية حياته في ملجأ للأيتام بعد موت أهله.

البيت العائلي كان الملجأ الذي يأوي إليه لاكامورا ويحميه من الخارج ، إنّه الحضن الدافئ الذي تلقى فيه الرعاية والحب، وبموت الجد فقد لاكامورا الحضن والسند وشعوره باليتم والضياع، " وجدت جدي قد مات. كان الناس مجتمعين في بيتنا. وكنت كمن ينتهي من قصة بائسة. كنت واقفا لا أعرف ماذا علي فعله. ليتني كنت قادرا على الفهم لماذا لا يحق للرجال البكاء؟ ليتني استطعت ذلك. حين فجأة وجدتني أجهش بالبكاء قبالة نفسي. قبالة قرية وجدتني فيها عاريا ويتيما..وجدت رئيس البلدية يقف قبالتي.. صافحني. وقال:

لقد أصبحت رجلا الآن ويمكنك الاعتماد على نفسك !

مددت يدي لأصافحه على مضض صامتا كنت أعي جيدا أن الاعتماد على النفس يبدأ بالرحيل من القرية."[2]

المقطع السردي يكشف لنا صورة البيت العائلي بعد موت الجد، كما يكشف لنا عن الحالة الشعورية والنفسية للحفيد الذي أصبح وحيدا وأكثر يتما من قبل، وعاريا من الدعم والسند بوفاة عائلته، وشعوره بالضعف وعدم القدرة على تحمل قساوة الحياة المجحفة، وقدره المشؤوم الذي حرمه من كل أحبته وهو في سن صغيرة، وشعوره بالعداء والنفور، وتفكيره بالرحيل من القرية إلى العاصمة بعد استيلاء رئيس البلدية على البيت العائلي الذي كان يؤويه ويحميه من الخارج.

[1]- المصدر السابق، ص 45

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 46-47.

2- بيت المعلم بقرية جنان الحاج عبد الله :

مثّل البيت الثاني الذي كان يتردد عليه كثيرا الحفيد الإقطاعي، إنّه البيت الذي أحس فيه بدفء الجو العائلي والطفولة التي افتقدها، بيت المعلم الذي كان ملحقا في المدرسة نفسها يسكن فوق السطح في غرفة شبه ضيقة، والتي كان يسكنها مع زوجته وابنيه، أما الطابق الأول فكان يسكنه المدير ومعلم اللغة الفرنسية، بيت المعلم جعل الحفيد الإقطاعي يحس بالحب والأمان، وأنه ليس منبوذ ووجه شر كما يعتبره أهل القرية، وأنّه طفل يستحق أن يعيش طفولته باللعب والمرح والركض مع ابني المعلم، فعادت له طفولته وبرائته التي وجدها في بيت المعلم وفي وجه ابنه الصغيرة التي أحبها، كما وجد في بيت المعلم الأم التي افتقدها في والدة النذير، التي كانت تفتح له بيتها وتستقبله بالضم والابتسامة والسؤال عن أحواله، والعطف عليه بالاهتمام به كلما طرق باب بيتها، إنه المكان الأليف المليء بالحب والحنان الذي أستعاد فيه طفولته وبرائته. " كان يكفيني أن أذهب إلى ذلك البيت، أطرق الباب فتفتح لي تلك المرأة وتنظر إلي بعينين يغمرهما الفرح. تبتسم وتضمني قبل أن تضم ابنها وتسألني عن أخباري قبل أن تسأل عن أخبار ابنها أو ابنتها. كانت تفعل ذلك بعفوية مدهشة، كأنها تبنت تماما فكرة أنني يتيم وأن الإشفاق على اليتيم يفتح أبواب الجنة "[1] نستشف أن بيت المعلم البيت الثاني الذي تلقى فيه لاكامورا الرعاية والاهتمام، فالمقطع يكشف عن حالة الألفة والطمأنينة، و بتعلق الحفيد لاكامورا ببيت المعلم وأسرته التي وجد فيها الأسرة التي حرم منها، وفيه دلالة على الحنان والعطف والحب الذي كان يتلقاه في بيت المعلم مصدر سعادته وفرحه،" كنت واثقا أنني أنجذب نحو قدر عجيب كلما جئت إلى ذلك البيت .. إلى تلك الأم التي تضمني وتسأل عن يومي وأخباري، وإلى تلك الصغيرة التي كانت تمسك بيدي وتشده بقوة كلما هاجمها الخوف والفزع ..تلك اليد التي أضل ممسكا بها سعيدا وأقل يتما مما يظن الآخرون..مع أنني في حالات ما، كنت أتحسس يتمي في غياب من كان لي حق في حضورهم..أولئك الذين رحلوا اختيارا أو بقوا على مضض"[2] المقطع السردي يوضح بجلي تأثير بيت المعلم على لاكامورا ، والحالة الشعورية والنفسية، والإحساس بالحب لبيت المعلم، وتأثير ذلك على حياة الحفيد الإقطاعي الذي كان ينجذب إليه، إنّه البيت الذي وجد فيه الدفء العائلي، والألفة والحميمة، وانجذابه بوعي منه ولاشعوريا إلى مكان وجد فيه الأسرة التي حرم منها، وخففت من تعاسته ويتمه الأبدي، وإحساسه بأنه فرد من العائلة وشعوره بالسعادة التي حرم منها.

بيت المعلم مثل للحفيد الإقطاعي بيت الألفة، وحميمية العائلة والأسرة التي حرم منها وفقدها، إنه البيت الذي وجد فيه الحب والدفء العائلي، فهو صورة للبيت العائلي السعيد الذي وجد فيه الحنان

[1]- المصدر السابق، ص 35.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 36

والرّعاية، واهتمام الوالدين الذي حرم منه وهو طفل صغير، وتأثره بالمعاملة الطيبة والعطف الذي كان يحصل عليه كلّما توجه إليه، بيت المعلم البيت الوحيد الذي كان يتردد عليه بعد بيت العائلة، إنه البيت الثاني الذي تلقى فيه العطف والرعاية والاهتمام، إنّه البيت الذي إستعاد فيه إحساسه بالبراءة والطفولة المفقودة، وشعوره بالسعادة والمرح كلما تواجد فيه مع ابني المعلم، وشعوره بالمحبة والقبول الذي لم يجده عند سكان القرية .

3- مدرسة القرية جنان الحاج عبد الله :

إنّها المدرسة الوحيدة في القرية النائية التي كان يتوجه إليها أبناء القرية من اجل التعلم وتلقي الدروس، مدرسة القرية كانت تتكون من المدير ومعلم اللغة الفرنسية ومعلم اللغة العربية والد النذير، تؤدي دور التربية والتعليم، ومن بين الذين كانوا يرتادون المدرسة ابن الحفيد الإقطاعي الذي كان يرسله إليها جده للتعلم، " في العاشرة من العمر بدأت تتبلور أمامي أبعاد القرية النائية، بتفاصيلها ومدرستها الوحيدة التي كان يرسلني إليها جدي لأتعلم أشياء لم تكن تعنيني في النهاية. ولعل المعلم انتبه إلى عدم اكتراثي بالقدوم إلى المدرسة، كان أحيانا ينظر إلي مليا ويقول فجأة: لا تظن أن أرض جدك ستغنيك عما ستتعلمه هنا. ما ستتلقاه في المدرسة لن يمنحك إياه أحد ولا حتى سلطة جدك "[1] دلالة على أهمية المدرسة في حياة الفرد وتأثيرها على الحفيد وحبه للدراسة بعد الملاحظة التي وجّهها له المعلم بأن سلطة الجد لن تغنيه عما سيتعلمه في المدرسة، لقد مثلت المدرسة البيت الثاني للسارد الذي تلقى فيه الرعاية والاهتمام من معلمه الذي كان يعطف عليه ويوجهه بمناسبة وبدون مناسبة على أهمية المدرسة والتفوق في الدراسة وعدم الاعتماد على سلطة الجد، الحديث الذي لم يستوعبه الحفيد الإقطاعي إلا بعد سنوات، المدرسة كانت لها تأثير كبير على حياة الحفيد الإقطاعي بنجاحه وتغير مصيره فيما بعد.

" كنت انجذب إلى يده، وإلى صوته وهو يذكرني بأهمية المدرسة التي كنت أشعر فيها بالحياد فيها أو قبالتها برغم تفوقي فيها. كان المعلم يدرك ذلك تماما، ولعله حاول أن يقنعني أن الحياد يتعارض مع التفوق، وأن التفوق وحده يكفي لأجل التقدم نحو الأمام وليس لأجل التقهقر نحو الخلف "[2] نستشف أن المدرسة المكان الذي كان يرتاده لاكامورا من أجل الدراسة والتعلم، وهو المكان الذي كان يشعر فيه بالوحدة رغم تفوقه على أقرانه من أبناء القرية، وتأثير المعلم على تحصيله الدراسي والفكري.

المدرسة رمز العلم والوعي والتوجيه للقيم التربوية الصحيحة، وقد كان للمدرسة الأثر البالغ في تكوين شخصية الحفيد الإقطاعي، ودور المعلم الكبير في توجيهه، وتسوية سلوكه بالاتجاه الصحيح، وإخراجه من عزلته، ووحدته بالاحتكاك بالآخرين، كما يتضح أن تفوقه المستمر في الدراسة كان بفضل الاهتمام والرعاية التي تلقاها من المعلم الذي أحبه، وجعله يحب الدراسة والمدرسة والتعلم فيها، والنتيجة تفوقه المستمر لإثبات جدارته للمعلم الذي أحبه وأعجب به، المدرسة تظهر من خلال المعلم الذي شجعه على الدراسة، وأن يكون مختلفا عن الجميع بالعلم والنجاح، وأن يتمسك بالدراسة التي ستكون سلاحا له في المستقبل وأن لا يشبه لا يشبه جده الإقطاعي وأهالي القرية الذين استعبدتهم

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 33.

[2]- المصدر نفسه، ص 33

الأرض، وأن يكون مختلفا ومتميزا عن الجميع. " لعلي استطعت أن أسأل المعلم ذات مرة، لماذا يهتم بي أنا بالذات دون بقية الأطفال؟ فابتسم.. لعله صمت طويلا قبل أن يقول: - لأنك طيب. ولأنك تلميذ متفوق، ولأني أريد أن تكون مختلفا عن كل هؤلاء الذين يقودون القرية إلى التهلكة، وأولهم جدّك "[1] دلالة على وعي المعلم وثقافته الواسعة الذي أراد أن يبني ويرسخ مبادئ وقيم في نفس الحفيد الإقطاعي من خلال تشجيعه على الدراسة وتكوينه فكريا ونفسيا وأن يكون مختلفا عن الجميع وبالأخص جده لأنه كان إقطاعيا ويستغل سلطته على الناس، فمن خلال المقطع السردي نستشف دور المدرسة وأهميتها في التربية والتعليم، ويظهر تأثيرها من خلال تعلق الحفيد بالمعلم ، المعلم الذي شجعه على الدراسة، ولأن المعلم كان ينظر للمدى البعيد أراد من خلال اهتمامه غرس القيم والمبادئ ، وتوعية الحفيد الإقطاعي وزرع في نفسه بذرة العلم وإبعاده عن الفكر الإقطاعي الذي يجسده جدّه الإقطاعي.

مثلت المدرسة قبلة الحفيد الإقطاعي الذي أصبح مجتهدا ومكبّا على دراسته والتفوق فيها، واختلافه عن أقرانه من أبناء القرية كونه الحفيد الغني والمدلل، مدرسة القرية ساهمت في تكوين شخصية لاكامورا وترسيخ لديه فكرة الاهتمام بالدراسة والتفوق من أجل نيل النجاح والقبول لدى الآخرين، وبالأخص إرضاء المعلم وإسعاد الجدّ، كما شكلت المدرسة البيت الثاني الذي عوضه عن الحرمان الذي كان يحس به والوحدة باحتكاكه بالآخرين، وملأ الفراغ بانشغاله بالدراسة والتفوق كعملية إسقاط لتعويض النقص والحرمان.

شكلت المدرسة في قرية جنان الحاج عبد الله اللبنة الأولى التي يتلقى فيها التلاميذ الرعاية والاهتمام ومكانا للدراسة والتوعية بأهمية التعلم والعلم والقضاء على الجهل والأمية في القرية النائية .

[1]- المصدر السابق، ص 36

4- الثانوية :

تعدّ من الأمكنة المغلقة التي يرتادها التلاميذ للتعلم، فهي مخصصة لتنمية القدرات الفكرية والعلمية والثقافية وتوعيتهم، الثانوية كانت مرحلة حاسمة في حياة الحفيد الإقطاعي الذي كان يتفوق دائما في دراسته من أجل تحقيق حلمه بمغادرة القرية والانتقال إلى العاصمة.

مثلت الثانوية مرحلة حاسمة في حياة الحفيد الإقطاعي التي قطع فيها شوطا صعبا بعد غياب كل من يحبهم، ومرض جده الذي أصبح مشلولا وعاجزا عن التصرف، فكانت الدراسة الثانوية كجواز سفر للهرب من القرية وملجأ الأيتام الكابوس الذي ظل يلاحقه، وحلمه بالنجاح للانتقال إلى العاصمة. " في الخامسة عشرة من العمر وجدتني أتفوق برغم كل شيء. لم أكن أتفوق انتقاما من وضع لم يكن يعنيني في النهاية. كنت أتفوق انتقاما من نفسي. ربما لأني كنت أحلم بمغادرة القرية نحو العاصمة. فكرت أن المدينة تكفي لأتفوق في الدراسة لأجل ألا أكون واحدا من هؤلاء القطيع. لألا أكون مثل جدي أو رئيس البلدية أو الفلاحين أو البائسين الراضين عن أنفسهم.. كنت أريد التفوق لأجلي أنا.. أليس هذا ما وعدت به المعلم "[1] المقطع السردي يوحي بحالة العداء والنفور التي أصبح يكنها الحفيد لاكامورا للمكان بعد مرض الجد وموت العمة ورحيل الأحبة (المعلم وأسرته)، وأصبحت دراسته الثانوية الحل الوحيد لخروجه من القرية من الباب الواسع، فاجتهد رغم الظروف العصيبة لأجل نفسه ومن أجل المعلم الذي وعده بالنجاح، ولأجل جده الذي أصبح عاجزا، الجد الذي كان سنده في الحياة اليوم طريح الفراش مكسور الخاطر ويحفزه على النجاح." لم أكن راغبا في إنهاء يومياتي في ملجأ أو عاملا في أرض كانت لنا وصارت لرئيس البلدية. كان يهمني أن أتفوق، لأجل جدي الذي كان ينظر إلي بصمت مكسور كما ليذكّرني ألا حق لي في الفشل الآن.. كان يتكلم بصعوبة بسبب المرض، ولكنه حين يتكلم يقول أحسنت"[2] المقطع السردي يوحي بالحالة النفسية للحفيد والجد في آن واحد الجد الذي يعلم بمصيره وبأملاكه التي ستنتقل إلى رئيس البلدية بعد وفاته وحيرة الحفيد في مصيره وخوفه من الضياع، فكانت دراسته الثانوية والتفوق فيها الحل الوحيد والمحتم لخروجه من القرية إلى العاصمة وإكمال دراسته، كما توحي بخيبته وتعاسته لما حدث لجده سنده في الحياة وعدم قبوله للواقع ورفضه أن يكون عاملا في أرض كان يملكها جده أو العيش في ملجأ للأيتام في حال موت جده، فالحالة النفسية الحزينة جعلت الحفيد لا يفكر في شيء سوى الدراسة والتفوق حتى يهرب من مصيره الكارثة،" كنت أنا في التاسعة عشرة من العمر، في سنتي الثانوية الأخيرة، احضر لامتحان

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 45

[2]- المصدر نفسه، ص 46.

البكالوريا وكنت جزءا من الصفقة التي أبرمها رئيس البلدية بموجب صداقته الغامضة مع جدي، حتى وجدي يخبرني بصعوبة أنه سيترك لي المبلغ في حسابي وأنه من هنا فصاعدا يجب أن أعتمد على نفسي .

كيف يمكن لشاب في التاسعة عشرة أن يعتمد على نفسه؟ كيف يمكن الاعتماد على النفس وسط هذه الفوضى واللا جدوى؟ كنت أذهب إلى الثانوية صباحا ولا أرجع إلا مساء منهكا حد الموت..ثم ذات يوم، حين رجعت أشد تعبا من أي يوم، وجدت جدي قد مات."[1] المقطع السردي يوحي بعدة دلالات نفسية خاصة أنه في المرحلة النهائية وتحضيره للبكالوريا، إنها السنة الأخيرة وحدها تثير قلقا وتوترا خاصا ليزيد قلقه في تفكيره في مصيره وشعوره بالإحباط الشديد والخوف من المجهول، المجهول الذي أصبح واقعا محتما بوفاة الجد والشعور بالضياع والشتات، وبدء العد التنازلي للرحيل من القرية.

شكلت الثانوية المرحلة الحاسمة والفاصلة لحياة لاكامورا بالقرية وتعتبر بمثابة جواز سفر بنجاحه والانتقال إلى العاصمة لإكمال دراسته الجامعية .

[1]- المصدر السابق، ص 46.

5- الإسطبل :

الإسطبل من الأمكنة المغلقة المخصصة للقطيع والأبقار وقد كان لحضوره في الرواية تأثيرا بالغا في مجرى السرد، ذلك أن عامل الإسطبل الذي كان يتولى الإشراف عليه كان سببا في موت العمة المشلولة بعد أن طلبها للزواج ورفض والدها ثم قرر الهرب بعد تواصله معها عن طريق الرسائل المبهمة التي كان ينقلها لها الحفيد الإقطاعي، الإسطبل كان وجهة ومقصد لاكامورا في عطلة نهاية السنة ونتيجة الفراغ الذي تركه المعلم أصبح يقضي وقته فيه فيجلس على كومة القش والحديث مع عامل الإسطبل الذي علم فيما بعد أنه طلب يد عمته المشلولة فاستمتع بحكاية نقل الرسائل بينهما كجسر تواصل دون أن يعلم بالعواقب الوخيمة وذات يوم طلب عامل الإسطبل من لاكامورا نقل رسالته الأخيرة إلى العمة شرط أن يأتيه بالرد مباشرة لكن العمة لم ترد فتوجه عامل الإسطبل إلى الجد وكانت تلك آخر مرة شاهده فيها فقد اختفى بعد أن اتهمه الجد الإقطاعي بالسرقة وخوفا من السجن لم يعد من يومها، لشدة غضب الجد انطوت العمة على نفسها من الخوف وكذلك الحفيد لأنه كان صديقا لعامل الإسطبل وينقل الرسائل إلى العمة ، وبسبب هذه الحادثة فجأة ودون سابق إنذار توفيت العمة المشلولة وسقط الجد الإقطاعي طريح الفراش وأصبح عاجزا عن الحركة نتيجة الإشاعات والأقاويل التي انتشرت كاللهيب في القرية النائية كونهم ربطوا موت العمة المفاجئ بهرب عامل الإسطبل الذي طلبها للزواج مرة أخرى واختفاءه من القرية.

" كانت العطلة مملة ورتيبة، ولم أكن أفعل سوى الانتقال ما بين غرفة عمتي والإسطبل الذي كان يعمل فيه شخص مهذب و صامت وحزين. كان يعتني بالأبقار التي يتفاخر بها جدّي في إسطبله. كان يقوم بكل شيء تقريبا. ينظف الإسطبل.. يحلب البقرات و أحيانا يرافق القطيع إلى المرعى.. يجلب الماء، ويظل صامتا كجدارية لا تعترف بالكلمات "[1] دلالة على أن عامل الإسطبل كان يأويه هذا المكان المغلق الذي لا ترتاده إلا الحيوانات، فالإسطبل جعله بعيدا عن العالم واهتمامه فقط بالحيوانات التي يؤويها الإسطبل الذي يملكه الجد الإقطاعي دون تذمر و إلتزامه الصمت الحزين، فإنغلاق المكان أضفى إلى كبت أحاسيسه التي تفاقم وهجها بعد رفض الجد تزويجه العمة المشلولة، والحفيد الإقطاعي إعتبر الإسطبل مكانا يقصده لقضاء أوقات العطلة الرتيبة بعد فقدانه صديقيه (ابني المعلم) برحيلهما إلى العاصمة ليجد نفسه صديقا لعامل الإسطبل وجسر تواصل بينه وبين عمته المشلولة دون إدراك منه بالعواقب الوخيمة.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 41.

نلحظ أن الحالة النفسية للحفيد كانت في حالة من اليأس والضجر وإحساسه بالوحدة من جديد والفراغ جعله يقصد الإسطبل رغبة في القضاء على رتابة العطلة والملل وملأ الفراغ الذي تركه المعلم وأسرته. فوجد نفسه يتردد على الإسطبل ويقوم توصيل رسائل عامل الإسطبل لعمته المشلولة.

" ذات يوم حين شدني عامل الإسطبل من يدي وسحبني لأجلس قريبا منه، على كومة من القش طلب مني أن أنقل إلى عمتي رسالة. قال إن الرد يجب أن يكون اليوم. ولم تكن الرسالة واضحة، سوى في سؤال أرادني أن أطرحه عليها.. ركضت نحوها. نقلت إليها الرسالة/ السؤال فنظرت إليّ متعجبة ومرتبكة. انتظرت ردها. قلت لها إن الرد يجب أن يكون الآن، ولم ترد. طلبت مني أن أتركها وتركتها. نزلت دونما رد أحمله. كنت فارغ اليدين وأنا أدخل إلى الإسطبل أمام لهفة الرجل الحزين الذي اقترب مني وسألني عن الرد. حرّكت كتفي بإشارة النفي.. وبدا حزينا فجأة.. لكنه خرج من الإسطبل مسرعا. تابعته بنظراتي وعرفت أنه متوجه نحو جدي .."[1] المقطع السردي يوحي أن عامل الإسطبل كان يحب العمة المشلولة وأرادها أن تكون زوجة له فقرر أن يطلب منها الهرب معه بعد أن رفض والدها تزويجها له للمرة الثانية لكنها رفضت الفكرة بعدم الرد عليه .

من خلال الرواية يبدو أن إنغلاق المكان ترك أثرا بالغا على ساكنيه، فشخصية عامل الإسطبل غيّرت في مسرى الأحداث والسكون الذي كان يخيم على المكان ، وهذا ما كشفه السرد " ما الذي جرى يومها؟ لا أدري.. كنت مازلت جالسا على كومة القش تلك، أنتظر رجوعه ولم يعد.. وحين صعدت إلى عمتي وجدتها تبكي بحرقة ..تمنيت أن أسأل عمتي لأفهم.. ماذا جرى فعلا؟ لا أعرف. لا أحد يعرف ولا حتى عمتي. فقد اختفى الرجل. كان جدي غاضبا تلك الصبيحة. كان غاضبا جدا. ومع ذلك لم يبدو مستغربا ولا مندهشا حين علم أن عامل الإسطبل اختفى.. ولم يكن ذلك كافيا بالنسبة لجدّي الذي ظل مزمجرا وثائرا.. كان صوته واصلا إلى البيت كله. ولعله أراد أن يوصل صوته إلى عمتي التي انطوت على نفسها رعبا. لكم كنت خائفا وقتها. خفت أن ينقلب عليّ أنا الذي كان صديقا لعامل الإسطبل، أنا الذي كان يوصل الرسائل المبهمة والغامضة بينه وبين عمتي.. عرفت يومها أنّ جدي اتصل بالشرطة بعد أن اتهم عامل الإسطبل بالسرقة، فاضطر العامل للهرب خوفا من السجن "[2] المقطع السردي يوحي أن الجد الإقطاعي رغم معرفته لشخصية عامل الإسطبل الرزينة والهادئة إلا أن ذلك لم يشفع له بل الأتعس من ذلك في حين كان ينتظر خبرا سارا منه بقبول الزواج من ابنته المشلولة فوجئ برفضه والأكثر من ذلك اتهامه بالسرقة ليتحول حلمه بالارتباط بالعمة إلى اتهام بالتطاول على الأسياد وتلفيق له تهمة لم يقترفها، فيكون هذا

[1]- المصدر السابق، ص 42.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 42-43.

الموقف واشيا بالطبقية التي يعيشها المجتمع ودلالة على استحقار عامل الإسطبل الفقير وتقديم شكوى بحقه واتهامه بالسرقة .

*الأمكنة المغلقة بقرية جنان الحاج عبد الله خاصة بيت الجد والمعلم والمدرسة مثلت فضاء الانغلاق على مرحلة الطفولة بآلامها وآمالها، فكان البيت مكان الحميمية والألفة التي تلقى فيها لاكامورا الرعاية والعطف والحنان والحب، وأفضت بالحالة الشعورية والنفسية لقاطنيها من حالات الشعور بالسعادة والفرح، والبهجة بوجود الجد والعمة، والمعلم وأسرته في حياة لاكامورا ، وتحولها إلى فضاء شديد الانغلاق وحالة التعاسة والحزن، والمعاناة والألم، والشعور بالوحدة وباليتم الأبدي برحيلهم من حياته، والإحساس بالنفور والعداء للمكان، والوحشة والغربة بعد فقدان أهله ورحيل المعلم وتفكيره في الانتقال للعاصمة .

6- بيت عائلة النذير بالمدينة العاصمة :

يمثل بيت العائلة يتكون من الأم والأخت الطبيبة والشقيق الأصغر الذي ولد بالعاصمة، إنه رمز العائلة وكل ما هو حميمي، إنه المكان الذي يلم الشمل رغم الظروف الاجتماعية الصعبة، البيت مقره بحي شعبي فقير وبسيط، تتولى فيه الأم رعاية أبنائها وتوفير لقمة العيش بعد وفاة زوجها المعلم. البيت رمز الأمان والراحة والطمأنينة قبل اضطراب الواقع وبروز ظاهرة الإرهاب التي حولت الحيز المكاني من باعث على الانشراح والأمان إلى حيز هندسي مغلق محمول بالخوف والانقباض والرعب. هكذا أصبح شكل البيت وهو نموذج لكل البيوت الجزائرية التي أصبحت بوجود الإرهاب بيوت مغلقة يعيش قاطنوها حالة من الترقب والقلق والرعب بحكم الخوف من الموت دون سابق إنذار،" كان يدخل إلى بيته من السطح دوما. يجلس إلى أمه قليلا بينما يخرج أخوه الصغير ليراقب المكان، خوفا من أن يداهمهم حراس الموت. ساعة من الكلام الذي يبدو أحيانا على عجل. ساعة من الشوق ومن الحلم الذي كان يبدو مبتورا. ساعة من البكاء ومن الوعد أيضا، ثم يغادر النذير أمه بالطريقة نفسها، نطاطا من سطح إلى آخر."[1] دلالة على أن البيت العائلي مهدد ومعرض للخطر ولم يعد آمنا ومستقرا يعيش أهله في حالة اضطراب وقلق وترقب بوجود النذير الذي تترصده أعين القتلة وخطورة مجيئه للبيت وتعريض حياته وحياة أهله للخطر، وهذاما كانت تعيشه جلّ البيوت الجزائرية ." كل الذين كانت لهم أم تنتظرهم فعلوا الشيء نفسه. ضباط الشرطة الذين غادروا مساكنهم خوفا من القتل فعلوا ذلك أيضا.. كانوا يعودون خلسة إلى أمهات ينتظرنهم بشوق العمر الذي لا يعرف هل سيعيش للحظة أخرى؟ للوعد الآخر؟ كانوا ينطون عبر الأسطح للدخول إلى بيوتهم، لساعة من الزمن، ويغادرون بالطريقة نفسها. الرشيد فعل ذلك كثيرا.. حكى لي عن مرات وقع فيها من السطح وأصيب في معصمه أو في ذراعه ولكنه يتشبث بحق المحاولة ثانية، ليصل إلى أم يشتاق إليها، وإلى حضن يتوق إليه. ذلك الحضن الذي كان يعوّضه الوطن المفقود أيضا ويعوضه الكرامة المجروحة، ويعوضه ألم السقوط والنهوض والمشي باتجاه نفس المصير الذي هرب منه عبثا ! الموت قتلا ! "[2] يتضح من خلال المقطع السردي أن البيوت الجزائرية كانت تعيش في الاأمنوالااستقرار والقلق الدائم على حياة أبنائها. فالبيت العائلي والحضن الدافئ رمز الأمان والحماية أصبح مهددا بالخطر وعدم الاستقرار وحرمان أهله الطمأنينة والسلام، فالبيت الملجأ والمأوى الذي كان يلجأ إليه لاحساس بالأمان المفقود والراحة النفسية برؤية الأم الحنون، ومن جهة أخرى نرى حالة وصورة البيت العائلي" مع اضطراب الواقع، واندلاع الفجائع التي ألمت بالمكان والإنسان الجزائري، تغيرت الرؤية لهذا الحيز الهندسي

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص89.

[2]- المصدر نفسه ص 89-90.

رمز الآمان، فلم يعد الحصن الحامي لأهله"[1] وأصبح يعيش أهله في ترقب وقلق دائم ورعب ومعاناة نفسية لا تنتهي، ذلك أن الإرهاب يترصد أبنائهم وكل من يمثل النظام والسلطة والقضاء عليه قتلا.

"وحين فتح الباب وجدتني أدخل بسرعة كمن يتخلص من عقدة الوقوف خارجا ! دخلنا.. دخلت. أنا اليتيم الذي عاد إلى حضن غادره طويلا. لكم أبهرني دخولي. أبهرني أنني جئت، ليلفني ذلك الشيء الذي كان يقرصني من فؤادي قائلا لي: تأخرت كثيرا ! دخلت.. كنت أتأمل شكل الحب الأسري في وطن فقد قلبه. بقيت بعيدا قليلا وأنا أنظر إلى تلك الوالدة التي ركضت نحو ابنها لتعانقه باكية. لتضمه إلى صدرها باكية. لتتكلم معه باكية. رأيت الدموع في عيني النذير. حاول أن يداريها فلم ينجح، ولأول مرة رأيته يبكي بين أحضان أمه. هل يمكن لشخص أن يبكي بكرامة في حضن آخر غير حضن أم منتظرة ومتلهفة؟ تلك الدموع التي كانت تصنع الرجال ولا تسيء إليهم.."[2] دلالة على الحزن والمأساة بفراق الأهل والخوف من موت محتم لا مفر منه والشعور بالألم والحزن والحسرة على الواقع المرير، كما يعكس لنا المقطع حالة كل أم جزائرية تعرف المصير الذي ينتظر ابنها في زمن طغى فيه صوت الرصاص وعجزهم حيال ذلك.

فالبيت هو الأم والوطن والحضن الدافئ خيّم عليه الحزن والفزع والألم وحرمانها من الطمأنينة وقلقها الدائم على أبنائها فلذة كبدها وشوقها الدائم للقاء رغم الخطر . " التفتت نحوي، تلك الأم التي ظلت فاتحة ذراعيها لي، وبدون انتظار وجدتني أعانقها.

– كم أنا مسرورة لحضورك يابني. منذ حكى لي النذير أنه وجدك وأنا أتمنى رؤيتك .

قالتها وهي تضمني. لم أقل شيئا مهما، كنت سعيدا بحضنها، وبيدها وهي تتلمس وجهي كما تتلمس أم وجه ابن يعود إليها بعد سنوات من الغياب.. كنت سعيدا وخجولا ومرتبكا"[3] بيت العائلة هو المكان الأليف الذي يفتقده لاكامورا والذي وجد فيه الأم التي حرم منها، فقد شكل البيت فضاء للألفة ولمّ الشمل والاجتماع من جديد بعد الفراق." كنت واقفا مرتبكا أنظر إلى النذير وهو يبدو كطفل مرتبك بين أحضان أخته.. ثم حين هدأت العواطف، التفتت نحوي وابتسمت وهي تصافحني. لم تتكلم.. ابتسمت فقط. خيل إلي أن ابتسامتها تشبه يدا توضع على ذراع مرتبكة. كانت تكفيني تلك الابتسامة لأشعر أن قلبي يدق بقوة قبالة تلك الجنية التي كانت طفلة وأصبحت امرأة."[4] نستشف من المقطع فرحة وسعادة الجميع بتواجدهم في البيت العائلي بعد الغياب وفرح لاكامورا بلقاء عائلة النذير واحساسه بالحب والألفة لرؤية

[1]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص27.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص93.

[3] - المصدر نفسه، ص 93.

[4] - المصدر نفسه، ص93.

أخته حب الطفولة. " هل كنت لأخفي فرحتي وأنا أدخل إلى البيت الذي كنت أعرف وجودك فيه؟ حين قال النذير: هذا صديقنا العزيز، رأيت ابتسامتك تتسع أكثر. ووجدتني أبتسم بدوري وأنا أتحسس يدي وذراعي. كنت ها هنا أخيرا. كنت أعرف أنني سألتقيك انتابني يومها شعور غريب بأنني وقعت في الفخ.. كنت أنظر أليك بصمت أقرب إلى الصلاة "[1] ، شكل بيت النذير بيت العائلة الحميمي، مكان الألفة والشعور بالفرحة.

بيت عائلة النذير هو البيت الذي وجد فيه لاكامورا الحب والأم التي يفتقدها وشعوره بالفرح بتواجده معهم واحساسه أنه واحد من العائلة وأن بيت عائلة النذير هو بيته الأسري الذي يعود إليه بعد الفراق رغم الخطر الذي كان يهدد الجميع.

" أرسلت لي من يطلب مني ألا آتي إلى البيت. قالت إن الذين أطلقوا النار على النذير مازالو يتربصون أمام البيت. قد يطلقون النار على أي وجه يكرهونه !"[2] نستشف من المقطع حالة الهلع والرعب الذي كانت تعيشه عائلة النذير بعد إطلاق النار عليه وكيف أصبح البيت مراقبا يترصد ضحية أخرى للقضاء عليها فتحول البيت السعيد إلى مأتم يعمه الحزن والألم والتعاسة ." مات تاركا أما تبكيه بصمت وأختا تنظر إلى الآخرين بحثا عن إجابة لأسئلة الكون. وأخ صغير يشعر باليتم من جديد ! كنت قبالتهم أنظر إليهم. إلى المعزّين الذين تهافتوا على ذلك البيت الذي تحول إلى قبلة كل من أرادأن يتصور ليظهر في نشرة أخبار الثامنة !"[3] نستشف من المقطع أن البيت أصبح فضاء للعزاء والحزن والألم فقد مات النذير الصحفي الذي دافع عن الحق وأصرّ على نشر الحقيقة التي عجلت بموته ورحيله، تاركا وراءه أسرة مفجوعة وصديق وحيد فقد لذة الحياة بعده ." كان الظلام دامسا حين وقفت أمام الباب . مددت يدي إلى الجرس. ثم ترددت. لم أشأ أن أربك صمت البيت المحاط بهذه الهالة من الحزن والفجيعة.. وجدتني بدل الضغط على جرس الباب أطرقه طرقا خفيفا.. وانتظرت.. كنت واقفا، أفكر في الكلام الذي يمكن قوله بعد الدفن.. بعد التخلص من جثة كانت القاسم المشترك بيني وبينهم.. بين حضوري وغيابي.. تساءلت هل يمكن للكلام أن ينقل احساس الفجيعة والانتهاء.. كمشهد في مسرحية تنتهي إلى اللاشيء.. بقيت واقفا متّكئا على جدار بانتظار أن يفتح لي الباب. ثم حين تأخر الأمر شعرت بشيء يدعوني للرحيل"[4] نستشف من الوصف حالة الانتظار الرهيب المشحون بالقلق والتردد بسب الانتظار الطويل الذي جعله يحس باليأس والتفكير في

[1] - المصدر السابق، ص 94.

[2] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 115.

[3] - المصدر نفسه، ص 143.

[4] - المصدر نفسه، ص 145.

الرحيل، فبعد موت النذير انقلبت الموازين وأصبح البيت الذي كان يتردد عليه مع النذير بالأمس فضاء للحزن والألم لساكنيه واحساس لاكامورا بالانكسار والهزيمة وهو في حالة انتظار أمل فتح باب البيت ليعزي نفسه في الفجيعة التي ألمت بأعز الناس عنده. " أدرت ظهري لأغادر حين فتح الباب فجأة.. على وجه ظل ينظر إلي بصمت.. لم أقل شيئا.. بقيت واقفا أنظر إلى تلك العينين الحزينتين.. كانت شاحبة ودامعة.. ودون أن أقول شيئا، دون أن أبرر شيئا وجدتني أجهش بالبكاء !"[1] يتضح من المقطع السردي الأحداث الأليمة التي أصابت البيت وكأنه الرقعة الجغرافية للجزائر التي تحدث فيها الأحداث المأساوية وحالة الحزن والألم الذي تعجز عن وصفه إلا بالبكاء على المصاب الجلل .

بيت عائلة النذير شكل الملاذ الذي يتردد عليه لاكامورا والذي إعتبره الحضن الدافئ الذي يحميه من الانكسار ويبعث فيه الحياة من جديد لذلك كان يلجأ إليه كلّما أحس بالشوق والحنين لحب الطفولة " مشيت باتجاه بيتها كمن يعود إلى بيته بعد عمر من الغياب. لفني الارتباك"[2]، أصبح بيت العائلة الملاذ الوحيد لعذابات لاكامورا والذي يطفأ شوقه وحنينه برؤيتها رغم ارتباكه وتردده وخوفه من عدم استقباله خاصة بعد موت النذير، لكن رغبته برؤيتها جعله يطرق بابهم وينتظر بشوق وخوف ولهفة ليتفاجئ بوجود خطيبها الضابط وشعوره بالضيق الذي كان هو الآخر يتردد عليهم ويقوم بزيارتهم .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 145.

[2] - المصدر نفسه، ص 152.

7- شقة لاكامورا بالعاصمة:

هي عبارة عن أستديو إستأجرهلاكامورا بعد إنتقاله إلى العاصمة، وهو عبارة عن مكان صغير يقيم فيه ويحميه من الخارج " ربما لأني أنا نفسي لا أسكن في أي مكان أساسا. منذ استأجرت أستوديو صغيرا وسخيفا في مكان لا يوصل إلى شيء.. اقترحت عليه المكان ليقيم معي فيه فضحك.. لكنه لم يرفض ولم يقبل. !."[1] يوحي المقطع السردي على أن المكان يحمي لاكامورا الشتات وهو المأوى والملجأ الذي يؤويه ويعود إليه رغم ضيقه وصغر حجمه، كنا يوحي أنه يوفر له الحماية من الخارج، الأمر الذي جعله يعرض على صديق طفولته الإقامة معه من أجل حمايته من الخطر ، كما يعكس المقطع السردي دلالات نفسية واجتماعية للسارد منها الحالة المعنوية والمادية من خلال استئجار مكان صغير للإقامة .

الشقة مكان اللقاء والاجتماع بعد الغياب الطويل، وكان له الأثر الكبير على حياة الصديقين وبالأخص لاكامورا الذي كان يعيش وحيدا ويتيما، ويعيش حالة من الضياع والشتات ليجتمع الشمل من جديد وتلتحم الذات بوجود الصديق الذي ترك فراغا كبيرا في لاكامورا.

الشقة الصغيرة كانت محل اللقاء بين الصديقين اللذين جمعتهما الذكريات والقرية، لتجمعهما مرة أخرى الشقة الصغيرة لتبادل الحديث واسترجاع الماضي والذكريات الجميلة." كنت أزوره. أو يأتيني إلى شقتي الصغيرة في أوقات أنتظره فيها. النذير الذي بقدر ما كنت أحبه بقدر ما كنت أخافه.. كانت بيننا صداقة مبنية على رخام الذاكرة والكلام، وتلك القناعات التي لم تكن بالضرورة هي نفسها التي يؤمن بها كلانا معا.. كان بيننا جلسات على حافة مقعد وقرية نائية."[2] نستشف من المقطع السردي أن الشقة رغم ضيقها وانغلاقها إلا أنها شكلت فضاء مفتوحا على الذاكرة باسترجاع ذكريات الصديقين، وهروبا من واقع أليم وكذا من خطر الخارج وقسوته، فالشقة كانت مكانا وملجأ للإحساس بالألفة وبالراحة مع صديق الطفولة واسترجاع الذكريات الماضية.

"ذات يوم، جاءني النذير ليلا، دخل ليلا، دخل مستعينا بنسخة من المفتاح الذي أهديته له ليأتي وقتما يشاء. كنت نائما حين أيقظني. فتحت عيني مرعوبا لأجده يبتسم تلك الابتسامة التي لا تخلو من طفولة ومن مكر.. قال لي بصوت مليء بالفرح الطفولي أنه وجد من يدعم حلمه القديم. وجد من يساعده على تأسيس جريدة مستقلة جديدة. وأن الحلم سيصبح حقيقة ! كنت شبه نائم وشبه مستيقظ."[3] نستشف من المقطع السردي الثقة المتبادلة ومجيء النذير ليلا دلالة واضحة على سعادته الكبيرة التي أراد

[1]- المصدر السابق، ص 64.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 64-65.

[3]- المصدر نفسه، ص 66.

أن يقسمها مع لاكامورا ومن شدة فرحه لم ينتظر حتى الصباح لإخباره كما نستشف حالة الخوف والذعر التي انتابت لاكامورا بمجيئه ليلا ليفصح له بعد ذلك عن تحقيق حلمه بتأسيس جريدة مستقلة جديدة. كما تظهر جماليات الشقة التي تكمن في لم شمل الصديقين والعلاقة الصادقة والصداقة المتينة التي تربط بينهما من خلال النسخة من المفتاح الذي أهداه لاكامورا للنذير للمجيء وقتما شاء إلى الشقة مما يدل على الأمان والألفة والشعور بالراحة فيها والطمأنينة.

8- شقة المهدي :

مثلت شقة المهدي فضاءللاباحة والمتعة المحرمة، كما أنها رمز للكبت الذي يعيشه المجتمع و رمز لانحلال سلم القيم الأخلاقية وقد مثلت الشقة الخاصة بالمهدي حالة الطيش والتهور واستغلال النفوذ." كانت له سيارته الخاصة وشقته الخاصة التي لم يكن الجيران يجرؤون على الشكوى ضد الصخب والعيش الرغيد الذي كان يمارسه فيها مع نساء كن يأتين إليه راغبات في سلطة وهمية ومقابل يسميه الجزائريون التشيبة كعلاقة وصل بين سلطة نظرية وسلطة عملية لايمكن الوصول إليهما بالطرق الشريفة."[1] يتضح من المقطع أن الشقة كانت فضاء لتلبية الرغبات والمصالح بعيدا عن أعين الناس. شكلت الشقة فضاء لممارسة الرغبات الكبوتة وهي رمز للكبت والانحلال لسلم القيم الأخلاقية في المجتمع ، كما تمثل حالة الطيش والتهور الذي يعيشه الشباب في مجتمع غابت فيه القيم وسادت فيه الرذائل والمحرّمات. " لهذا كله ذهبت إلى شقته تلك الليلة. كنت أتوقع رؤية ما رأيته. تلك النسوة الائي كن أحيانا أكبرمنه سنا، والكؤوس التي كانت تدور، والصخب الرهيب.. كنت جالسا أتأمل مشهدا توقعته بحذافيره، وبالتالي وجدت نفسي أتناول كأسي وأرتشف منه بصمت لا يخلو من حزن. لم يكن من السهل وقتها أن أبرر حزني. كنت حزينا فقط، حتى وأنا أتظاهر بالرجولة لأتذوق نساء كن يرمين أنفسهن علي، كنت أشعر أنني أتورط في شيء أرفض التورط فيه، شيء لا علاقة له بالجنس ولا بالكؤوس الحمراء تلك.. بل له علاقة بالذين تقتسم معهم نخب شيء تعي أنه سوف يسيء إليك طويلا. لهذا السبب رفضت البقاء. ضحك المهدي كثيرا واتهمني بالجبن. ولم أكترث. خرجت من الشقة فاتحا أزرار قميصي للهواء.."[2] دلالة على أن الشقة فضاء لجمع شمل الأصدقاء وفضاء للمتعة واللذة المحرمة ولقضاء المآرب فهي الملجأ والملاذ للهروب من الواقع البئيس والتحرّر من الضوابط الاجتماعية والترويح عن النفس، فقد شكلت الشقة للمهدي فضاء للألفة والحميمية على عكس لاكامورا الذي أحس بالضيق و بالنفور للمكان لتعارضه مع قيمه ومبادئه .

" كان النبيل صديقه وعشيقه أيضا ! أعترف أنني لم أستغرب يوم سمعت وبشكل سري أن المهدي يعاني من شذوذ جنسي. لم يكن يميل إلى النساء قط، كان يجلبهن إلى شقته كديكور لينزع عنه التهمة اللاصقة به، فكان يوزع تلك النسوة على حراسه وضيوفه ويبقى هو منتظرا أن يأتي النبيل، وحين ينام الجميع، وحين تكون الخمر قد أتت على عقولهم، يدخل معه إلى غرفة النوم.."[3] من خلال الوصف للجوّ

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 52.

[2] - المصدر نفسه، ص 53.

[3] - المصدر نفسه، ص 55

وحالة المجون التي تعيشها الشخصيات داخل الشقة يتضح أنها ملاذ وملجأ لممارسة الرذيلة وهذا ما يظهر من خلال التصريح عن العلاقة التي كانت تربط المهدي بالنبيل واستغلاله له.

شقة المهدي رمز للطابوهات الموجودة في المجتمع والمسكوت عنها، ومن خلالها تمّ كشف حقيقة الشخصيات وطبيعة سلوكها. " قيل أنه قبل بوظيفة معاشرة المهدي (جنسيا) لأجل ما يمنحه له هذا الأخير من مال ومن سلطة ووجاهة معا. بمعنى أنه كان يشتغل عنده شغلا خاصا جدا ! بدت لي الحكاية مثيرة للسخرية. لم يكن صعباً تصديقها برغم أنها ظلت ممنوعة وسرية لا يحق الجهر بها."[1]يتضح من خلال المقطع أن شقة المهدي رمز للطابوهات المسكوت عنها في المجتمع الجزائري ودلالة على انحلال الوازع الأخلاقي والإنحراف، واللجوء إليها عبارة عن هروب من واقع مكبوت والتحرّر من القيد والسيطرة وطلبا للراحة التي يفتقدها في الخارج .

[1] - المصدر السابق، ص 55.

9- **المتجر:**

من الأمكنة المغلقة التي وردت في ومضات سردية في الرواية دلالة على الوضع الاجتماعي، والتدهور المادي الذي أصاب المعلم بعد توقيفه عن العمل، ولجوءه إلى العمل بأحد المتاجر بعد إنتقاله إلى العاصمة، فالمتجر يمثل مكان عمل المعلم، ومن خلاله تبرز الحالة الاجتماعية المزرية، والوضع المادي المتدهور. فالحاجة والعوز جعلت المعلم يتنازل ويقبل بالعمل بالمتجر فيه لاعالة أسرته، لكن سرعان ما تخلى عنه صاحب المتجر بسبب الظروف المادية له، ليحتضن ملاذا آخر تمثل في الميناء، في الرواية لم يورد السارد أي وصف ماعدى ذكر أنه كان مكان للعمل ،وفيه تلميح للوضعية المادية المزرية التي وصل إليها المعلم بعد توقيفه وانتقاله إلى العاصمة. " ذلك الرجل الذي كان مليئا بالواجب. لكم تخيلت شكله وهو يكتشف لا جدوى الواجب أمام أسرة يتوجب عليه إطعام أفواه أفرادها. تخيلت شكله وهو يبحث عن عمل، أي عمل مهما كان بائسا. تخيلته وهو يكتفي بالعمل بائعا في متجر. ذلك الرجل الذي كان يطلب مني أن أكون متميزا انتهى به الأمر إلى بائع في متجر سرعان ما تخلى عنه صاحب المتجر لقلة الحيلة.."[1] فالمقطع السردي يوضح الحالة الاجتماعية البائسة والوضع المادي المزري كما يوحي بدلالات عميقة ويكشف عن سوء الأوضاع الاقتصادية والمالية وذلك من خلال تخلي صاحب المتجر عن العامل المعلم .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 62.

10- مصنع الخياطة:

مكان عمل والدة أم النذير، ذكره السارد دلالة على الوضعية المادية المزرية والحياة الاجتماعية بعد وفاة المعلم، فالحاجة وفقدان رب الأسرة فرض على الوالدة الخروج من البيت لإعالة أبنائها وتعليمهم، كما أنه يحمل في طياته دلالة الكفاح وصبر الأم التي لم تلتئم جراحها وأحزانها لتخرج للعمل بعد وفاة رب العائلة وحامي الأسرة. "مات تاركا عائلة مصدومة بذلك الرحيل المفاجئ. كان النذير في الثانوية العامة حين توفي والده وحين قررت أمه أن تحاول سد الثغرة بالعمل في مصنع خياطة قريب من البيت. كانت تخرج من البيت صباحا وترجع في المساء متعبة ومجروحة. تلك التي كانت تعتقد أن واجب البقاء يحتم عليها الدفاع عن كرامة مجروحة مسبقا. لم يكن ثمة حل آخر، لأن الوالدة رفضت أن يترك ابنها مدرسته ليعمل قبل الأوان."[1] نستشف من المقطع السردي أن الحاجة والعوز الذي أصاب العائلة بعد فقدان رب الأسرة جعل الأم تخرج للعمل بمصنع الخياطة لاعالة ابنائها.

مصنع الخياطة رمز ودلالة للطبقة الاجتماعية الفقيرة، ورمز للعائلة المكافحة وصبر الأم على جور الزمان وقساوة الحياة بعد فقدان رب البيت، وتحمل المسؤولية الثقيلة في إعالة الأبناء بتربيتهم وتعليمهم.

هذه الأمكنة تحمل في طياتها دلالة المعاناة والقهر، والأوضاع الاجتماعية الصعبة التي مرت بها العائلة وكفاحها في الحياة، كما أنها رمز للعائلة البسيطة التي عانت الظلم والقهر والحرمان وسوء الأوضاع المادية والاجتماعية، وهي نموذج للعائلة الجزائرية البسيطة والمعوزة التي تتمسك بمبادئها وقيمها الأخلاقية رغم الفقر والظروف الصعبة.

[1]- المصدر السابق، ص 62- ص63.

11- **الجامعة :**

الجامعة وجهة لاكامورا بعد نجاحه وسبب إنتقاله إلى العاصمة، فقد كانت الفضاء الذي أخرج لاكامورا من القرية وتحقيق حلمه والدخول إلى الجامعة،" لست أدري.. ربما لأني اكتشفت أيضا أنني أخطأت في اختيار الكلية التي ألتحق بها. كنت مستغربا قبالة نفسي وأنا أكتشف أن الكليات التي أمامي لا تصلح وأنني غير منجذب لأي منها. ماذا يمكن أن تصنع منك كلية جزائرية اليوم؟ لا شيء سوى شهادة لن تتعب تماما في الحصول عليها لأنك لن تجد ما تفعله بها أساسا كما يقول الناس هنا"[1] المقطع السردي يبرز المستوى العلمي والفكري والثقافي، وواقع الجامعة والتعليم العالي على أرض الواقع في الجزائر من خلال وصف نظرة الناس في العاصمة للجامعة والكليات التي تصنع الشهادات دون فائدة ترجى منها، فالمقطع السردي يوحي بواقع الجامعة الجزائرية وأزمة البطالة التي يعاني منها الطالب الجامعي بعد تخرجه وصعوبة حصوله على عمل ." كنت وقتها أسجل في سنتي الجامعية الأولى بكلية العلوم السياسية دونما حماس لشيء. أتذكر حين سألني جدّي ذات مرة ماذا سأكون عليه حين أكبر؟ وجدتني لا أعرف ماذا سأكون عليه، وإن بدا صمتي يومها مثيرا للغباء، إلا أنني لم أكن أدري حقا ماذا سأكون عليه حين أكبر. لم أحلم بأن أكون طبيبا ولا مهندسا ولا زبالا. كنت أريد أن أدرس فقط. كنت أجد في الدراسة السبب الوحيد الذي كان يجعلني غير عاطل في نظر الآخرين.."[2] المقطع السردي يوحي بدلالات عميقة توحي بوعي شخصية لاكامورا وحالة الشتات والضياع والحيرة في تحديد هدفه في الحياة ومن جهة أخرى وعيه اللاإرادي وإحساسه الكبير بأهمية دراسته الجامعية التي تجعله بعيدا عن العطالة والفراغ كأنه يعلم بحدسه وعن يقين أن الدراسة سلاحه الوحيد في هذه الحياة البائسة .

الجامعة شكلتللاكامورا فضاء للدراسة، وتعويض حرمانه ووحدته بالتفوق وتحقيق ذاته ، " أفكر في تلك الأعوام.. أفكر أكثر أنني لم أحقق في دراستي الجامعية شيئا يمكن التباهي به أمام أحد.. كنت معنيا بالتفوق لا أكثر ولا أقل. بأن أكون أفضل طالب يربت الأستاذ على كتفه قائلا له: أحسنت. كمن يعزّيه على ما سيأتي، حتى والأمر يثير حسد بقية الطلبة الذين لم يكونوا يستوعبون حرصي على الدراسة والحضور في مواعيدي المضبوطة بينما هم يعتبرون الجامعة واجهة فقط، يمكن التغطية عبرها على أشياء كثيرة، بما فيه على الفشل."[3] نستشف من المقطع السردي حرص لاكامورا على الإجتهاد في الدراسة والتفوق كما

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 47.

[2]- المصدر نفسه، ص 47- ص 48.

[3]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 48.

يتضح أنه كان طالب مجد ونجيب وواع بأهمية الدراسة من خلال حرصه وانضباطه على حضور المحاضرات وتفوقه الذي نال إعجاب أساتذته به وحسد زملائه له .

كما تعكس الجامعة واقع آخر بكل تناقضاته، الجامعة بمعناها المعرفي ، وبتقصيرها في أداء وظيفتها وعجزها عن كونها جامعة معرفية وخضوعهاالأصحاب النفوذ والسلطة والوساطة. " كان بعض الطلبة يتباهون بالفشل أحيانا ليبقوا طلبة جامعيين إلى الأبد، لئلا يغادورا ذلك المكان الذي يصلونه في سياراتهم الخاصة. كان بعض الطلبة يعتبرون أنفسهم استثنائيين بموجب تلك السيارات الخاصة التي يركبونها وبموجب مواقعهم الاجتماعية كأبناء الأسياد ! كنت أشعر أن عالم الجامعة يعكس لوحده واقع البلاد بكل بلادته.."[1] يتضح من المقطع السردي تدهور التعليم العالي بالجامعة وواقع الطلبة من خلال الحياة الجامعية وتدهور الجانب المعرفي المتدني واختلال الوعي الثقافي . "ذلك كان عالم الجامعة وعالم أولئك الذين يدخلون إليها بحثا عن شيء ما.. عن شهادة لن يحتاجونها في الحقيقة لأن الوساطة أهم من الشهادة. من ذا الذي يشتغل بشهادته حقا؟ لا أحد، لأن الجميع يعمل بموجب الوساطة. "[2] يتضح من المقطع السردي أحوال الجامعة وتدني الجانب المعرفي والفكري والثقافي، والواقع المزري الذي آلت عليه الجامعة وتفشي الوساطة ، كما تكشف عن وعي السارد بأهمية الدراسة شكل من الجامعة المفتاح لتحقيق طموحه من خلال اجتهاده والعمل بجدّ والتفوق والحصول على وظيفة في مجال الصحافة.

[1]- المصدر نفسه، ص 48.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 49.

12- جريدة الجامعة :

مثلت فضاء للاتصال والتواصل والإنفتاح على العالم الخارجي، كان لها الفضل في فتح المجال أمام لاكامورا في إكتشاف هدفه بعد رحلته في البحث عن ذاته وهدفه في الحياة ، العمل بجريدة الجامعة كانت الخطوة الأولى في دخوله المشوار الصحفي ومن خلالها دخل تجربة جديدة كشفت له ما كان يبحث عنه ويرتبط به مصيره الأبدي.

الجريدة كانت إنفتاحا على الواقع الذي يعيشه الطالب والأستاذ داخل الحرم الجامعي، برزت من خلال التحاق لاكامورا بها بتفوقه الجامعي الذي جلب انتباه أساتذته و إقتراح ضمه إلى الجريدة والإشراف عليها.

العمل بجريدة الجامعة في بداية الأمر إعتبرهالاكامورا مجرد لعبة مثيرة يفضح بها أصحاب السيادة الذين يستغلون مكانتهم الاجتماعية، ليجد بعدها نفسه أنّه وبإختيار خاطئ للكلية أنه للمرة الأولى يختار الطريق الصحيح ووجهته التي طالما كان يبحث عنها وأن الصحافة هي المجال الوحيد الذي دخله عن قناعة تامة للكتابة والتعبير عن الحرية والحق الذي طالما كان محبوسا لا صوت له .

" تفوقي جعل الأساتذة يقترحون ضمي إلىجريدة الجامعة. لم تكن في الحقيقة سوى صحيفة بائسة تصدرها الجامعة متباهية بالحق في التعبير، بيد أنه لم يكن ثمة أي حق في شيء، سوى الكتابة عن انجازات أولئك الذين يطلق عليهم الأساتذة لقب أصحاب السعادة ليعني أولئك الذين يدفعون له راتبه؟؟ كنت في سنتي الثالثة وقتها حين وجدتني أشرف على تلك الصحيفة التي لم يكن أحد مهتم بما تنشره أصلا "[1] نجد في المقطع السردي دلالة واضحة على واقع الجامعة من خلال صحيفتها التي توحي بأنها لخدمة مصالح أصحاب الثروة والسلطة وغياب كلمة الحق، كما يكشف عن الحياة الواقعية للطلبة وكذا الوضع الاجتماعي والمادي للأستاذ الجامعي .

صحيفة الجامعة فتحت المجال للكامورا بمعرفة حقيقة الواقع الجامعي، واصراره بالتفوق جعل منه شخصا واعيا ومدركا لما يجري حوله، وجعله ناقما على غياب المصداقية وبحثه عن التحرّر والانطلاق بقول كلمة الحق من خلال جريدة الجامعة . " وجدتني فجأة أجدها لعبة مثيرة. لعبة التعامل مع الصحافة من باب "التمنشير" كما يقول الجزائري الشعبي، وأنا أحيانا أكتب أشياء على جدار الجامعة ليجده الطلبة في الصباح مكتوبا باللون الأسود أو الأحمر. كأن أقول طز في أصحاب السعادة الذين يراقبون يتمنا بالتشفي التاريخي ذاته !"[2] نجد في المقطع السردي دلالة على واقع الطلبة ومعاناتهم في الجامعة الجزائرية.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 50.

[2] - المصدر نفسه، ص 50.

وأن صحيفة الجامعة كانت متنفسا للتعبير عن طبيعة العلاقات القائمة فيها والتحرّر من الواقع المزري المتدهور للطلبة .

جريدة الجامعة مثلت الخطوة الأولى في عالم الصحافة التي من خلالها اكتشف لاكامورا نفسه وهدفه في الحياة، ومنها تخرّج وتوظف في الجريدة اليومية . " ألم تكن تلك التجربة العادية سببا في اكتشافي أنني بحثت عن التفوق لأجل أن أقول كلمتي التي أبدو بحاجة أزلية إلى قولها. لم تكن الصحافة إلا الجدار الذي وجدت نفسي أكتب عليه ليس عن واجب وليس عن حاجة، بل عن قناعة أنني لأول مرة في حياتي أختار شيئا لا أدخله خطأ"[1] نستشف أن جريدة الجامعة فتحت الباب أمام لاكامورا لمعرفة هدفه في الحياة وسعيه لتحقيق طموحه كي يكون صحفيا وكتابة كلمته، كما نلمح تأثير صحيفة الجامعة في السارد لاكامورا، الذي جعل من المكان بداية إنطلاقته للتعبير عن قناعاته وإنتقاده للأوضاع السائدة في المجتمع، فمن خلالها تجاوز ذلك الفضاء الضيق والمغلق جريدة الجامعة لينفتح على العالم الخارجي، وفتح آفاقه بالكتابة في عالم الصحافة.

[1]- المصدر السابق، ص.50.

13- الجريدة اليومية (الجريدة الحكومية) :

تعتبر من الأمكنة المغلقة التي تمثل منبر الاعلام والصحافة الوطنية التي تنفتح على العالم الخارجي وهي جريدة تخضع لسلطة الدولة، الجريدة الحكومية لها حضور مكثف وبارز في الرواية، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالسارد (لاكامورا) الصحفي، من خلالها انفتح على العالم الخارجي، و شعوره بالاحباط والتذمّر نتيجة الواقع المرّ والمأساوي ومعاناته النفسية بالعمل في الجريدة الحكومية التي كانت تخضع لسلطة الدولة ورقابتها ."حين تخرجت من الجامعة وجدتني أتوظف في جريدة يومية كصحفي بائس ! "[1]

يتضح أن الجريدة اليومية أو الحكومية هي مكان العمل الذي انتقل إليه لاكامورا بعد تخرجه من الجامعة، وتأثير صحيفة الجامعة عليه، لاكامورا الذي من البداية تلاحقه مشاعر الإحباط نتيجة الواقع الراهن الذي يعيشه والذي يوحي أن البلاد تعيش مأساة، إلى جانب حالة الهلع والخوف لما أصابها على يد الإرهاب من اغتيالات ومجازر ، وهذا يفصح عنه السرد ومن خلال الحوار مع زميله الصحفي المهدي بالجريدة اليومية .

العمل بالجريدة اليومية كان محل لقاء لاكامورا مع زميله بالجامعة المهدي الذي صار صحفيا هو الآخر وتبادلا أطراف الحديث عن البلاد وما تعيشه من كارثة على يد الإرهاب والاغتيالات اليومية و حديثهما عن واقع الوطن و الصحافة في البلاد."- وأنت واش راك؟ ? comment ça va

- ما تشكرش، الحالة صارت ميرد! Merd، ربي يستر يا خويا لعزيز !" [2]دلالة على الوضع المزري والتذمر من الحالة التي وصلت إليها البلاد نتيجة الفساد والعنف، وهذا ما يتضح من خلال الحوار بين السارد والمهدي بالجريدة . "صمت لحظة ثم عاد يقول كمن يعترف بسر لصديق:

- هل سمعت بالقنبلة التي انفجرت في مقهى " la rose" في العاصمة؟

وقبل أن يصله ردي أضاف:

_ إنها كارثة. ما يجري كارثة حقيقية، فليس أشد وطأة على المرء من خسارة وطن! نشعر أننا يتامى حقيقيين !

_ إيه يا خويا، اللي داروها راهم مخبيين رأسهم. أورلادهمراهم في فرنسا ولانجليز. إحنا اللي نخلص وإحنا اللي نموت في بلاصتهم !!

_ كأن الوطن صار كذبة يا صاحبي. اللي باعوا الوطن هم الذين يتكلمون عنه بحماس.. الذين بقوا من الشعب يموتون كلما تصادموا مع ماهية الوطن، حين لا نجد شيئا نقوله نصمت وحين نجد شيئا

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 50.

[2]- المصدر نفسه، ص 51.

نقوله نموت. هذا هو الواقع ياخويا."[1] نستشف من خلال المقطع السردي العديد من الدلالات العميقة التي توحي بالواقع المأساوي والدموي الذي تعيشه البلاد، فمن خلال الحوار باللغة العامية بين الصحفيين اللذين يمثلان الطبقة المثقفة والواعية تعبر عن القهر والحسرة بلسان الصحافة الذي أصبح مطوقا وعاجزا أمام الرصاص، فمن خلال حوارهما ورغم اختلافهما في التفكير، إلا أنهما يتفقان على نقطة واحدة وهي الكارثة والأزمة التي يعيشها الوطن، والدمار والخراب الذي خلقه الإرهاب وحالة الفوضى والهلع التي حلت بالبلاد، كما أن الحوار يبدي التذمر والاستياء الشديد من واقع لا تجدي معه الكتابة في زمن يتحدث بالقنابل والرصاص، وأن الصحافة تعيش صمتا رهيبا وموت الكلمة قبل ميلادها، والكتابة أصبحت حبيسة الصدر لا تملك حرية الخروج والتعبير عما يجري فمآلها الموت لا محالة . كما يتضح من خلال المقطع إشارة واضحة إلى واقع الصحافة والصحفي في الجزائر، وغياب الحرية التي أصبحت مقيدة وعاجزة عن قول كلمة الحق، عاجزة عن أداء واجبها ورسالتها النبيلة، كما نستشف الصراع الإيديولوجي نتيجة اختلاف الرأي وتصادم الأفكار داخل المجتمع وضياع الوطن بموت شعبه وقهره.

الجريدة أفصحت عن واقع الكتابة في الصحافة، أمر في غاية الخطورة، وعجز القلم عن مواجهة القتل والموت الفجائي على يد الجماعة المسلحة، وتصادم الأفكار والصراع الإيديولوجي وانقسام المجتمع الواحد وشتات الوطن وتفكك وحدته ." – واش تدير يا خويا، البلاد ما صارتش بلاد، صارت " بيدون زبل" une poubelleحاشاك ! !

قالها وأضاف بسرعة كأنه يخشى ردا لا يعجبه:

_ البركة في أولئك الذين حققوا أحلامهم باسمنا. أولئك الذين لأجل حياتهم يحتاجون إلى قتلنا واحدا واحدا.. لا مناص من الموت.. لأن القتلة صاروا أكثر من الشرفاء، ولأن الشرفاء يموتون كل يوم، أو يرحلون كي لا يتورطوا معنا في نفس الوطن/ الفضيحة! "[2] إنه واقع الصحفي والمثقف في الجزائر، وكل من يصطدم مع الآخر الذي مآله القتل في وطن تغيب فيه حرية التعبير عن الرأي، كما يفصح المقطع السردي عن الهجرة والرحيل إلى بلد آخر بعد غياب الأمن، وتدهور الأوضاع وزعزعة إستقرار البلاد بوجود الإرهاب." مع ذلك اشتغلت في الصحافة. عن إصرار على العمل في مجال وجدت أنني أبحث عنه طويلا. كنت في الكثير من الأحيان أصاب بالإحباط قبالة واقع لم يكن يجلب سوى العار. لم يكن ثمة من يقرأ فعلا، لأن لاشيء كان يكتب أصلا. لكني كنت صحفيا في مدينة تبيع الصحف للناس كي يمسحوا بأوراقها

[1]- المصدر السابق، ص 51-52.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 54.

زجاج السيارات أو زجاج الشبابيك المغلقة ! فما جدوى الصحافة؟ "[1] رغم تدهور الأوضاع الاجتماعية للبلاد وعدم الإستقرار وغياب الأمن إلا أن الصحافة كانت تجري في عروق لاكامورا الذي طالما كان ناقما على الأوضاع السائدة في البلاد فالمقطع السردي يوحي بتأثير المكان على الحالة النفسية وشعوره بالإحباط فالعمل بالجريدة الحكومية جعله يخضع لقيود السلطة وللرسميات التي تفرضها عليه الجريدة الحكومية، فواقع الصحافة في الجزائر كان مقيدا زمن الأحادية وغياب الرأي العام في بلد أصبحت فيها القراءة منعدمة ولا مجال للصحافة التي أصبحت صحفها كلام لا طائل منه ولا تعكس الواقع الحقيقي للبلاد خوفا اتهام ملفق أو من رصاصة غادرة تأتيه فجأة دون سابق إنذار وغياب الحقيقة في واقع يعيش رعب لا ينتهي إلا بالموت.

كما تفضح صفحات الرواية عن جانب آخر من خلال مكتب الصحافة بالجريدة الحكومية عن تقييد الصحافة وحرية الرأي العام، التي تظهر من خلال حياة الصحفي الذي أصبح مهددا بطريقة مباشرة، وأنه لم يعد للصحافة مجال للتعبير وحرية الرأي، وأنّه أصبح مطوقا ومحاصرا من قبل السلطة والإرهاب في آن واحد في حال فضح الواقع . فإما تلفق له تهمة ويسجن في حال متابعته للمسؤولين والأسياد، واتهامه بالقذف والتشنيع، ومن الجهة الأخرى مهدّد بالقتل على يد الإرهاب، وبالتالي أصبحت الكتابة مطوقة بعيدة عن ما يعيشه المجتمع الجزائري، وهروبا من واقع لا يحمد عقباه سجن أو رصاصة غادرة .

" كنت أعرف ألا جدوى للصحافة سوى الكتابة.. كتابة مانظنه ضرورة، ويظنه الآخرون وقاحة. ربما لأن الكتابة في تلك الظروف كانت وقاحة فعلا في نظر السادة والرجال المحترمين لأنها تحولت لأول مرة إلى إدانة مباشرة، كأن يوجه الصحفي سؤالا عفويا إلى أي مسؤول قائلا له: من أين لك هذا؟ ليتحول السؤال إلى تهمة وتتحول التهمة إلى حق يستغله المسؤول لاعتقال الصحفي بتهمة القذف والتشنيع !"[2] نجد في المقطع السردي دلالات عدة منها الاستياء والإحباط واللاأمل والألم من عدم جدوى الصحافة في واقع مرير يرفض الحقيقة وكلمة الحق التي تقتل قبل أن تخرج إلى النور .

العمل بالجريدة اليومية جعل لاكامورا غير راضي عن موقعه فيها وشعوره بالإستياء، خاصة وأن ما يكتبه لا يتم نشره من طرف مديره بالجريدة، الأمر الذي جعله يحس بالإحباط الشديد واليأس والتفكير في الإستقالة بعد عامين قضاهما في العمل بها دون جدوى، خاصة بعد موقف المدير منه وعدم نشر كتاباته الأمر الذي جعله باعثا ودافعا للخروج منها وبحثه عن النذير صديق الطفولة (ابن المعلم)

[1]- المصدر السابق، ص 56.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 57.

والانتقال إلى العمل بالجريدة المستقلة بعد العثور عليه والعمل معه . " ربما لهذا السبب وجدتني أزداد قناعة أن الكتابة جزء من حلم حميم لا يمكن بلوغه إلا بالموت! بعد عامين قضيتهما في الصحافة المكتوبة كصحفي بائس، وجدتني أكتشف لا جدوى من الصحافة فعلا.. كنت أكتب قليلا. كان رئيس التحرير يلغي ما أكتبه، ويذكرني أنني صحفي ولست " شرطيا اجتماعيا" وأن دور الصحفي هو كتابة ما يمكن إيصاله إلى الناس من دون أن يصدمهم ! من دون أن يكسرهم ! "[1] في المقطع السردي دلالة واضحة على أن الجريدة اليومية تبعث في الصحفي لاكامورا شعورا باليأس وعدم الارتياح بسبب تقييد الجريدة الحكومية لحرية لاكامورا وكتاباته التي كانت تخضع لقيودها وتقيد حريته بالتعبير. " كنت أشعر بالاستياء بيني وبين نفسي، ربما لأني رغبت في التوقف عن العمل الصحفي. كنت بحاجة إلى عدم الكتابة بدل أن يلغي رئيس التحرير مقالاتي بحجة أنها تغذي اليأس في نفوس الناس ! لعلي فكرت في الاستقالة فعلا "[2] دلالة على أن المكان أصبح شديد الإنغلاق والشعور بالإحباط الشديد واليأس لدرجة التفكير في التخلي عن الكتابة الحلم والتفكير في الإستقالة والتوقف عن العمل.

[1]- المصدر السابق، ص 57.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 58.

14- الجريدة المستقلة :

مكان عمل النذير كصحفي، لها سلطة حضور بارز وقوي فقد شكلت رمزا للصحافة الحرة التي تمثل حرية التعبير عن الرأي بكل مصداقية، فالجريدة المستقلة دلالة على أن الرأي أصبح له مكانة وحرية التعبير وتحرر الرّأي،وأصبح يعبر عن السلطة وينتقدها وله رأي خاص به، وقد اهتمت بانتقاد الأوضاع الداخلية للبلاد ونشر الحقيقة في صحيفتها.

الجريدة المستقلة رغم مكانها الضيق والمغلق إلا أنها كانت منبر من منابر إبداء الرأي والاهتمام بنشر الحقيقة والانفتاح على الوطن الواسع وما يحتويه من خلال صحيفتها المستقلة والتعبير بكل حرية عن المعاناة الجماعية والأوضاع الاجتماعية المزرية وتدهور الأحوال المادية والاقتصادية للبلاد .

" الصحف المستقلة التي بدأت تظهر في أواخر الثمانينات.. صحف بدأت تتناول الوطن بأسلوب مغاير عن الصحافة " الواحدة " في طريقة انتقادها للأوضاع الداخلية، لوضع البلاد "[1] دلالة على أن الجريدة تهتم بالواقع الذي تعيشه البلاد من خلال نوعية الكتابة التي تتطرق إلى انتقاد الأوضاع الداخلية ونشر الصورة الحقيقية للبلاد واختلافها عن الصحف الأخرى.

الجريدة المستقلة تمثل بؤرة الإنطلاق والتعبير عن الرأي وبداية التحول والإنتقال من الأحادية إلى التعددية وحرية الرأي والتعبير، الجريدة المستقلة فضاء للاعلام بالنسبة للنذير وهي المكان الذي تم فيه اللقاء والتواصل مع السارد بعد مرور سنوات طويلة فشكل للسارد مكان للقاء صديق الطفولة النذير الذي رحل من القرية وبقيت الذكريات راسخة عند لاكامورا الصحفي الذي حمله حنينه إلى البحث عنه كمن يبحث عن نصفه الضائع منذ زمن طويل لتلتحم الذات باللقاء في الجريدة المستقلة .

" يومها أخذت حنيني وذهبت باتجاه مقر الجريدة المستقلة. لم أفكر في البداية، ولا في اللقاء الأول بعد كل تلك السنوات. لم أسأل نفسي هل سيتذكرني؟ هل سيقول لي: هذا أنت؟ أم أنه سيضمني كما يفعل صديق نحو صديق يفتقده؟ لم أسأل نفسي هل تغير أم لم يزل كما في ذاكرتي صغيرا وهادئا وعميقا؟ أنا نفسي تغيرت. تغيرت كثيرا ولم أعد أحتفظ من الأشياء سوى السلوى أو الضغينة المغلفة بالصمت. لم أعد شيئا سوى ما تبقّى من شخص فقد أحلامه الأولى ويبدو جاهزا ليفقد ما تبقّى منها " نلمس من خلال المقطع السردي الحالة النفسية للاكامورا الصحفي والشعور بالقلق والتوتر والحيرة في اللقاء بعد مرور زمن طويل والشعوره بالخوف في حال لم يذكره وفقدانه الأمل بعد عثوره على صديق الطفولة.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص57-58.

" في خضم كل هذه الحالة/ الخراب ! ذهبت إليه. أوقفني حارس الجريدة ووجدتني أشهر في وجهه بطاقتي المهنية. زم شفتيه بكثير من الضجر وسمح لي بالدخول. دخلت بوابة صغيرة ومشيت على طول الممر الذي بدا لي ضيقا وشبه مظلم. ثم دخلت بوابة أخرى أصغر من الأولى وصعدت سلما ضيقا. استغرق هذا الكثير من الارتباك مني. وجدتني خائفا فجأة. ماذا يمكنني قوله له؟ كيف يمكنني أن أبدأ كلاما نشعر في قرارة أنفسنا أنه لم يعد يعني نفس المعاني القديمة؟ كيف يمكن الالتقاء بوجه نعرفه من قبل؟ وجه فقدناه في زحمة العمر الهارب على الغموض واللاجدوى والتعب الصغير الذي يصير كبيرا مع الوقت، مع حدّة الأسئلة اليومية التي لانجد جوابا لها. كيف نلتقي بصديق؟ "[1]من خلال المقطع السردي يتضح انغلاق الجريدة وتوتر السارد وارتباكه في لقاء وجه لا يعرف كيف أصبحت ملامحه وتأثير المكان على نفسيته وشعوره بالتوتر. "حين دخلت، واجهتني قاعة كبيرة مليئة بالصحفيين الجالسين حول طاولة مستديرة..وجدتني أبحث بعيني عن وجه طفل غادر مع أبيه قبل عدة أعوام؟ كيف يمكن البحث عن طفل في قاعة التحرير؟ شعرت بالخيبة وأنا أكتشف أنني أخطأت وما كان علي القدوم إلى هنا قبل أن أتصل وأتأكد.." [2] نلمس في المقطع السردي من خلال وصف طبوغرافية الجريدة وطريقة الدخول الإحساس بالتوتر والشعور بالارتباك والإحباط والخوف من اللقاء بصديق لا يعرف كيف أصبحت ملامحه بعد الغياب الطويل وشعوره بالخيبة والندم عند دخوله قاعة التحرير المكتظة بالوجوه التي لا يعرفها وإحساسه بالخيبة بذهابه دون إتصال مسبق. فمن خلال المقطع يتضح أن المكان يتسم بالانغلاق الذي جعل السارد يشعر بالتوتر والندم على المجئ إلى الجريدة.

" نظرت إلى سائلي وقلت له بصوت أردته عاديا: هل يمكنك أن تدلني على الأستاذ النذير؟ ودون أن يرد أشار بيده إلى اليسار، حيث ممر صغير مشيته لأجدني في غرفة ضيقة حد الاختناق..غرفة يتوسطها مكتب صغير تتكدس فوقه الأوراق والملفات والكتب المصفوفة بشكل فوضوي. رأيت رجلا مستغرقا في الكلام عبر الهاتف. خفق قلبي فجاة. هل هو النذير؟ "[3] نجد أن المقطع السردي يصف مكتب النذير بالجريدة المستقلة بوصفه فضاء داخليا مغلقا وشديد الضيق الذي يتضح من خلال الوصف أنه أضيق مكان و صغيرة لحد الإختناق مما جعل هذا المكان الداخلي المغلق يؤثر على الفضاء النفسي للسارد، وشعوره بالقلق وحيرته بالوقوف أمام رجل لا يعرفه .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 60.

[2]- المصدر نفسه، ص60.

[3]- المصدر نفسه، ص 60.

ضيق المكان وإنغلاقه جعل الجو مشحون بالمشاعر السلبية من قلق وتوتر وخيبة، والشعور بالغربة في مكان يجهله، لكنه كان الوجهة التي قصدها عن رغبة ملحة وجارفة للقاء صديق الطفولة والحنين لرؤية النذير ،وبهذا فقد شكل المكتب مكان الإلتقاء . " وقفت أنظر إليه، ولعل وقوفي بدا مريبا حين رفع الرجل عينيه نحوي وتوقف عن الكلام فجأة. تأملني بعمق.. لم يقل شيئا، كان ينظر إلي بحذر. ثم بدا لي عصبيا وهو يرمقني بعينين لا تعرفانني.. سألني بصوت لا يخلو من جفاف: من أنت؟ واستغربت. لم أفكر أن يسألني من أنت؟ لعلي شعرت بالخيبة بيني وبين نفسي قبالة ذلك السؤال. من أنا؟. فكرت أن أقول ردا مقنعا، ولكني وجدتني أقول بشيء من الحزن : واش راك النذير؟ كان دوره في الاستغراب.. وجدتني أجلس قبالته دون حتى أن يطلب مني الجلوس وأقول بصوت حيادي لا يخلو من ضجر.

حين عرفت أنك تعمل هنا جئت لأراك، مقتنعا أنك نسيتني تماما. لن ألومك على ذلك، فقد مضت سنوات من القربة إلى الآن. سنوات طويلة ومتعبة !

تكلم في الهاتف مع محدثه منهيا المكالمة التي ظلت عالقة طوال دقيقتين. نظر إلي مستغربا قبل أن يفتح عينيه أكثر وأكثر مبتسما فجأة:

يا إلهي.هذا أنت؟ أجل هذا أنا "[1]، فالمقطع السردي يعبّر عن الدهشة لحظة اللقاء بين الصديقين بالمكتب، أحدهما يجهل الآخر بعد مرور زمن طويل، ليكون اللقاء والاجتماع في مقر عمل النذير بالجريدة المستقلة وشعور الإستغراب والدهشة بادية على وجه كليهما، إلى حين ذكر القرية كلمة السرّ التي من خلالها تعرف عليه .

نجد أن المقطع السردي يومئ بالعديد من الدلالات النفسية منها القلق والريبة وعدم الإرتياح والشعور بالحيرة .

شكلت الجريدة المستقلة فضاء للاتصال واللقاء بين الصديقين رغم القلق والارتباك والتوتر والتقاء الصديق بعد الفراق الطويل وإنتهاء رحلة البحث عنه ،فمن خلال المقطع السردي نستشف الحالة الشعورية التي سبقت اللقاء الفعلي، كما يتضح فيما بعد أن اللقاء كان له تأثير كبير على حياتهما وتغير مساره بعد اجتماع الشمل بعد الفراق الطويل.

" في جلسة واحدة حكيت له عن تفاصيل أردتها مقنعة كي لا تثير الشفقة في عينيه. حتى حين أخبرته أنني أشتغل في الصحافة بدا مستغربا وضحك ضحكة مجلجلة بدت لي مهينة.

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص60-61.

يا إلهي. من كان يظن أن نلتقي وتكون زميل مهنة. غير معقول. أنت تختار الصحافة؟ لماذا؟

وابتلعت ريقي وأنا أحاول الابتسامة فقط. وجدتني كي لا أجيب أسأله عنه وعن أخبارهم جميعا وبدأت أصغي إليه..

في نصف ساعة عرفت منه ما توقعت معرفته."[1]نستشف من المقطع السردي أن غرفة مكتب النذير شكلت فضاء للقاء ومسرحا للبوح وتبادل الحديث والحكاية عن ملخص الحياة الماضية وعذابها وآلامها وشجنها.

" وحكى عن الصحافة التي دخلها عن سابق إصرار وترصّد. دخلها كما يدخل المرء إلى جريمة يريد اقترافها كاملة. كان سعيدا وهو يحكي عن عمله، وعن رئاسته للقسم السياسي في صحيفة رأت النور في عالم الصحف المستقلة بالبلاد. حكى عن حلمه بأن تصبح له جريدته الخاصة. كنت أصغي إليه. لم أقاطعه حتى حين كان يرن الهاتف بين الحين والآخر، فيرد بسرعة واقتضاب، وحين لم يعد البقاء في المكتب ممكنا جرّني من يدي وجذبني معه إلى الخارج."[2] نجد في المقطع السردي دلالة واضحة على أن العمل بالصحافة في الجريدة المستقلة يمثل الانتماء للنذير وحبه لمهنته التي تعبر عن ذاته ووجوده كما نستشف من خلال المقطع سعادته برئاسته للقسم السياسي ورغبته في تأسيس جريدة خاصة به رغم الصعاب والظروف، وشعوره بالضيق في المكتب الذي لا يتسع للفضفضة والإنتقال إلى الخارج للتحرّر من إنغلاق الداخل بالمكتب والخروج للشارع هربا من قيد المكتب وضيقه، وضغطه إلى الخارج للإحساس بالراحة والانطلاق والحرّية.

[1]- المصدر السابق، ص 62.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 63.

15- **الجريدة المستقلة الجديدة "مدى الجزائر"**:

مثلت هذه الجريدة الهوية والانتماء للنذير والسارد ذلك أنّ من يمثلها هو واحد من الشعب المقهور بالحرمان والظلم ومظاهر الإجحاف في حق الصحافة ، فقد شكل هذا المكان الداخل المغلق فضاء للإنفتاح وممارسة الصحافة بشفافية وتحقيق الآمال والطموح من خلال حرية الرأي والتعبير بقول الكلمة المسكوت عنها ونشرها دون خوف والشعور بالتحرر والإنطلاق. "يوم جلست في ذلك المكتب الضيق الخالي من التكييف الذي تفوح منه رائحة الرطوبة، شعرت بحميمية مدهشة نحو المكان، نحو تلك الرطوبة التي تتدلى من تاجدران.. شعرت يومها أنني أريد أن أكتب، وأن الكتابة في النهاية صارت قدري الوحيد. حتى والنذير يسألني في اليوم التالي من انطلاق الجريدة الجديدة عن الوضع العام. اعترفت له بحبي للمكان فضحك. ضحك تلك الضحكة الواضحة والمليئة بالمكر معا. قال وهو ينظر إليّ بتمعّن:

يسعدني ذلك، ولعلمك كان هذا المكتب مستودعا للخردوات ! لا يهمني ماضي المكان، المهم ما سيكون عليه بعد الآن.. كانت نظراته ممزوجة بحب غريب وبإعجاب لا يخلو من ذكاء.."[1]، نجد أن المقطع السردي يصف لنا المكان الذي كان مستودعا للخردوات، وتحوله إلى جريدة خاصة يملكها النذير، وإحساس السارد بالألفة والإنسجام والحب وبالحميمية للمكان، وإحساسهبالإنتماء له وشعوره برغبة في الكتابة الرغبة التي فقدها عندما كان في الجريدة الحكومية .

مدى الجزائر حلم النذير وطموحه الذي عاش من أجل تحقيقه، وقد شكلت الجريدة الهوية ومنبر للإعلام والصحفي المتحرر، فبالنسبة للنذير ولاكامورا لا تعد الجريدة مجرد أوراق يتصفحها الجالس بل هي رسالة نبيلة من واجبها نقل الحقيقة للمظلومين، لأنها تمثل الحرية والإزدهار وكلمة الحق التي توأد وتقتل قبل خروجها إلى النور .

العمل مع النذير كانت بمثابة إلتحام الذات مع نفسها بعد رحلة البحث والشتات واندماج الذات الضائعة والتائهة بالعثور على صديق الطفولة النذير والإنسجام معه في مهنة الصحافة والعمل معه في كشف الحقيقة وتعرية الواقع الجزائري ووضع الوطن بوجود الإرهاب." العمل الذي ندخله هو تجربتنا الجديدة. لا وقت للكتابة عن الوهم.. إنه زمن الفجيعة والحقيقة ! لعلي ابتلعت ريقي. كنت أكره هذا النوع من الاستفزاز المغلف. كأنه كان يذكرني أنني كنت ضمن النخبة التي تفننت في أداء دور العالة على المجتمع."[2] نستشف من المقطع السردي أن العمل بالجريدة بالنسبة للنذير والسارد هو تجربة جديدة تعبر عن انتمائهم ووجودهم وتمسكهم بهويتهم وأن عمل الجريدة هو الكتابة عن الحقيقة والفجيعة التي

[1]- المصدر السابق، ص 67.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 68.

يعيشها الوطن، كما نجد فيه تلميح عن الخطر والخوف نتيجة الوضع الذي يعيشه المجتمع الجزائري من أزمات اجتماعية وسياسية ومشكلات العنف والارهاب .

العمل بجريدة مدى الجزائر شكلت التحرر من السلطة والقيود وحرية الكتابة دون قيد أو شرط، فهي تختلف عن الصحف الأخرى كونها تنتقد الأوضاع داخل الوطن ومشاكل البلاد وتتناول الكتابة عن الإرهاب والمجازر الشنيعة التي كانت ترتكب في حق الضحايا المواطنين بالقرى والمداشر النائية وكذا الإغتيالات اليومية للضباط والشرطة والصحفيين.

" لاأنكر أنني شعرت بالخوف أنا أيضا. أصبحت معروفا في سنة واحدة من العمل في الصحيفة الجديدة، ربما لأنني ارتأيت نشر صورتي أمام عامووديت اليومي، كشكل من أشكال البقاء. "[1]

لقاء لاكامورا بالنذير في الجريدة المستقلة كان له وقع نفسي كبير أدى بالسارد إلى تغير مسار حياته وعمله بالجريدة مع النذير ابن المعلم صديق الطفولة بقرية جنان الحاج عبد الله، فلقاءهما فتح له المجال بالعمل معه في الجريدة المستقلة مدى الجزائر والإهتمام بالكتابة عن واقع البلاد ونقل الصورة الحقيقية للشعب عن واقع الوطن والإرهاب الذي قضى على آمال وطموح الشعب وكسر آفاقه .

" أعترف أن من خلال تجربتي الصحفية منذ التحقت بجريدة "مدى الجزائر" وقعت على صورة وجدتها في ألبوم صور الفجيعة ولم يعرها أحد أي اهتمام.. كنت أتصفح مجموعة الصور التي جمعناها طوال سنوات القتل العمدي والجريمة السياسية وإذ بي أعثر عليها فجأة. صورة امرأة منهارة تصرخ. كانت الصورة قابلة لأن تكون عادية لولا تلك الملامح التي شدتني إليها.. ملامح مثيرة للنظر إليها مليا والحزن قبالتها والبكاء عليها أيضا.." [2] دلالة على أن الجريدة كانت منبرا للاعلام وفضاء للكشف والبحث عن الحقيقة، والصورة دلالة على غياب الاطار الرسمي للخبر نتيجة الإغتيالات مما أدى إلى انتشار الإشاعة وإصرار السارد على كشف الحقيقة.

" كنت لسبب غامض مشدودا لتلك الصورة التي جرّتني إلى فظاعة أكبر من شكلها. كان المصور، لا يزال قبالتي، ينظر إلي صامتا.. أمسكت هاتفي واتصلت بصديق آخر يعمل في جريدة فرانكفونية.. سألته عن الصورة نفسها فقال تقريبا ما قاله كريمو غير أن الصديق أضاف لي تفصيلة بدت مخيفة.. قال إن اسمها مليكة وأنها تسكن في فرنسا وأن مؤسسة إعلامية أجنبية طلبت منها أن تؤدي دور الفجيعة لأجل صورة واحدة !"[3] دلالة على إصرار السارد كشف الحقيقة والإستمرار في نشر الأخبار هو إصرار على عدم

[1]- المصدر السابق، ص 70.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص74.

[3]- المصدر نفسه، ص77.

طمس الحقيقة وتوثيق لها، وهذا مايظهر من خلال التعاون مع المصور الصحفي كريمو الذي يعمل في وكالة الأنباء، فالأحداث فرضت نفسها وتلاحقها يمكنه أن يترك مجال لتسرب الإشاعة في تهويل الأحداث كما يمكنها أن تكون حقيقة، ولكن المغزى العميق منها هو الإصرار على التوثيق ونشر الحقيقة.

جريدة مدى الجزائر هي رمز للصحافة الحرة وصوت الحقيقة التي تمثل حرية الرأي والتعبير التي تسعى لكشف الحقيقة ونشرها .

"كنت مصدوما. هل كان الوطن بحاجة إلى ممثلة تقوم بدور الفجيعة؟ ألم تكف جثث القتلى ووجوه النساء المذبوحات..؟ ألم تكف صور الجريمة اليومية لتغطي مساحات الصحف الدولية كي يستعان بامرأة تقوم بدور" ضحية" بدلا عن الضحايا الحقيقيين؟"[1] نستشف من المقطع حسرة السارد وصدمته من الخبر الملفق من المؤسسات الاعلامية الأجنبية وهي اشارة للاعلام الأجنبي والصحف الدولية، ويبقى الاطار الرسمي الجزائري المتهم بالولاء لفرنسا لذلك فالجريدة الفرونكفونية هي لسان حال السلطة نتيجة لهذا الولاء وهي الممثل الرسمي الموثوق فيه لنقل الأحداث وتوثيقها، أما صورة المرأة التي تمثل بن طلحة ومنها الجزائر فهي رمز للشفقة والرأفة من جهة ورمز لتصوير الأحداث التي وقعت بكل تفاصيلها وهو ماتتميز به المرأة خلافا عن الرجل من جهة أخرى.

جريدة مدى الجزائر جريدة مستقلة كانت تهتم بالكتابة عن حقيقة المجازر التي تحدث في الوطن مما عرض حياة القائمين عليها للخطر من خلال رسائل التهديد التي تصل إلى مقر الجريدة.

"هذه الرسالة الرابعة التي تصلنا هذا الأسبوع.

ونظرت إليه ولم أنظر إلى الرسالة. كنت أعرف ما فيها. أتصور شكل الحروف التي كتبت بها، واللون الأحمر الشبيه بلون الدم، وقطعة القماش الأبيض وقطعة من الصابون أيضا. تلك الرسالة الصامتة التي تحمل كل الخوف الذي يحوي الوطن بأكمله. كنت من قبل أسمع عن تلك الرسائل التي وصلت لصحافيين في جرائد أخرى، ولموظفين كانت تهمتهم جاهزة: أي تهمة الانتماء إلى سلطة الطواغيت."[2] يعكس لنا المقطع واقع الصحافة في الجزائر والضغوطات والتهديدات التي يتعرض لها الصحفيين وانعدام الأمن والخطر الذي يتعرض له جميع من ينتمي أويعمل مع الدولة." لم يكن كريمو يخرج كثيرا منذ صارت مهنة الصحافة سببا مباشرا للموت. منذ وجد الصحافي نفسه ضحية سهلة ومستساغة لقتلة يتدربون على القتل عبر جثته.. كان كل صحفي أشبه بحركي في نظر القاتل.."[3] دلالة على أن العمل بالصحافة كان سببا

[1]- المصدر نفسه، ص 77.

[2]- المصدر السابق، ص86.

[3]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 127.

مباشرا للقتل من طرف الأرهاب لطمس الحقيقة ووأدها قبل أن تخرج إلى النور. "ذاك هو كريمو الذي جائني يومها إلى المكتب.. يومها تركت النذير يذهب لزيارة أمه دون أن أرافقه لأن مجيء كريمو جعلني أبقى حيا في الوقت الذي أصاب الرصاص النذير" دلالة على أن عمل النذير بالصحافة جعل القتلة يتربصونه ويختارونه ضحية لوأد كلمة الحق وطمس الحقيقة التي كان يعمل جاهدا على كشفها واصراره على نشرها وتعريض حياته للخطر والقتل. ومن جهة أخرى كان مجيء كريمو للمكتب سببا في بقاء السارد حيا ومواصلته المشوار الذي بدأه النذير.

شكلت الجريدة فضاء مفتوحا على الخارج وإنتقاد الأوضاع السائدة في الوطن بقراها ومدنها وشوارعها وأحيائها، وكشف المستور وفضح ما يجول فيه من أوضاع مزرية من جميع الجوانب، وكذا كشف مجازر الإرهاب التي جعلت الوطن مقبرة.

16- مبنى دار الصحافة:

هي المقر الجديد لجريدة مدى الجزائر التي واصل فيها النذير عمله الصحفي والسارد وكانت الجريدة منذ بدايتها موجهة للشعب " بعد سنة من الصدور، شعرنا أن أرباح الجريدة أعطت لنا حق الانتقال إلى مقر آخر أكثر "احتراما" ولعل حصولنا على مقر في مبنى دار الصحافة كان بالنسبة للنذير ضرورة تشبه النصر.. بدا لي سعيدا وهو يعلن لي خبر الانتقال إلى المقر الجديد.. قال إن المكاتب الجديدة ستكون أفضل من حيث العطاء.. كان يشعر أنه حقق نصرا كبيرا.. كان سعيدا "[1] نستشف من المقطع فرح وسعادة النذير بتغيير المقر والإنتقال إلى مبنى دار الصحافة الذي اعتبره انتصار كبير وشكل الفرح والغبطة له رغم العمل الشاق والخطر الذي يهدده وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن فلا تدوم فرحته طويلا بالمقر ليطلق عليه الرصاص ويصدم السارد بخبر قتل صديقه وتصادر الحرية وتنتزع من أقرب الناس إليه والذي كان يطمح أن يقوم معه بعدة أمور لكن الأقدار تشاء غير ذلك ." كنت في حالة غريبة من الهدوء وأنا أدخل إلى المكتب ذات يوم. كنت هادئا وأنا أجلس وأتصفح الجريدة اليومية كمن لا همّ له. كمن يتوقع قراءة خبر سعيد في وطن يأكل أبناءه يوميا.. كانت الساعة تقارب العاشرة صباحا حين رن الهاتف أمامي.. وحين رفعت السمّاعة شعرت بالخوف يتسلّل إلى مسامات جلدي ويسكن في النخاع حين جائني الصوت بلا مقدمات: لقد أطلقوا النار على النذير !"[2] نستشف من المقطع السردي أن هناك نوع من الألفة للمقر الجديد والشعور بالهدوء لولا المكالمة الهاتفية التي تلقاها السارد وشعوره بالخوف ليصدم بخبر اطلاق الرصاص على النذير الذي لم تدم فرحته طويلا بالمكان، وهي دلالة على قتل حرية الصحافة ولا مجال لحرية التعبير نتيجة الصراع الإيديولوجي والفكري بين السلطة والإرهاب .

بعد موت النذير شعر السارد بالنفور والعداء ودخوله في حاة من الكآبة والعزلة بعد أن فارقه صديق الطفولة وزميله في العمل ليواصل مشواره الصحفي وحيدا هائما في متاهات الحياة البائسة .

" كم مضى من الوقت وأنا هائم على وجهي؟ شهر منذ توفي النذير. وجدتني أدخل في حالة من الكآبة والعزلة. وجدتني أكتشف فجأة أن الموت هو بداية الحقيقة لكل شيء، بعد أن اقتنعت أن الحياة نهاية لكل شيء.. وجدتني مسؤولا عن جريدة فقدت الرغبة في الاهتمام بما تنشره.. لم أكن أرغب في تقلد أي منصب إداري، حتى وأنا أجدني أتحول من رئيس تحرير إلى مدير تحرير.. حتى وأنا أدخل إلى مكتب النذير مترددا. لم يكن ثمة مكان أجلس فيه سوى ذلك المكتب الذي اعتقد الجميع أنني أستحق الدخول إليه..

[1]- المصدر السابق، ص 100.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 101.

وكنت أدخل إليه مرتبكا حد الخوف.."[1] نستشف من المقطع حالة النفور للمكتب وتأثيره على الحالة النفسية للسارد وشعوره بالحزن والألم وهو يدخل مكتب النذير صديق طفولته ومديره في العمل، ليواصل مشواره في كتابة الافتتاحية التي وضعت حدا لحياته عساها تكون نهاية له هو أيضا بعد فقدانه الأمل في الحياة برحيل الأحبة وزملائه في العمل." وجدتني أفتح باب الجريدة على زملائي وهم ينظرون إلي بصمت. ثم بالسكرتيرة تأتي وتقول بصوت بدا لي مسرحيا:

هل سمعت بالخبر؟ لقد قتلوا المصور كريمو !

ودخلت إلى المكتب بصمت. لم أعلق. بقيت أنظر إليها وهي تتكلم عن الخبر الذي وصل إلى كل الجرائد منذ ساعة."[2]دلالة على أن المكتب أصبح فضاء لإستقبال أخبار قتل الزملاء الصحفيين ونعيهم في صفحة الجريدة، وهذا دلالة على أن فضاء الإعلام والصحافة أصبح مستهدفا بالقضاء عليه وقتل كلمة الحق قبل خروجها وطمس الحقيقة .

وهناك منابر إعلام أخرى وردت في سياق النص كوكالة الأنباء التي يعمل فيها كريمو كمصور وصحفي فيها والجريدة الفرانكفونية للدلالة على أنواع الإعلام والصحف الموجودة في الوطن .

[1]- المصدر السابق، ص 148.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 148- ص149.

17- المدرسة بالقرية في ضواحي المدينة / العنف - الإرهاب:

تعد المدرسة من الدور التعليمية التي كانت ولا تزال قبسا لتلقي العلم والمعرفة واحتضان الطفولة البريئة، ولكن المدرسة في روايتنا ومن خلال إنتقال السارد إلى عين المكان لتغطية إفتتاح المدرسة نجد أنها أصبحت بؤرة للخوف والتوجس من الموت المفاجئ الذي أضحى يتربص بالأطفال رغم تطمينات رئيس البلدية، هذا المشهد الرهيب الذي إستطاعت الكاتبة عبر السارد نقله إلينا من خلال ملفوظات تنضوي تحت حقل دلالي يشي بحالة بائسة عاشها مرتادوها وهو ما يتضح من خلال المقاطع السردية التالية

" أتذكّر يوم ذهبنا إلى إحدى المدارس في منطقة تعرّض سكانها إلى مجزرة لم ينج منها إلا القليل، ولكي تثبت البلدية أن لديها "رجال واقفون" قررت إعادة فتح المدرسة واستدعت إلى هذه التظاهرة العديد من الشخصيات التي لم يأت منها أحد خوفا من الكمائن المنصوبة وسط الطريق من قبل الإرهابيين."[1] فالمدرسة رغم أنها مكان للتربية وتعليم الأطفال إلا أنها لم تسلم من العنف والتهديد والقتل بسفك دماء الأطفال الأبرياء. " الذين جاءوا رأو مثلي مدرسة واقفة بالكاد على عمود منخور، محاطة بالكثير من الكتابات الجدارية التي نسي المنظمون مسحها. كتابات بعضها خربشات سريعة ومرتبكة والبعض الآخر مكتوبة باللون الأحمر تهديدا للسكان بالقتل والإبادة."[2] دلالة على أن المدرسة لم تسلم من العنف وكانت أرضية لنشر رسالة التهديد وبث الرعب في أهالي القرية بالكتابة على جدران المدرسة، فالمدرسة بالنسبة للإرهاب هي رمز من رموز السلطة داخل القرية فكان الأطفال الضحية في تلك المنطقة، وقد استهدفت لأنها رأت فيها الوجه الثاني للسلطة التي يجب القضاء عليها بأعمال العنف والتدمير والكتابة هي رسالة موجهة لها لتهديد سلامتها وزعزعة أمنها.

المدرسة بضواحي المدينة كانت قيلة الإرهاب التي نفدت فيها المجزرة الشنيعة وهو مانقله لنا السارد من خلال وجوده بالمكان لتغطية الخبر " كانت سيارتنا الصحفية متوجهة إلى تلك القرية متبوعة بسيارتي أمن وسيارة أخرى يقودها رئيس البلدية بنفسه. ذهبنا لنغطي افتتاح مدرسة لم نعثر فيها على أمل قابل للحديث عنه، لا شيء سوى رائحة الدم والموت القابع في عيون من بقوا من أطفال جلبهم الديكور إلى هناك لالتقاط صور لهم قبالة الكارثة."[3] من خلال المقطع السردي يتضح أن المدرسة أضحت فضاء لموت الأطفال الأبرياء وفضاء للخوف والرّعب والقلق .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 71.

[2]- المصدر نفسه، ص71.

[3]- المصدر نفسه، ص 71

18- المستشفى:

ورد المستشفى في رواية وطن من زجاج مكانا للإستشفاءوإستقبال ضحايا الارهاب والجثث المقطوعة التي من خلالها تبرز بشاعة العمل الإجرامي والقتل الشنيع، فأصبح مكان غير مستقر مسكون بالقلق والإضطراب والحزن والألم والمعاناة.

" قال لي أحد الضباط الذين أعفوا من الخدمة إثر تعرضهم لانهيار عصبي أنه كان يضطر إلى وضع الرؤوس مصفوفة في شاحنة عسكرية وتوضع الجثث في شاحنة أخرى لتنقل كلها إلى المستشفيات حيث يقوم الأطباء المختصون بخياطة الرؤوس إلى الجثث.."[1] يتضح من خلال المقطع أن المستشفى فضاء للموتى والجثث " كان الطبيب مضطرا إلى إعادة الرؤوس للجثث الكثيرة. لم يكن يعنيه أن يوصل رأسا إلى صاحب الجثة. كان يخطئ في كثير من المرات، فيلصق رأس شخص آخر على جثة مختلفة البنية، فيصير شكل الشخص الميت غريبا..حتى نحن وإن لم نكن نعرف هوية الميت نلاحظ مباشرة غرابة شكله برأس نعي جيدا أنها لم تكن له ! فلا يكترث الطبيب لأن مهمته تنحصر في خياطة رأس إلى جثة ! " دلالة على أن المستشفى يعيش حالة من الاضطراب والقلق نتيجة الجثث المجهولة الهوية التي تتوافد عليها ليتحول عمل الطبيب من تقديم العلاج والفحوصات إلى خياط للجثث.

" اكتشفنا أن الخطأ صار فادحا حين تم إضافة رأس امرأة إلى جثة رجل. رجل لم يعثر أحد على رأسه بينما المرأة لم يعثر أحد على جثتها، فاضطر الطبيب إلى خياطة رأس المرأة إلى جثة الرجل الذي لم يأت أحد للمطالبة بكليهما، فاضطرت إدارة المستشفى إلى دفنهما في مقبرة قريبة من المستشفى واضعين على القبر عبارة: جثة شخصين مختلفين لم يتم التعرف على رأس المرأة ولا على جثة الرجل !"[2] نستشف أن المستشفى فضاء الجثث، وتحول وظيفته من فضاء للإستشفاء إلى فضاء لإستقبال الموتى والجثث، وهذا دلالة على أن المستشفى يحمل دلالات سلبية وأضحى يحمل دلالات الموت والمعاناة والألم و الإضطراب. تبرز المستشفى بدخول النذير في غيبوبة بعد إصابته برصاصة الإرهاب الغادر ونقله إلى المستشفى الذي تعمل فيه أخته الطبيبة فكان الوجهة التي يقصدها السارد للإطمئنان على صديقه النذير وفي نفس الوقت رؤية الطبيبة التي أحبها منذ الطفولة وسكنت فؤاده.

المستشفى جمعت مشاعر الحب والحزن والألم والفرح والوجهة التي كان يقصدها للإطمئنان عليهما معا. " ودونما إضافات سمعت محدّثي يتكلم عن المستشفى الذي نقل إليه النذير. وضعت السماعة وانطلقت مسرعا.. هل ركضت نحو النذير أم نحوك. كان النذير صديقي.. صديقا التقيت به على حافة

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 78.

[2]- المصدر نفسه، ص78- ص79.

الوجع المشترك"[1] دلالة على أن المستشفى تحول من مكان للعلاج والعناية بالمرضى إلى مكان لاستقبال ضحايا الإرهاب و تتوافد عليه الشخصيات للاطمئنان والعزاء النفسي. " لست أدري كم مضى من الوقت وأنا أنتظر. ساعة؟ ساعتي؟ حين خرج الطبيب من غرفة العمليات، بدا كأنه سيعلن بيانا مصيريا.. نظر إلى زميلته الطبيبة بابتسامة تشبه العزاء. ونظر إلى والدتها بنظرة أرادها مشفقة.. وأخذ زميلته على انفراد ليتكلم معها قليلا. قبل أن يلتفت نحونا ويقول بصوت توقعت حياديته. قال إن المصاب في حالة حرجة، والساعات القادمة ستكون حرجة فعلا."[2]يتضح من المقطع تأثير المكان على نفسية السارد والعائلة، حيث نجد أن الشخصيات تعرف حالة من القلق والعجز حيال الوضع المتأزم للنذير والحالة النفسية التي يعيشها أهله وأحبائه بوجودهم في المستشفى ينتظرون خبرا يهدأ روعهم ويطمئنهم عن حالته الصحية.

كما نقل لنا السارد صورة المستشفى التي أصبحت قبلة للزائرين للإطمئنان على حالة النذير الحرجة وحالة المقربين من وضعيته ، " أسبوعا من بعد:

كان النذير مايزال في حالة غيبوبة. استطاع الأطباء أن يخرجوا الرصاصتين من جسده. لم يفق. ظل في غيبوبته كمن يتشبث بالغياب بعد أن كان يتشبث بالحضور. زيارات الزملاء اليومية وبعض المسؤولين الذين أرادو أن يلتقطوا صورهم في المستشفى، لأداء واجب زيارة شهيد جاهز ! كنت أتفادى التواجد وقتها في المكان ذاته، أنسحب بعيدا وأصمت.. أتأمل المشهد المسرحي بصمت وقرف.."[3] يتضح أن المستشفى بالنسبة للنذير فضاء للإستشفاء والعلاج وإنبعاث الحياة رغم الغيبوبة وتمسكه بالحياة وهو وفي حالة حرجة يتلقى الرعاية من قبل الأطباء وبدخوله إلى المستشفى أصبح يعج بالأطباء وبالحركة والناس الذين يترددون عليها للإطمئنان على النذير، أما بالنسبة للسارد فقد شكل المستشفى فضاء لتقليب المواجع والآلام. " كنت أتأملها وهي تمشي على طول الممر متعبة، بلباسها الطبي ونظراتها الحزينة، وصوت خطواتها المليء بالغرور والوقار الممزوج بالانكسار.. أتأملها وهي تصافح أي قادم يأتي ليسأل عن أخيها المصاب. ترد أحيانا على أسئلة لا رد لها.. ثم حين تلتقي نظراتنا، ترمقني بشيء من الدفء الممزوج بالتعالي.. كنت واقفا دائما في آخر الممر.. أنتظر.. تلك طريقتي في الانتظار.. في انتظارك.."[4] نستشف من المقطع السردي أن المستشفى أصبحت الوجهة التي يتردد عليها ويقصدها السارد لرؤية الطبيبة التي تمثل الوطن وحب الطفولة فالمشهد يصف حالة الانتظار والفرحة التي تغمره وهو يتأملها من بعيد فقد كانت

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 101

[2]- المصدر نفسه، ص 107.

[3]- المصدر نفسه، ص 113.

[4]- المصدر نفسه، ص 113.

أمله في الحياة ولأجلها أصبحت المستشفى القبلة التي يتردد عليها، ولأنه المكان الذي تعمل فيه، ولاحساسه بواجب الوقوف إلى جانب صديق الطفولة في محنته.

شكلت المستشفى فضاء للحزن والألم والوجهة التي أصبح يتردد عليها لاكامورااللإطمئنان على صديقه ورؤية الطبيبة، فقد كان المكان الوحيد الذي يستطيع فيه رؤيتها، وشعوره بالحب والألفة رغم الحزن والألم. " اليوم العاشر:

زرته ككل مرة أزوره.. لم يفق من غيبوبته قط. ولم أشعر بتأنيب الضمير وأنا أفكر أنني جئت لأزورك أنت.. كنت أنت الوجهة التي صرت أمشي نحوها، مهما كان المكان. أن ألتقيك في هذا المستشفى المكتظ بالمرضى والحرجى. برائحة المعاناة والرطوبة معا. بصمت المكان الجاهز للبكاء.. لايهم كنت أحب أن ألتقيك. ولعلي اكتشفت ألفة غريبة مع المكان، فصرت آتيك إليه.. أتظاهر بالجلوس في قاعة الانتظار القريبة من الممر الذي تعبرينه يوميا.. أجلس على المقعد الذي يقابل المشهد كله.. وأنتظرك.. ككل مرة أراك. فيخفق قلبي ويلفني الصمت والارتباك كطفل يراقب أمه تقترب منه. كفقير يلمح ضوء العيد حقيقيا حد اللمس.."[1] يتضح أن السارد يجد في المستشفى فضاء للقاء والأنس والألفة بوجود الطبيبة فيه وهذا ما يتضح من خلال المقطع السردي الذي يكشف لنا فيه السارد عن حالته الشعورية وهو في إنتظار الطبيبة في الممر.

" ولكني سرعان ما فكرت أنني هنا لأجلك ولهذا لم يكن علي أن أحضر في يدي مايبرر زياراتي.. كنت أجيء فارغ اليدين لأملأ رئتي بما يأتيني منك. بما يجعلني أقل عرضة للخوف، والوحدة والعزلة.. كنت آتي إلى هنا لأثبت لنفسي أنني معك، وأن أحلامي الصغيرة ليست من فراغ، لأجلس قليلا ج وأرتاح من تعب الأشياء وعبثية الكون المحاصر بالقتلة. معك تكفيني نصف ساعة لأضيف إلى عمري مساحة تكفي لأعيش ألف عام أخرى.."[2] نستشف من المقطع تعلق السارد بالمستشفى لوجود الطبيبة فيه التي تمنحه الأمل والحلم الذي كان يعيش من أجله، لكن لا يلبث أن يتحول هذا المستشفى من فضاء للأنس والألفة إلى فضاء للألم وتقليب الأوجاع والحزن، ويتحول من نعمة إلى نقمة بعد إكتشافهإرتباطها بالضابط.

" كنت جالسا ومنتظرا وإذ بي أراها أخيرا.. خفق قلبي وشعرت أنني سأرتبك ككل مرة أراها فيها مقبلة نحوي.. جاءت وإذ بي أكتشف أنها لم تكن لوحدها.. كانت مع شخص شعلرت بالجفاء نحوه. كان مبتسما وكانت تتكلم معه بابتسامة فاجئتني. تساءلت كيف يمكنها أن تبتسم بتلك الطريقة في هذا الظرف تحديدا؟ حين اقتربت مني توقفت ونظرت نحوي كأنها تذكرت أنني هنا ! توقفت ونظرت نحوي كأنها تذكرت

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج ، ص 118.

[2]- المصدر نفسه، ص 121.

أنني هنا كأنها أستغربت أن أكون هنا !"[1] نستشف من المقطع الردي الحالة الشعورية للسارد وهو في حالة إنتظار الطبيبة أخت النذير ليتفاجأ برويتها مع رجل آخر واحساسه بالعداء والجفاء نحوه فهاهو يسرق منه حلمه الجميل وحب طفولته فيصبح المستشفى في عينيه فضاء للانكسار وتقليب للأوجاع وهذا مايعكسه حواره الداخلي مع نفسه إذ لم يجد إلا ذاته ليشكو لها معاناته وشعوره بالحزن والتعاسة وفقدانه الرغبة بالبقاء في المستشفى. " بعدك لا شيء يساوي أي شيء كان أو يكون.. بعدك .. تبدو لي الأشياء جاهزة للموت، وأبدو قبالتها جاهزا للبكاء.. بعدك لا المدينة ولا الوطن ولا الوظيفة يقدرون على إعادتي إلى طقوسي الأولى التي علّمتني بدعة الحب، وأعادتني إلى قداسة الاعتقاد أن الحياة تستحق العيش، وأن الانكسارات التي مضت تستحق أن أتجاوزها بفقدان الذاكرة.. يا جنية تحملين وجهها.. يا مدينة دخلتها معتقدا أنني آخر الفاتحين !.. يا صوتا شبّهته بصوت أمي.. ألم يكن عليّ أن أحبك بعد هذا؟ أنا الذي عاش شتاته بكامل وعيه."[2] دلالة على أن المستشفى شكل للسارد فضاء للإنكسار والألم وتقليب المواجع، وتأثير المكان على السارد ،وشعوره بالإحباط والإنكسار، وفقدان الأمل في الحياة بعد فقدان الطبيبة الحب والأم والوطن. كما ظهر شعوره بالعداء للمكان ولخطيب الطبيبة والنفور من ذلك المشفى الذي تعمل فيه، وتغيّر إحساسه من الأمل إلى اليأس، وعدم رغبته بالبقاء في المستشفى بعد أن صارت الطبيبة مرتبطة بالضابط هشام.

شكل المستشفى فضاء للأمل والألم، وكان للمكان تأثير كبير على لاكامورا وحالته النفسية والشعورية، " ثم حين قررت العودة وجدتني أعود إلى المستشفى كمن يريد التأكد من خيانة رآها بعينيه.. لم أكن راغبا في البحث عنها ولا في رؤيتها .. لأول مرة منذ إصابة النذير أكتشف أنني أريد رؤيته هو.. اكتشفت أنني أفتقده فعلا.. وأنني خنته بطريقة ما حين نسيته بسبب أخته شعرت أنني أفتقد ذلك الصديق الاستثنائي الذي اسمه أخوك أليس من الغريب أن أشتاق إليه، الآن بعد أسبوعين شعرت فيهما أنني أعيش شيئا ولدت لأجل أن أعيشه في حضورك"[3] نستشف من المقطع السردي أن الصداقة المتينة التي جمعت النذير بالسارد جعلته يفتقده ويشتاق إليه ويشعر بالحنين لرؤيته من أجله وحده ولأجل الواجب الذي جمعهما وبعدما كان يظن أن جسور المودة والمحبة قد إنقطعت يجره الحنين إلى المستشفى لرؤية النذير والتكفير عن ذنبه بزيارته .

[1]- المصدر السابق، ص122.

[2]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 125.

[3]- المصدر نفسه، ص 126.

"حاولت التفكير في كل شيء ما عدا اللحظة التي أجدني فيها قبالة صديق شبه ميت.. فكرت في تلك اللحظة التي أجلتها فعلا. لم أدخل إلى غرفته قط. رأيت أخته وأمه وأخوه يدخلون .. بينما بقيت أنا مكاني لا أجرؤ على الدخول. خفت أن أرى شكل الموت على وجهه. خفت أن أتلمس جبني في رقدته تلك في تلك اللحظات الاستثنائية التي مازال فيها دمه ينز طريا كنت أشعر بالخوف من اللحظة التي أدخل فيها لرؤية مصاب على وشك الموت. مصاب تعلن كل ملامحه أنه كان أكثر شجاعة مني ومن بقية الأحياء الذين سيموتون في أسرتهم بنزلة برد أو بنوبة قلبية أو بالتخمة الغذائية.."[1] نستشف من المقطع شدة إنغلاق الغرفة، وتأثير منظر رقدة النذير في نفسية السارد وشعوره بالألم وهو يرى صديق طفولته للمرة الأخيرة، وإحساسه العميق بالخوف من الموت وهو النهاية الحتمية لكل انسان .

المستشفى في الرواية تحمل دلالات سلبية فضاء للموت لا للحياة، وفضاء لتقليب الأوجاع والآلام، ومبعث للحزن والشجن و المعاناة .

[1]- المصدر السابق، ص 137.

19- الكافتيريا:

الكافتيريا من الأمكنة التي كان يتردّد عليها لاكامورالإستراحةوالإنكفاء على ذاته، فتارة كانت فضاءً للأنس والألفة، وتارة أخرى فضاءً لتقليب المواجع والآلام،وإسترجاع الذكريات والأيام الماضية بوجود الرفقة.

" (من الحب إلى الموت خطوة واحدة قطعها الحب ! من يقول لماذا؟ من يقول كيف وضع حدا لأحلامنا العاشقة جاعلا الحب خارجا عن القانون !)

كنت أصغي إلى هذه الأغنية وأنا أنظر إلى الناس من زجاج الكافتيريا. قبالتي يبدو الوطن هلاميا.. والناس يركضون في كل اتجاه، بينما الأمطار يأكل الفضاء في صخب مثير.. للمطر وجه الأمنيات المستحيلة.. له صوت العشق في لحظة الصمت.. للمطر طقوس الفؤاد حين ينز قبالة وحدته وعزلته الأبدية.. قبالة المطر يمكنني أن أصمت، وأتكلم في الوقت نفسه.. قبالة المطر يمكنني البكاء فجأة، أو الضحك بهستيريا من دون أن أضطر إلى تبرير جنون اللحظة التي تركبني.."[1] نستشف من المقطع أن الكافتيريا فضاء للأنس والألفة، فهي تعكس الحالة الشعورية والنفسية التي يعيشها السارد، وتأثير هطول المطر والاستماع للأغنية على مشاعره التي جعلته في حالة من التأمل للمكان والناس،وشعوره بالوحدة وضيق الكون وتفاهته، فالموت يحاصر الجميع ويقتل الفرحة والأمل، كما نستشف حالة الكآبة والوحدة من خلال تأمله هطول المطر الذي يدب الحياة في الأرض من جديد، وغسل الساحة والوطن فهي رمز للأمل.

" في مكان كهذا، وأمام وحدتي القابعة على الكرسي بجواري، وسيجارة أدخنها بنهم، يمكنني تأمل الأشياء بابتسامة لا تخلو من سخرية ومرارة.. كأن أضحك على جزأرة الوقت كله.. كأن أبكي على هباء الكون كله.. من قبل كنت أظن أن القلب هو الخاسر الوحيد في الحكاية لأكتشف أن الخاسر الأكبر هو الكون الذي يصير ضيقا وتافها وصغيرا.. لم يعد للكون متسعا لأجل أن نحمل ما تبقى من الكلمات، ولم تعد اللغة قادرة على استيعاب مانريد قوله.. كل شيء جاهز للنهاية.. حتى مايولد الآن يولد ميتا.. الأمل والفرح الوهمي والوطن الذي يموت فينا كثيرا كلما ظننا أننا ننقده إلى غد آخر.."[2] دلالة على أن الكافتيريا فضاء للاستراحة والبحث عن الراحة النفسية وفسحة للتأمل في وطن يعيش اللااستقرار و اضطراب نتيجة العنف وغياب الأمن والسلام ، كما تعكس الكافتيريا مشاعر السارد واحساسه بالمرارة والتعاسة على فقدانه الحب والوطن، وتأثير المكان في تقلب الحال وتغير احساسه من الأمل إلى اليأس.

---

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 99.

[2]- المصدر نفسه، ص 99- ص 100.

الكافتيريا ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسارد فتارة كانت فضاء للاستراحة والأمل والفرجة وتارة أخرى بؤرة لتقليب الأوجاع والآلام والانكفاء على الذات." كنت جالسا في كافتيريا قريبة من المستشفى، أصغي إلى هذه الكلمات بصوت "شارل أزنافور" كنت أشعر بشيء غريب يستولي علي.. شيء ثقيل ومثير للبكاء وأنا أستمع إلى تلك الأغنية. كان الناس يرتشفون قهوة أوعصير قبالة بعض. بعض العشاق الذين هربوا من المدينة وجاءوا خلسة إلى هنا ليجلسوا قبالة بعض ربما للمرة الأخيرة ! فقد صار الموت حاضرا."[1] نستشف من المقطع السردي أن الكافتيريا كانت فضاءا للقاء الأحبة وفسحة للعشاق الذين هربوا بحثا عن مكان للفرح والجلوس بعيدا عن أعين الناس لأجل الحب، ومن جهة أخرى يوحي تواجد العشاق بالكافتيريا إلى إنتشار الرذيلة في غياب الدولة نتيجة لماآلت إليه البلاد، أما بالنسبة للسارد فقد كانت الكافتيريا تارة فسحة للتأمل والتنفيس، وتارة مكانا لتقليب الأوجاع والآلام، وإحساسه باليتم الأبدي، وشعوره بالوحدة والإنكسار وهو يستمع لأغنية الحب التي كانت مذاعة في الكافتيريا والتي لامست أحاسيسه وكأنها تصور حالته النفسية بعد الصدمة التي تلقاها في المستشفى، وفقدانه الأمل في الحياة، وإحساسه باليتم الأبدي للعائلة والحب والوطن.

أما بالنسبة للطبيبة فكانت فضاء للإستراحة وملاذا للراحة بعد التعب " ولأنها شعرت بالتعب معي جرتني إلى كافتيريا المستشفى.. وجلست قبالتي شاحبة وحزينة.. حكت لي أن أمها كانت هنا.. جلست ساعة أمام النذير تنظر إليه ! حكت لي أنها بكت كثيرا اليوم.. كنت أصغي صامتا ومكسورا.. كانت أمامي، عارية من الكلمات وكنت أنظر إليها. فكرت في سؤالها عن خطيبها.. فكرت في عتابها، هي التي حكت لي عن كل شيء لم تحكي عن خطيب تأبطت ذراعه أمامي."[2] نستشف من المقطع الحالة الشعورية والنفسية للطبيبة وهي ترى أخاها في غيبوبته يصارع الموت متشبثا بالحياة، وحالة القلق والألم والخوف التي يعيشها كلاهما من فقدان الأخ والحب ." كم كنت مجروحا بك.. فكرت أن أتناول العقد من جيبي وأضعه في يدك قائلا لك: خذيه لم يعد يلزمني عقدك الذي خدش قلبي ! لكني لم أفعل. بالرغم من أنني أخرجت العقد ورحت أتأمله بين يدي أمام دهشتها. خيّل إلي أنها صارت شاحبة أكثر من الأول وسرعان ما تحول الشحوب إلى احمرار مفاجئ وكأنها فهمت أبجدية عقد تركته في يدي منذ سنين. مدت يدها وتناولت العقد من يدي وراحت تتأمله كمن يستعيد ذاكرة فقدها.. نظرت إلي.. كانت شاحبة وصامتة. خيل إلي أنها ستقول شيئا ووجدتني

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 135.

[2] - المصدر نفسه، ص139.

أنتظر كلامها بشوق لا يخلو من ارتباك.. حرّكت حواسي كلها لأركّز على ما ستقوله، وحين كانت ستتكلم جاءت الممرضة مسرعة نحونا لتطلب منها الحضور حالا.. كانت حالة النذير قد ازدادت سوءا !"[1]

دلالة على أن الكافتيريا فضاءلإسترجاع الذكريات القديمة من خلال العقد الذي أهدته الطبيبة أنذاك تعبيرا عن المودة والمحبة، ليفاجئها بإحتفاظه به وإندهاشها، لتكون الكافتيريا فضاء للمصارحة، وكشف حقيقة إحساسه إتجاهها.

[1]- المصدر السابق، ص 140.

20- المقهى الشعبي :

شكل المقهى مكان عام مفتوح على مرتاديه، وملاذا للتنفيس والترويح عن الذات من ضغوطات الحياة ومشاكلها ،وقد شكل بؤرة اجتماعية وتواصلية يلتقي فيها الناس ويتعارفون، ويجتمع فيها الأصدقاء ويتسامرون.

تظهر المقهى في الرواية كمكان مألوف وفضاء اعلامي يستقي منه رواده أخبار المنطقة،وإعتيادهم الجلوس فيه وتبادل الحوار والنقاش فيه

في المقهى الشعبي تعرف لاكامورا على عمي العربي الذي يعتبره رمز النضال والوطنية ،والهوية والذاكرة الشعبية الحيّة التي جعلت من المقهى متنفسا لها، وفضاء للأنس والحكاية وإسترجاع الذكريات. عمي العربي الذي كان يتردد دائما على المقهيويروي حكايته عن طفولته والثورة التي فقد فيها عائلته، ونضاله في الجبهة والقضاء على الخونة. الحكاية التي لايمل من تكرارها على مسامع من يرتاد المقهى.

لقد شكلت المقهى الوعاء الذي يحوي كيان عمي العربي وذكرياته." هو الذي كان يرتاد المقهى كل مساء ليحكي عن تاريخه الشخصي لجيل لايفقه في التاريخ. كان يحكي عن السيادة التي لأجلها مات الملايين من الشهداء.. سيادة لا يستوعب الناس اليوم ماهيتها ولا أهميتها.. لم يكن يصغي إليه أحد.. فلا أحد يصغي إلى التاريخ المرتبط في الذاكرة بالخسائر الاجتماعية التي وقعت بعد الاستقلال، وبأصول النهب التي جرّت الناس إلى المجاعة والشحاذة كأن الشهداء خرافة.. كأن الثورة كذبة تاريخية لأجل حاضر بائس. لهذا السبب لم يكن أحد يصغي إلى عمي العربي. وحدي كنت أصغي إليه أحيانا، وكان يجد في ذلك شهامة مني. أنا الذي لا تهمه التواريخ المعطلة، ولا الذكريات التي تجر العربة نحو ماض لم يعشه أحد حقا. ماض ممزوج بالمبالغة والتحريف أحيانا."[1] نستشف من المقطع أن المقهى كان يلتقي فيه الناس ومن بين أهم رواده عمي العربي الذي يعد بالنسبة للراوي رمز الوطنية باعتباره الشخص الذي يستقي منه الأخبار التاريخية الخاصة بالوطن والتي تكون بدورها محل اعتزاز وفخر للراوي يتكئ عليها من أجل البحث عن خلاص أمني للوطن جراء الأزمة التي حلت به (العشرية السوداء)، فيبرز المقهى فضاء للتنفيس عن المكبوتات التاريخية والعاطفية وتتجسد من خلال سرده لأحداث الثورة بكل تفاصيلها وذكرياته دون ملل، فكان فضاء للأنس والترويح عن النفس،وإسترجاع الذكريات .

كما تظهر المقهى مكان للاجتماع، وتبادل الحوارات التي تفصح عن الأوضاع السياسية والاجتماعية للبلاد والأزمة التي يعيشها الوطن، والتي يبدأها السارد في بداية الرواية عن اغتيال الرشيد ضابط الشرطة

[1] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 11.

دلالة على غياب الأمن ليجعل من المقهى المكان الملاذ الذي يلجأ إليه للتنفيس عن الجانب النفسي والعاطفي بعد غياب الأمن . " نظرت إلى عمي العربي ودفعت ثمن قهوته وهممت بالمغادرة قبل أن يشدني من ذراعي فجأة.. نظر إلي بعمق كأنه يعزيني أو كأنه يعزي نفسه. ربما لأنه يدري أن الرشيد لم يكن صديقي تماما، ولم يكن صديقه، كان واحدا نشترك في معرفته.. واحدا نعرف أنه لن يأتي ثانية إلى هنا، وأننا لن نحكي عنه إلا بعبارة كان ! تمنيت لو كانت لي قدرة على قول كلمة واحدة مفيدة لذلك الرجل الذي ظل ممسكا بذراعي منتظرا مني أن أقول شيئا ليقول ألف شيء.."[1] نستشف من المقطع الحالة النفسية التي يعيشها السارد وعمي العربي من حزن وألم ، فكان المقهى فضاء للتنفيس لشعورهما بالضيق والحزن والألم على الرشيد الذي اغتيل أثناء تأدية واجبه ." احساس كبير بالوجع سيطر عليّ طوال الوقت حين غادرت عمي العربي. كنت أريد أن أقول له شيئا وحين لم أجد مناصا من الصمت غادرته. كان يخيّل إلي أنه أمسكني من ذراعي ليجبرني على الإصغاء لحكايته من جديد، كما سردها أول مرة.. كان يسردها دائما، بنفس التفاصيل التي يخيذل إليك وأنت تصغي إليها كما لو كنت تصغي إلى برنامج إذاعي مسجل !"[2] نستشف من المقطع أن المقهى فضاء للذاكرة وسرد الحكاية فعمي العربي جعل المقهى فضاءا يحوي ذكرياته الثورية والنضالية وملاذا يلجأ إليه لإحساسه بالوحدة والحزن وهو مايشعر به السارد الذي يتقاسم معه ألم فراق الرشيد الذي كان صديق المكان وصديقهما. " صحيح أنني أجد أحيانا رغبة في التحرش بذاكرته كي يحكي لي القصة نفسها، ولكني من حيث لا أدري أجدني أصاب بذات الملل الذي يصيبه هو نفسه حين يصل إلى النهاية.. حين يراقب فنجانه البارد، ويرمقني بطرف عينيه منتظرا تعليقا مني.. لن أنكر أن إغتيال الرشيد هزني بعمق. هل يحدث لي كل هذا لأن صديقا عابرا مات مقتولا؟ صديقا لم يكن صديقي، لكنه كان صديق الذين عرفوه قبلي.. عرفوه أكثر مني.. صديق الذين أحبوه أو مقتوه أكثر مني. لو كنت صديقه لحزنت عليه أقل.. ولكن.. لن يجلس الرشيد قبالتي ولن يلح عليّ بنخوته الجزائرية ليدفع لي قيمة ما نشربه أنا وهو !"[3]نستشف من المقطع تحول المقهى من فضاء للأنس والألفة، إلى فضاء للذكريات والألم،وإنعكاسه على الحالة النفسية، والإحساس بالحزن والضيق، والألم بغياب صديق المكان الذي تعودالجلوس والحديث معه لتبقى فقط الذكريات تنبش ذاكرته وتأثيرها على حالته الشعورية كلّما تواجد بالمقهى الذي جمعهما والتقيا فيه لأول مرة .

[1] - المصدر السابق، ص 24.

[2] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 25.

[3] - المصدر نفسه، ص25.

وفي مقطع سردي آخر يظهر المقهى كفضاء للإنتظار والترقب ورصد حركات الطبيبة."أتظاهر بالتوقف لمجرد التوقف. أرتشف القهوة في المقهى القريب من بيتكم فقط لأراك تعبرين المكان. لأرى خيالك وأتلمس ذراعي حين تعبرين. من دون أن ألفت الانتباه، سوى بصمتي وحزني.. أراك متأبطة ذراع خطيبك وتمشين معه بشكل لا يخلو من غرور ومن استفزاز. كأنك تعرفين أنني هاهنا. كأنك تسعدين باستفزاز مشاعري، وبضربي في القلب بتلك الحدة الموجعة."[1] دلالة على أن المقهى تحول إلى فضاء لترقب الطبيبة وترصد حركاتها وانتظار مجيئها بالمقهى المقابل لبيتها .

كما شكّل المقهى ملاذا للتنفيس والهروب من ضغوطات الواقع والأحداث الأليمة، وكان لها تأثيرها على الحالة النفسية للسارد بعد فقدانه الأمل لكل شيء، وتفكيره بالسفر لحضور منتدى إعلامي بسورية، لكنه قبل الرحيل وجد نفسه يتوجه إلى المقهى الشعبي الذي كان يلتقي فيه بعمي العربي الذي لم يره منذ ثلاثة أعوام ليتفاجئ بخبر اختطافه هناك من صاحب المقهى الذي لم يتغير، وتفاجئهبتحويل المقهى إلى قاعة شاي وخضوعها للحراسة بسبب الأوضاع الأمنية، فوجد نفسه يعود بذاكرته للوراء وتذكر آخر مرة رآه فيهاكانت يوم أغتيلصديقهما المشترك الرشيد وإحساسه بالصدمة ." وجدتني أذهب إلى ذلك المقهى الذي كنت أرتاده لأصغي إلى عمي العربي حين يحكي عن تاريخه الشخصي ويقارنه بتواريخ الوطن. عمي العربي الذي لم أره منذ ثلاثة أعوام.. وجدتني أتمنى العثور عليه في ذلك المقهى الذي أعرف أنه يرتاده دائما. حين وصلت إلى المكان هالني التغيير الذي طرأ عليه. تغيّر المقهى وتحوّل إلى قاعة للشاي. لم يتغيّر صاحب المقهى الذي حين رآني جاء نحوي فاتحا ذراعيه.. قال بصوت لا يخلو من حرارة "عاش من شافك يا صاحبي.. وين غطست؟ سمعنا أنك أصبحت صحفيا كبيرا، لكن هذا ليس مبررا لتنسانا يا صاحبي !"[2] نستشف من المقطع حالة الشوق والحنين التي جرّت السارد للمقهى بحثا عن عمي العربي الذي لم يره منذ اغتيال الرشيد، كما أنها كانت فضاء للوصل والعودة بعد الغياب الطويل والتفاجئ بتحول المقهى إلى قاعة شاي ." جلس أمامي يكلّمني فجأة عن المكان. وكنت أصغي إليه.. تكلّم عن الوضع والناس والمقهى الذي لم يعد آمنا. صار يستقطب الإرهابيين الذين يصطادون ضحاياهم فيه. فقرر أن يغيّره من مقهى إلى قاعة للشاي تعتمد على حارس يفتش الزبائن والحقائب لاثبات أمن مفقود ! سألته عن أصحاب زمان فتنهد بعمق قبل أن يذكر لي أن بعضهم غادر البلاد بسبب التهديد أو مختلقا التهديد ليهرب من البلاد.. والبعض الآخر قتل فعلا ! ثم وجدتني أسأل عن عمي العربي. فنظر الرجل نحوي مستغربا.. مسح على بقايا شعر فوق رأسه وقال: عمي العربي؟ ألم تسمع؟ لقد خطفوه قبل سنة. لا أحد يعرف أين اختفى. لا أحد.

[1] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 163.

[2] - المصدر نفسه، ص166.

البعض يقول إنه قتل والله أعلم !"[1] دلالة على أن المقهى هو الآخر لم يعد آمنا وصار بؤرة للترصد والعنف، وفقدانه الطمأنينة التي ألفها مرتادوه.

لقد شكلت المقهى الفضاء الذي يستقى منه لاكامورا الأخبار، ومعرفته بإختطاف عمي العربي من صاحب المقهى، الخبر الذي صدمه،وإندهاشه بعد ذلك بتغيير اسم المقهى ولفت إنتباهه اللافتة التي تحمل اسمه قاعة للشاي والسّلام،" حين دخلت إلى قاعة الشاي لفت انتباهي جملة كانت مكتوبة على لافتة كهربائية بشكل صارت فيه الكتابة تضيء وتختفي كما لو أنها تتلاعب بالحروف بشكل لايخلو من سخرية للشاي والسلام !!يالها من سخرية على شرف ذاكرة مازالت تحكي وتدين وتوجّه أصابع الاتهام للقتلة"[2] دلالة على أن المقهى فقد شخصية إرتبط وجودها به، وبرحيله تغيّرت وأصبحت قاعة للشاي باسمه، عمي العربي الذاكرة الشعبية الحيّة ورمز للوطنية يختفي لتبقى فقط ذكرياته تملأ فضاء المقهى الذي يحمل اسمه وكأنه يصر على البقاء بالمكان وعدم مغادرتة لولا اختطافه ليبقى اسمه راسخا بالمكان ينشد السلام .

[1] - المصدر السابق، ص 166.

[2] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 168.

21- المطار:

المطار فسحة روائية للمكان وتم توظيفه لإستغلاله في العودة إلى الموضوع (تمطيط الرواية).

المطار في الرواية كان توظيفه عرضيا من أجل العودة إلى الأحداث المركزية المتمثلة في الحزن والوفاة ويتجسد ذلك في موت الضابط الذي يعكس بوفاته زعزعة السلطة الرسمية والأمن القومي باعتبار الضابط أحد أهم العناصر المساهمة في ديمومة هذه السلطة ." وقبل 12 ساعة من ركوبي الطائرة نحو سورية جاءني الخبر الذي لم أكن أعرف كيف عليّ أن أتلقاه.. خبر وقع أمام عيني كالصاعقة. خبر السيارة المفخخة التي انفجرت على مقربة من المديرية العامة للأمن. هالني عشرات القتلى."[1] من خلال السرد نستشف أنّ وفاة الضابط بالنسبة للسارد لاكامورا هو محل غبطة وسرور، باعتباره منافسا له في الظفر بقلب الطبيبة التي هي رمز للجزائر، وكأن الضابط ينافسه على الجزائر في نهب خيراتها، وبموته أحس بأنها ستعود إليه باعتباره هو رمز للشعب وللطبقة الشعبية البسيطة التي تكن الحب والولاء للجزائر، بخلاف الضابط الذي يمثل السلطة الرسمية وتفرد الحكم بها، وبموته عودة الطبيبة الحبيبة التي هي رمز الجزائر أحس أن الوطن يسترد ويعود لحضن الشعب .

والتي تلتها صدمة أخرى في تلك الأثناء بخبر انفجار سيارة مفخخة على مقربة من المديرية العامة للأمن والتي كان من ضحاياها الضابط هشام خطيب الطبيبة ليعدل عن السفر ويقرر البقاء لأجل الطبيبة وعودة الأمل للاكامورا من جديد وعدوله عن الرحيل، وإصراره بالبقاء في الوطن لأجلها .

[1]- ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 168.

22- المقبرة :

إذا كان المتعارف عليه أن القبر هو رمز الفناء والعدمية في معناه المطلق فهو في رواية وطن من زجاج رمز للقتل واليأس، إذ يشكل بالنسبة للرواية أحد أهم الأمكنة التي تعبّر عن الإحباط الذي أصاب المجتمع خاصة المثقف منه وما آل إليه في فترة العشرية السوداء، إذ صار هدفا للإرهاب بإعتباره رمزا للتطور والثقافة والمجتمع المتحضر، فهو بالنسبة لهم(الإرهاب) رمز للاستعمار الجديد المتمثل في التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية لذلك صار يعد قتله هو قضاء على التبعية بمختلف أوجهها.

" مات النذير كما يموت شخص نحبه.. كما يموت صديق نتمنى له عبثا حياة طويلة. كنت مازلت واقفا قبالة قبره حين انفض الجميع عنه.. وقفت أنظر إلى شكل النهاية. شكل الحياة الأخيرة. شكل البيت الذي سيسكنه إلى الأبد.. راغبا في قول أشياء لم يتسن لي قولها في وقتها. ما الحياة؟ ما الحقيقة؟ ما الموت أساسا.. أليس الموت هو هذه العزلة التي لا يعرفها إلا الميت."[1] نستشف من المقطع حالة الحزن الشديد والألم لفقدان الصديق الذي رحل إلى قبره تاركا وراءه طموحه وأحلامه وكأنه الصحفي بغض النظر عن الصداقة التي جمعتهما وكانت بينهما فهو بالنسبة له رمز للخبر الموثوق الذي كان يصدر عن الجريدة في وصف الأحداث المتسارعة والمتعاقبة التي كانت تحدث هنا وهناك في الجزائر. وصارت المقبرة هي رمز من رموز غياب الحقيقة رغم دموية الأحداث." ما الموت أساسا.. أليس الموت هو هذه العزلة التي يعرفها إلا الميت. حتى الذين يعتقدون أنهم أقرب الناس إليه يغادرونه نحو مشاغلهم.. قد يحزنون ولكنهم أبدا لن يكونوا معه حيثما يكون. لن ينزلوا إليه في القبر حين ينزل الليل على الناس ولن يسألوه: هل ينقصه شيء؟ هل الوسادة مريحة في قبره؟ وهل الألم أخف بعد الموت؟ لا يمكن لأحد أن يسأل ميتا عن الموت الذي دخله عاريا.. لهذا، بدت لي الحياة بلا قيمة. تافهة. بدا لي الكون عبثيا."[2]نستسف من المقطع صورة القبر وأهواله المجهولة وإنفتاحه على على العالم الآخر الذي يجهله الجميع وبإعتباره مكان شديد الإنغلاق على نفسه ومفتوح على المجهول الذي لا يدركه أحد إلا الخالق ، فالسارد يكشف لنا عن هذا المكان الأخير الذي يرتاح فيه ساكنه من الحياة الأبدية وويرتاح من مكابدة المعاناة الدنيوية، إنّه السكن والمكان الأخير ، القبر الذي هو مصيرنا جميعا وننتقل إليه في آخر المطاف لنرتاح من الرحلة الدنيوية ليكون نقطة النهاية للتنقل والترحال إلى العالم الآخر،فيصفه في ظلمة الليل وحال الميت، تلك الجثة التي نزلت إليه بعد موت محتم، والعزلة التي يعيشها بإنعزاله عن العالم لينتقل إلى العالم الآخر.

[1] - المصدر السابق،. ص 144.

[2] - ياسمينة صالح، وطن من زجاج، ص 145.

من خلال ماسبق يتضح أنّ الكاتبة لم تسعى إلى إبراز المكان بملامحه الهندسية ومظاهره العمرانية بقدر إهتمامها بالأحداث التي تجري عليه من مجازر وإغتيالات، وتدهور للحالة الاجتماعية وفساد للأنظمة، فكشفته لنا من خلال شخصياتها التي وظفتها لإختراق المكان وكشفت معالمه من خلالها وعن طريق اللغة التي عبرت عن تشكلاته، وبذلك تحول المكان من مجرد إطار هندسي جغرافي إلى عمل فني له أبعاده ومقاصده يحمل في طياته رؤى فكرية وإديولوجية، ومن خلاله أبرزت لنا الكاتبة صورة الوطن بقراه ومدنه وشوارعه وأحياءه الذي تحول إلى فضاء مفتوح على العنف والصراع، يعيش حالة إضطراب وقلق وخوف دائم، ينشد ساكنيه الأمن والسلام المفقود في وطنهم، وأنّ هذا الوطن الذي يمثل الهوية والإنتماء والوجود فقد أمنه وإستقراره وطمأنينته، وأصبح " وطنا تنعدم فيه الحرية، وطنا يقضي على النظام بالفوضى والتشويه، ينتهك حرمة القانون مكرسا سلطة القوة وعنفها، ينتزع من الإنسان إنسانيته، ويطلق العنان للعدوانية الحيوانية الكامنة فيه، يجد بشكله الجديد مجالا خصبا في غياب الدولة "[1]، فكان الوطن بما يحويه من أمكنة سواء المفتوحة أو المغلقة فضاء مفتوحا على العنف والحرمان والتهميش، منغلقا على العالم الخارجي ومنغلقا على ذاته، يحمل إنكسارات وخيبات وآلام وجراحات لا تندمل.

[1]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 69.

الفصل الثالث :

أنواع المكان في رواية " لخضر" لياسمينة صالح

ملخص الرواية "لخضر":

رصدت لنا الكاتبة ياسمينة صالح من خلال رواية " لخضر" الواقع الاجتماعي والسياسي بصورة فنية أضفت على الإبداع الأدبي رؤية عميقة لمضمونها بإبراز صورة المجتمع الذي يعيش الحرمان والفقر والاستبداد، فالرواية قامت بتسليط الضوء على شخصية لخضر الذي تحول من حمال بائس بالميناء إلى جنرال، له مكانته وهيبته بعدما قام بالدوس على كل القيم وطمس الحقيقة وتزييفها ليحيا على حساب الآخرين، والتخلص من الفقر والحرمان والاحساس بالنقص والدونية، لخضر الشخصية المحورية في الرواية والذي كان حضوره مكثفا باعتباره المحرك للأحداث والسرد.

تبدأ الحكاية من الفيلا التي يسكن فيها لخضر عند استيقاظه من النوم وهو يفكر كيف مرّ العمر ليطلب من خادمه احضار مرآة لينظر إلى وجهه الذي نسي شكله وتفاصيله، فاستغرب الخادم طلبه لأنّه كان قد أمره بنزع كل المرايا من الجدران والأمكنة، فوجد لخضر نفسه يرى وجهه على زجاج النافذة التي عكست له وجها لا يعرفه.

إستغرب الجميع مزاجه المفاجئ الخادمة والسائق، وسكرتيره في المكتب الذي تفاجئ هو الآخر برؤيته للجنرال يبتسم على غير عادته وهو يطلب منه احضار ملف "حسين زرياب"، سكرتيره الذي كان حلمه أن يكون رساما قبل إلتحاقه بالوزارة بسعي من والده الذي كان ساعي بريد وزارة الدفاع، وبعد سنة من تعيينه إكتسب ثقة الجميع، ولفت إنتباه الجنرال لخضر الذي جعله يشتغل عنده بالمكتب، كان الجنرال لخضر ينتظر إحضار الملف، الملف الذي ألقى عليه السكرتير نظرة سريعة وسرعان ما أدرك الجنرال ذلك من ارتباكه، وبنظرة سريعة من الجنرال غادر السكرتير المكتب مسرعا، ليجلس خلف مكتبه ويفتح الملف على الصورة نفسها التي رآها سكرتيره، الصورة التي أشعرته بالدهشة والوجع، صورة هزمته وأرجعته الى الماضي وعادت به الذاكرة للوراء، تذكر الحكاية التي بدأت قبل أكثر من ثلاثين سنة، تذكر حياته كيف كان وكشف لنا نفسه وماضيه، لخضر الشاب البائس والفقير الذي عاش وحيدا منعزلا، مقهورا بوجود أب متسلط وزوجة أب لا تحتمل وجوده، تذكر والدته التي ماتت بعد أسبوع من الولادة بسبب نقص الرعاية ونتيجة الفقر، لتلتحق بها طفلتها الرضيعة ويعيش يتيما وطفلا مكسورا لا يحس بوجعه أحد، حتى والده أصبح عدائيا معه بسبب تسلط زوجته وعدم تحملها وجوده معه بالبيت، ليبحث له والده عن عمل بالميناء الذي كان يعمل فيه حمالا، ولأن رئيس العمال أشفق عليه قبل وأعطاه فرصة بعد اختباره لمدة شهر، تلك الفترة بالميناء كانت بالنسبة للخضر كالحلم الجميل لأنه كان يفكر في الهرب على متن أحد البواخر

لولا تلميح رئيس العمال الذي جعله يعدل عن الفكرة، وشعوره بالخوف والفزع من إكتشاف أمره. فكان يشتغل بجدّ ليثبت لرئيسه أنه ليس هنا للهرب وكانت تلك أولى الخيانات التي إرتكبها ضد أحلامه الشخصية، مضت سنة وهو يعمل كحمال بائس يشعر بالخيبة والانكسار، والحرمان حتى من راتبه الذي كان يأخذه والده بحجة مصروف البيت وإخوته الصغار الجيّاع. عمله بالميناء جعله يفتح عينيه على واقع آخر الغلبة فيه لأصحاب المال والسلطة، وسيطرة الأسياد على البؤساء والفقراء من العمال واستغلالهم في نقل البضائع، كان لخضر يقضي وقته في الميناء يحمل البضائع ويصغي إلى حكايات الناس وأخبار الوطن، ومراقبة الشخصيات المهمّة التي تأتي للميناء ونزول المدير شخصيا لمباشرة عملية نقل البضائع من المستودعات إلى الشاحنات. العمل بالميناء جعل لخضر يشعر بالاحباط والملل خاصة بعد موت سي ابراهيم الذي كان يتبادل معه الحديث كلما سمحت الفرصة، فكان يروى له حكايته وشبابه الذي أفناه بالميناء مصدر رزقه، والذي اعتبره جزء من حياته رغم المرض الذي أخفاه عن الجميع إلى أن لاق نحبه ولفظ آخر أنفاسه هناك، تذكر لخضر أنه كان في الثالثة والعشرين من عمره خاليا من الدفء والحنان والحب يعيش غريبا في بيت لايحس به أحد، ولا يأبه والده لحاله إن كان مريضا أو جائعا، فكل مايهمه هو الحصول على راتبه، فكان يمضي وقته وحيدا وحزينا مقهورا، يهرب من واقعه بخياله الذي كان يعينه على تجاوز الكآبة والقهر اليومي، تذكر لخضر كيف كان يمر أمام واجهة المطاعم ويبدأ بالحلم، ليستيقظ من أوهامه وهو ينظر إلى نفسه، ومظهره المقرف ومنظره البائس، كأنه متسول متشرد تعافه الأعين، كان لخضر يشعر أنه بائس وفقير لكل شيء، حتى الحلم بفتاة تحبه بعيد المنال إلى أن تعرف على نجاة التي جعلته يفكر فيها، وبعدما عرف أنها إبنة السيد نوح جيرانه في الحيّ أصبح يذهب إليه بحجة شراء أشياء للبيت، وعرف منه حكايته وحلمه بأن يكون له إبن من صلبه، وعن بناته والدكانة التي يطمع فيها العرسان الذين يتقدمون لبناته.كان لخضر سعيدا وهو بتبادل الحديث مع سي نوح، وعرف أن نجاة هي ابنته الأصغر والأجمل التي حركت مشاعره بابتسامة منها، نجاة التي منحته الفرصة ليحبها ويتحدث معها، والتي اكتشفت من أول لقاء أنه شخص بائس يثير الشفقة، وأن علاقتهما ستجلب لها العار والفضيحة، ولأنها أرادت التخلص من الورطة قررت عدم رؤيته مجددا، لخضر لتعلقه بها طلب إذنا من رئيس العمال بالمغادرة الأمر الذي استغربه والده ورأى بوادر التغيير على ابنه، فالحب جعله ينسى كل شيء ولا يفكر إلا بها، ومن أجل أن يشتري ملابس جديدة حتى يظهر بمظهر لائق أمام حبيبته رفض إعطاء الراتب لوالده سي عثمان، رفضه الذي اعتبره والده تمرد وأراد معاقبته على ذلك بشدة، فذهب إلى سي نوح والد نجاة وفضح أمر علاقتهما، وطلب من والدها الذي يعتبره أخا

وصديقا بالحذر من إبنه لخضر الفاشل، وأنه لاجدوى من هذه العلاقة وأنه يفكر في مصلحته ومصلحة ابنته. الأمر الذي أغضب سي نوح وجعله يغلق دكانه، ويدخل البيت وهو يصرخ على والدتها التي تجهل ما يحصل من ورائها، وقرر تزويجها لضابط شرطة علي الذي كان قد طلب يدها، فكانت فرصة لوضع حد لتلك العلاقة.

غابت نجاة عن الأنظار فقرر لخضر الذهاب إلى دكان سي نوح ,كانت الصدمة عندما فاجأه بالرّد، وأن نجاة ستخطب لشاب يستحقها ويرفع رأسه، تلك الصدمة التي جعلت لخضر يعود إلى البيت حزينا مكسورا ومحبطا، وشعوره بالتعاسة وباليتم من جديد وبالمرارة لأن والده كسر قلبه من أجل الراتب الذي رفض منحه إياه.

بعد الغياب مرت نجاة تتأبط ذراع خطيبها، وحينما رآها لخضر ناداها باسمها، فصعد الغضب إلى وجه خطيبها الذي التفت نحوه وانهال عليه بالضرب حتى سالت الدماء من أنفه وشفتيه، ولم يشف غليله وانتظره مع شخصين يرتديان اللباس الرسمي عند مدخل الحيّ، تفاجأ لخضر برأيتهم وطلب منه الضابط بطاقته وانهال عليه مرة أخرى بالضرب وتركه يتلوى من الألم، بعض المارة اتصلوا بالإسعاف التي جاءت بعد ساعة ونقلت لخضر إلى المستشفى، فوصف له الطبيب الدواء ورسالة طبية ليرتاح لأسبوع وطلب منه تجنب الحركة. مرّ لخضر بفترة عصيبة حرجة وحالة نفسية قريبة من الجنون والهلوسة وبعد عشرة أيام استعاد عافيته وعاد إلى عمله بالميناء، ليتفاجأ بقرار نقل رئيس العمال سي منصور، فزاد حزنه لأنه سيفقد شخصا آخر كان يحن عليه، وقبل أن يرحل سأله إن كان يرغب في العمل بمكان آخر، فكان محظوظا لأنه أعطاه فرصة للابتعاد والرحيل عن البيت والمكان، وعن الذين تسببوا بمعاناته، انتقل لخضر من حمال بالميناء إلى حارس ليلي بمستودع سي فاروق شقيق الكولونيل فيصل، يمضي نهاره بأحد الحدائق العامة ينام فيه كالمتشردين، وفي الليل يحرس المستودع من الداخل ، وذات مرة أثاره الفضول لمعرفة ما تحتويه صناديق المستودع التي يحرسها الرجال ليل نهار، ففتح أحد الصناديق وإذا به يتفاجئ بالأسلحة، وفي تلك الأثناء دخل أحد الحراس ليجد لخضر نفسه يصوب الرصاص من المسدس الذي نسيه بجيب سترته، فأطلق الرصاص على الحارس ثم على شخص أخر، وبعدها صوب الرصاص على نفسه ليغمى عليه ويجد نفسه بالمستشفى . عندما استعاد لخضر وعيه ساعدته مخيلته فى فبركة الأمور وتغيير مسار حياته، وانقاذ نفسه من السجن والموت، وبعد أيام من التحقيق والاستجواب وإصراره على النجاة ازدادت قدرته على الكذب والتلفيق التهمة للحراس، وتزييف الحقيقة بالاستفادة من التفاصيل التي كان

يسردها الحراس وقت الحراسة ليلا وتوريطهم، خاصة بعد علمه بالعداوة التي بين سي عنتر والكولونيل فقد كانت الوسيلة الوحيدة التي جعلته يمرر الرّواية وينجو من السجن والموت.

تجاوز لخضر مرحلة الخطر ليعود إلى عمله من جديد لكن في مستودع آخر لسي فاروق الذي كلفه بالحراسة مع تزويده بكل التفاصيل التي تجري هناك وعن الحراس، كما وضعه تحت المراقبة لمعرفة الحقيقة، ولأنه كان يشك في الأمر كلّفه بكتابة تقرير يومي لكل مايحدث، كما كلف شخصا آخر بنفس العمل، فكان الفرق بينهما أن تقارير لخضر دقيقة وكأنها إنذار مسبق لكارثة ما، تقاريره جعلته يتحول من حارس ليلي للمستودع إلى مخبر محترف بعد تلقيه تكوين من ضباط محترفين، أصبح لخضر يعمل تحت أوامر الضابط جعفر الذي كان لا يتوانى عن إهانته، لكنه كان يتحمله بسبب تقاريره، وبسبب الأوامر التي اختارت لخضر للعمل كسكرتير مساعد بالجامعة للتجسس على المدير سي طيب والذي كان بحاجة لمساعد لسكرتيره جمال. عمل لخضر هناك واستطاع أن يزرع المكروفونات في مكتب المدير وقاعة الرياضة للتجسس عليه، وبعد المظاهرات التي حصلت في الجامعة من الطلاب والتي لم تنتهي إلا بتدخل الأمن نتيجة الفوضى والعنف وعلى أثرها تمّ اقتياد المدير سي طيب إلى مركز الأمن، تلك كانت صدمة للسي طيب خاصة وأنّه مريض بالقلب، فدخل المشتشفى العسكري وبعدها حولوه إلى المستشفى العام. أما لخضر شعر بالخوف لأنه اكتشف أنّ الطالبين فريد وإبراهيم هما مخبرين وتمّ زرعهما بالجامعة لاشعال الفتنة. وبعدما جاء المدير الجديد تأزمت الأوضاع بالجامعة وانتشرت الصدامات بين الإسلاميين والشيوعيين، وقتل أحد الطلبة على يد إبراهيم الذي فر من الجامعة ولمحه لخضر بالمركز مع الضابط الذي يعمل معه، تلك الحقيقة جعلته يشعر بالرعب وأدرك أن تقاريره لم يعد لها أية فائدة بعدما انفلتت الأوضاع وأصبحت الجامعة والمسكن الجامعي غير آمن.

بعد أسبوع من الاختفاء المفاجئ ذهب لخضر لزيارة سي طيب وأخبره عن أوضاع الجامعة وحادثة القتل وحالة الثورة، فتجردت الزيارة من الأحاديث المفرحة، لكن سي طيب فاجئ لخضر بقبول طلبه ليد إبنته التي كان قد طلبها للزواج، شعر لخضر بالخيبة لأنه ورط نفسه، وتمنى لو تم رفض طلبه ولم تقبل نجاة الارتباط به، فكل شيء صار قدرا بالنسبة إليه والزواج أصبح تحصيل حاصل، وفي تلك الفترة إلتقى لخضر بالباهي قريب سي طيب الذي شعر أنه شخص لايستهان به واستطاع أن يكسب ثقته، تلك العلاقة سهلت عمل لخضر بكتابة التقارير المطلوبة منه، ومعرفة الأسماء التي يتصل بها الباهي والأشخاص الذين يمدونه بالمعلومات للكتابة، ولإسكات قلمه الذي كان يزعج مصالح الأسياد والسلطة. هذه المهمة جعلت لخضر يتلقى التهنئة شخصيا من أحد المسؤولين الكبار

في مكتبه، وتلقى منه المكافأة بترقيته إلى ضابط بعد أيام من تلك المقابلة، القرار أسعد لخضر واعتبرها خطوته الأولى في سلم المجد الذي كان يبحث عنه.

بعد فترة تمت خطبة لخضر على نجاة وكان كلاهما يحس بالحزن والخيبة، لم يشعر لخضر بالسعادة وهو يعود إلى بيته، تذكر عائلته ونجاة التي أحبها، ورأى في زواجه بنجاة ابنة سي طيب أشبه بمهمة وطنية، فلم يكن للفرح مكان قبالة الشعور بالواجب، خاصة بوجود الضباط الذين كان يعمل معهم، وبالأخص جعفر الذي كان يحاول إغاظته بأي طريقة، ولأنه أصبح لا يعمل تحت إمرته لم يشعر أن عليه الرد، فقد أصبح يقدم التقارير شخصيا للمسؤول البدين الذي يعرف عنه كل شيء، وأخبره أنه قام بالترتيبات اللازمة حتى لا يكتشف سي طيب هويته الحقيقية، فشعر لخضر بالخوف والقلق من كلام مسؤوله، ووجد نفسه يسرع في إنهاء تحضيرات الزواج حتى يتفرغ للمهمة التي سيكلفه بها المسؤول البدين.

تمّ الزواج وعاد لخضر إلى الجامعة التي غاب عنها أسبوعا متظاهرا بالمرض، كان الأسبوع الأخير من السنة الجامعية وبداية فترة الامتحانات، هدأت التوترات داخل الجامعة لتنفجر بالخارج بين الإسلاميين وتيارات أخرى، وبدأت الصحف تتكلم عن بوادر حرب أهلية، وكتب الباهي مقالا عن تواطؤ الدولة عبر الأنترنت بعد أن احتكرت السلطة الصحف، الأمر الذي أثار غضب مسؤوليه واستدعى لخضر وطلب منه إيقاف صوت الباهي، فقد كانت جرائم القتل حديثا يوميا حتى صارت أمرا عاديا، وذات يوم كان لخضر مع زوجته بالبيت فاتصل به جعفر وطلب منه الحضور حالا، فوجده ينتظره مع ثلاثة أشخاص فركب معهم السيارة دون معرفة ما يحدث، تفاجئ لخضر بالمهمة من خلال الحجز الأمني المزيف وإطلاق النار على السيارة التي كانوا بانتظارها والتي بدأت هي الأخرى باطلاق الرصاص، ركض جعفر وإنطلق بأحد السيارات تاركا رجاله يكملون العملية، شعر لخضر بالرعب وهو يطلق الرصاص ليركب السيارة مع الرجال بعدما أصابت الطلقات أحد رجال جعفر، وتركوا بعدها السيارة قرب مأرب معتم وعادوا إلى البيت مشيا. تلك العملية تحصل بسببها جعفر على ترقية من مسؤوليه وجعلت بقية الضباط الصغار تحت أوامره، فشعر لخضر بالتعاسة والاحباط لأنه أصبح أداة للإجرام وبتواجده في مسرح الجريمة. المدينة أصبحت تعيش حالة من الخوف والرعب، وانتشرت الأخبار بالصحف عن الإرهاب. لم تكن العطلة الجامعية بالنسبة للخضر سوى كابوس رهيب لأنه كان ينغمس في العمليات الاجرامية التي أفقدته إنسانيته وأنسته زوجته، وفي ذلك الشهر عاد الباهي إلى البلد، وعلم لخضر أن عملية تصفيته سيقوم بها جعفر، وتأثر كثيرا عندما علم من أحدهم أن إحدى الجماعات اختطفت الباهي، وأنه تمّ العثور على رأسه بالقرب من مقر بيته

مكتوبا عليه الله أكبر، وأنه لم يعثر أحد على جثته، الخبر الذي أصاب سي طيب بشلل نصفي، فأحس بحالة من اليأس ليعود إليه الأمل بخبر نجاة أنها حامل، لكن فرحته لم تكتمل بعدما أخبرته الطبيبة أن صحتها لن تحتمل وستتعرض للخطر، لكن نجاة رفضت التنازل عنه ومرت الأشهر سريعا ولخضر يعيش حالة من الهذيان بين الجامعة وعمله الثاني الإجرامي، كانت أحوال البلاد مأساوية نتيجة الجرائم والرعب الذي يعيشه الناس ويحلمون بالهرب من البلاد للنجاة من الموت، أما لخضر فكان راغبا بالبقاء بالبلد لأجل إبنه الذي حان موعد ولادته، لقد كان سعيدا بفكرة أنه سيصبح أبا وسيحبه ولم يفكر في حياة زوجته التي كانت في خطر، الكل كان في المستشفى قلقا عليها بسبب حالتها لتفارق الحياة بعد وضعها، شعر لخضر بالفراغ واكتشف أنه لايمكنه الاحتفاظ بابنه فقرر أن يتركه لجديه ليقوما برعايته والتفرغ لعمله الذي أصبح غارقا فيه وأفقدته إنسانيته، أصبح لخضر يعمل تحت أوامر جعفر في عمليات القتل، وذات مرة وهم يداهمون أحد البيوت أصيب جعفر ورجاله فحمله لخضر وحاول الخروج بعد فشل العملية والفرحة لاتسعه لأنه تخلص من جعفر، وقام مسؤوله بتعينه في مكانه لإتمام العملية التي فشل فيها جعفر، وبنجاحه فيها تم ترقيته وحصل على حوافز جديدة. كان لخضر سعيدا لأنه تخلص من كل الذين يعرفون ماضيه و أصبح مع كل جريمة ناجحة يتمّ ترقيته في منصبه إلى أن أصبح نائب المسؤول عن المركز، وصار شخصية مهمة نسي فيها نفسه وابنه الذي كان يسأل عنه بين الفينة والأخرى.

إنتقل لخضر إلى دائرة أمنية جديدة باختيار من رؤسائه القدامى، بعضهم خرج على المعاش وبعضهم غادر الوطن خوفا من الموت وتصفية حسابات لم يعد فيها، خاصة بعد انتشار الارهاب والقتل والعنف في البلاد. كانت المهمة الأخيرة للخضر تصفية رئيس العمال سي منصور الذي أصبح نقابيا يطالب بالعدالة الاجتماعية، تلك العملية كانت سببا في ترقية لخضر بعد شهر إلى مدير المركز، وتلقى وسام الشرف كرجل شجاع أدى واجبه في حماية البلاد من الأعداء الافتراضيين، لخضر كان يدرك أنه لم يكن أكثر من أداة في يد المسؤولين الكبار البعض منهم خرج على المعاش والبعض توفي، فتخلص منهم واستطاع أن أن يتحول في السنوات الأخيرة إلى رجل محترم فعلا، وأصبح يرتقي بسرعة مذهلة حتى أصبح جنرال .

رتبة الجنرال جعلت لخضر يفكر أن سنوات الرعب تحتاج إلى هدنة بعدما أستطاع الحصول على السلطة، وتفكيره في السّلم والقضاء على الإرهاب، فالسّلم كان مصلحة الجميع بمن فيهم الأسياد حتى وإن لم يستسيغوا رتبته الجديدة فكانت خطته محكمة، وفي ظل سنة تراجع العنف بشكل

غريب وقلّت الاغتيالات، واستطاع إيهام الجميع أنه الأقوى والأصلح للبقاء في السلطة بتحسن الظروف الأمنية للبلاد.

وفي لحظة رفع الجنرال لخضر عينيه إلى السقف وتنهد بعمق وهو ينظر إلى الساعة، كل هذا الوقت وهو يتأمل في الملف والصورة التي أعادته إلى الماضي وفتحت جراحاته، أمام صورة ابنه الذي قاده القدر إليه ليواجهه مباشرة، شعر بالذهول وهو ينظر إلى الصورة والقدر الذي جمعهما، وفكر في الغد الذي سيكون صعبا واستثنائيا، فكيف له أن يبرر غيابه والعمر الذي مضى بالاعتذار، أيقظت الصورة عاطفته وأبوته، وجعلته يحس بالألم لأنه ترك إبنه، وهاهو اليوم يلتقيه ولا يستطيع أن يصارحه بأنه والده، جاء الموعد للقاء الضباط الجدد الذين تم قبولهم في الجيش، فوجد نفسه يبحث عن ابنه الذي كان جالسا بعيدا عنه، شعر الجنرال لخضر بالخيبة وهو يلقي خطابه ويتأمل الوجه الوحيد الذي يعنيه، وبعد انتهاءه عاد إلى المكتب وطلب من سكرتيره استدعاء الضابط حسين زرياب، وفاجأه بسؤاله عن سبب اختياره العمل العسكري، فكان جواب حسين هو حب الوطن والاخلاص للبلد، فصارحه الجنرال لخضر أن كلامه ليس غريبا على حفيد سي الطيب الذي كان يعرفه يعرفه، وكانت الصدمة عندما سأله عن والده فأخبره أنه ميت، فكانت الاجابة كرصاصة موجعة وأمره بالانصراف، تمنى لو استطاع أن يقول له أنه أمام والده وأنه لم يمت وظل ينظر إليه وهو يغادر دون أن يجرؤ على إخباره بالحقيقة.

وجود حسين زرياب جعل الجنرال لخضر يتغير، ويكون علاقة إنسانية واجتماعية مع الضباط والتقرب منهم، ويحيطهم بعناية أبوية فكان سببا ليشعروا بالولاء والطاعة له، أصبح الجنرال ينزل إليهم بحثا عن فرصة للقاء ابنه حسين والحديث معه، وكم كان سعيدا يوم التقاه بالمكتبة التي كانت خالية من القراء، فجلس معه وتبادل معه الحديث، وعرف أن لديه خطيبة فانتابه الفضول لمعرفتها فطلب تقريرا مفصلا عنه و عنها، تفاجأ الجنرال لخضر بالملف الذي جاءه في الصباح وهو يتعرف على الفتاة خطيبة ابنه، واصطدمت عيناه بصور والدها ضابط الشرطة الذي اغتالته أيادي الإرهاب وصورة أمها نجاة. لقد رفض تلك القسمة وشعر بالغضب والحزن وهو يقف على قدميه بصعوبة، وغادر مكتبه ليدخل قاعة تدريبات الضباط والجلوس في آخر الصف ومراقبتهم. كان يفكر في نجاة وابنه الذي ارتبط بابنتها، لقد كان متعبا ورغم انتهاء الحصة لم يجرؤ أحد على الحركة قبله. انتبه بعض الضباط إلى أنه ليس بخير وأنّه تعرض لوعكة لكن لم يستطع أحد الاقتراب منه، وفجأة سمع صوتا يقول له سيدي الجنرال هل أنت بخير؟ فنظر إليه، لقد كان ابنه حسين فطلب منه أن يرافقه إلى الخارج، كما طلب منه أن يتصل بالطبيب ثمّ سقط وغاب عن الوعي، ليستيقظ ويجد نفسه

بالمستشفى، لقد كانت حالته حرجة فقد أصيب بأزمة قلبية، ووجد نفسه أنّه بحاجة للراحة وبحاجة لإخبار حسين أنه والده. كان يريد أن يتصالح مع نفسه من خلال ابنه دون أن يبرر ماضيه الغريب، وما فعله للوصول إلى السلطة والمجد. في الليلة الثانية بالمستشفى زاره كبار المسؤولين مع زوجاتهم وبعض الضباط،وأصيب بالخيبة لأن ابنه حسين لم يأت معهم لزيارته، وفي صباح اليوم الثاني زاره حسين وأخبره أنه لم يأتي لزيارته لأن والدة خطيبته أصيبت بوعكة صحية ونقلت للمستشفى، وأنه اضطر للبقاء معها إلى وقت متأخر في المستشفى للاطمئنان عليها، فعرض عليه الجنرال لخضر نقلها للمستشفى العسكري، لكن حسين لم يقبل لأنه فضل أن تكون بالمكان الذي يعالج فيه عامة الناس وأنه لا يختلف عن المدنيين، فكر الجنرال أنه تغير شيء ما بداخله وتغيّر قلبه الذي غيّره الحب، وصار أكثر ليونة، وشعر بالفخر لأن ابنه لايمكن أن يؤذي أحدا، وفكر في نقل ابنه ليكون قريبا منه، فنقله إلى قسم مستحدث بالوزارة، وبدأ يفكر في إخباره بالحقيقة.

بعد خروج الجنرال لخضر من المستشفى أصبح بيته عامرا بالضيوف والضباط، كما زاره في اليوم التالي ابنه حسين مع خطيبته حياة، وتبادل معهما الحديث وتمنى لو استطاع اخباره بالحقيقة كلّها، وفي زيارة ثانية دعا حسين الجنرال لعيد ميلاد حياة، ورغم القلق والخوف والارتباك الذي أصاب الجنرال لخضر إلا أنه رافقه والتقى بنجاة والدتها التي فتحت لهما الباب واستقبلتهما في بيتها، وتبادلت الحديث مع الجنرال الذي عرف منها أنّ لديها ابن آخر اسمه رشيد قام بالهجرة غير الشرعية لايطاليا، بعد تلك الزيارة أحس الجنرال بسعادة غريبة وشعر أنه لم يعد يفكر في الانتقام، وأصبح يفكر في كتابة رسالة لابنه يصارحه فيها بالحقيقة ويتركها له بعد موته، تلك الرسالة التي قضى ليال في كتابتها حتى اكتشف أن الرسالة صارت دفترا كاملا فيها حكايته.

وذات يوم عرض حسين على الجنرال أسماء الضباط الذين أرادهم الانضمام إلى قسمه لمساعدته، فلم يعترض الجنرال وجعله رئيسا عليهم وأخبره بثقته الكبيرة فيه، فكر الجنرال لخضر هل كان سيحبه حسين ويعتبره مثله الأعلى إن علم بالحقيقة بعد قراءة الرسالة، ليأتيه خبر عاجل يخبره أنّ الضابط حسين زرياب تعرض لهجوم إرهابي، شعر بالذهول وهو يركض نحو المستشفى العسكري يفكر في ابنه الوحيد لو مات بعد أن جمعهما القدر، وعندما رأى حياة فتح لها ذراعيه وطمأنها أنه سيكون بخير وهو ينظر إلى والدتها نجاة، لم يكن مكترثا بالضباط والمسؤولين العسكريين الذين التحقوا به، وطلب التحقيق في القضية، كما طلب من الأطباء الاعتناء بحياة التي كانت قريبة من الاغماء، وطلب من والدتها أن تهدأ وتتماسك لأجل ابنتها، ثم رافقها إلى كافتيريا المستشفى، فحدثته نجاة عن حسين وعن حبها له بعدما دخل حياة ابنتها وهي تجهش بالبكاء. كان يفكر بينه وبين

نفسه هل كانت ستحبه لو كان حمالا ابن حمال وتزوجه ابنتها، لتعيده دموعها إلى جلسته وبدأ يهدأها لتقول له أنه لوكان هنا والديه لفعلا أكثر، فأصابته في صميم كبريائه وانتابه الغضب، ووجد الجنرال لخضر نفسه يعلن أمامها أنه والده، وعاتبها على الماضي حينما تركته واختارت الضابط. إنصدمت نجاة التي لم تعد قادرة على استيعاب ما يحدث فخرجت من الكافتيريا راكضة نحو غرفة ابنتها، فكرت في كل مايحدث ثمّ عادت إلى الكافتيريا لتجده جالسا يبكي، فحدثته وصارحته أنه لم يكن قدرها وأن القدر أراد أن يجمع حسين ونجاة بدلا عنهما وأن يستمرا معا، وصارحها الجنرال بالحقيقة وحكى لها الحكاية متجنبا الأشياء الصادمة مكتفيا بما يراه قابلا للحديث، كانت تصغي إليه وهي تحس بالشفقة عليه، وشعرت بالتعاطف معه وأخبرته أنها ستسانده هي وحياة في إخبار حسين بالحقيقة، فأحس الجنرال لخضر بالامتنان لها وشعر أنه لم يعد يهمه شيء سوى ابنه، وأن يشفى ويعود سالما ويعيش ويفرح بزواجه مع حياة .

تنتهي الرواية مفتوحة على الأمل باسترجاع حسين عافيته ومصارحته بالحقيقة والحلم بغد أفضل .

أولا - الأمكنة المفتوحة:

تمثلت الأمكنة المفتوحة في : المدينة، الميناء، الشوارع والطرقات، الأحياء الشعبية، ساحة الجامعة والحديقة العمومية.

1- المدينة:

وردت في ومضات سردية كفضاء فَقَدَ كل مُقومات الألفة والشعور بالانتماء، وصَوَرَتْهَا الكاتبة من خلال الأوضاع الاجتماعية المزرية، والأوضاع الاقتصادية المتدهورة للبلاد بتدني المستوى المعيشي للأفراد، وفقرهم وتفشي ظاهرة البطالة في المجتمع وكذا الأوضاع السياسية للبلاد بعد انتشار العنف والإرهاب و تعرضت لفساد الأنظمة (العسكرية)، فوردت المدينة فضاء مفتوح على القهر والحرمان والتهميش تحمل دلالات سلبية " خاصة في فترة التسعينات التي شاعت فيها الفوضى وعمّ الخراب أرجاء مدنها التي كانت عامرة ولم يبق إلا الرحيل عنها والهجرة منها بشتى الطرق"[1]، فقد نقل لنا السارد صورة المدينة التي تعيش حالة من التهميش، " كانت فرصة جيدة للشباب العاطل عن العمل كي يستفيد من التظاهرة ليشتغل مقابل مصروف كانت البلدية تمنحه لهم للمساهمة في تنظيف وجه المدينة التي ستستقبل الزوار القادمين من الخارج"[2] فالمدينة تظهر في حالة من التدهور والقبح وعملية التنظيف كانت من أجل إخفاء المظهر الحقيقي لتظهر المدينة في أبهى حلة للزائرين، " كان الوقت يسبقهم والمدينة لم تنظف بعد.. قرروا وقتها فصل العاصمة إلى جزأين بجدار يخفي الفقراء عن أعين الزوار، كان الجزء المخصص لعيون الزائرين جاهزا بكامل بهرجته ونقائه وبياضه، ولم يكن مسموحا الانتقال إلى الجزء الثاني من المدينة حتى نهاية التظاهرة التي استمرت أسبوعا.. كان بناء السور أسهل بالنسبة إليهم من تنظيف مدينة غارقة في أوساخها المزمنة..! في يومين تم بناء السور، وتحققت نبوءة المسؤولين الذين فصلوا المدينة إلى قسمين.. قسم محاط بالورد لأجل أن يبقى الاستقلال جميلا، ولأجل أن يغني الجميع أغنية الحياة في الفنادق الفخمة التي تظل على البحر، والتي يوجد في داخلها عازف بيانو محترف يعزف سيمفونيات عالمية تقول: كل شيء على ما يرام..! كل شيء على مايرام داخل أبهة السخرية التي اشترك فيها الجميع..!"[3] فالمقطع يكشف لنا الصورة الحقيقية للمدينة التي تعيش حالة من التهميش والحرمان"

[1]- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر دراسة نقدية،موفم للنشر، الجزائر، 2014، ص 230.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص 106.

[3]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 106.

فالمدينة أصبحت رمزا للضياع والاغتراب والأسى، كما أصبحت المنفى وهي الوطن"[1] الذي انتشر فيه الرعب والخوف، والعنف والقتل وفساد الأنظمة واستبداد العسكر للسلطة" في ظرف شهر أصبحت المدينة في حالة خوف شديد بعد تزايد التصفيات الجسدية، وعدد الأخبار المنشورة في الصحف عن الإرهابيين الذين يريدون الإساءة إلى النظام العام، وإن لم يكن يتم تحديد هويتهم إلا أن الأمر كان سيان بالنسبة للناس الذين فقدوا أمنهم."[2] فمن خلال هذا المقطع نستشف صورة المدينة، مدينة تعيش حالة من الرعب والخوف نتيجة انتشار العمليات الإرهابية والإغتيالات وفقدانها الأمن والإستقرار و الطمأنينة، ليحل على سكتها حالة الفزع والقلق الدائم، مدينة يعاني سكانها القهر والحرمان والألم .

[1]- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص 232.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 246.

2- الميناء:

فضاء مفتوح يتسم بمظاهر جمالية لموقعه الإستراتيجي والطبيعي بإطلاله على الساحل، وإستقطابه للعديد من الناس، إنّه مكان يتسم بالشساعةوالإتساعلإمتداده على مساحة واسعة، وهو محطّ أنظار الناس وإعجابهم، فهناك من يلجأ إليه طلبا للرزق بإعتباره مصدر قوته وعيشه، وهناك من يلجأ إليه طلبا للراحة النفسية والإستمتاع بمناظره وبالسفن الراسية عليه، وهناك من يجده ملجأ وملاذا للفرار من واقعه والحلم بعبور جسره، والهجرة إلى الطرف الآخر.

ظهر الميناء من خلال الإسترجاعوإستحضار لخضر ماضيه وذكرياته عندما كان حمالا مع والده بالميناء، تذكر أول يوم ذهب فيه مع والده لرؤية رئيس العمال بالميناء الذي وعده بتوظيفه، وقد تفاجأ عند رؤية لخضر الذي كان شابا نحيفا ولا يمكنه تحمل قساوة العمل بالميناء وأن يكون حمالا، لولا إصرار والده سي عثمان على رئيس العمال بتوظيفه فمنحه فرصة العمل بعد اختباره لمدة شهر، لخضر قدم لنا المكان كفضاء تطغى فيه سلطة الأسياد وأصحاب الثروة على الطبقة العاملة والفقيرة التي يتم استغلالها في الميناء، والتي تعمل محرومة من حقوقها وتعيش القهر والاستغلال.

لقد شكل الميناء فضاء الحلم والأمل للخضر للهروب من البلد، لكن أحلامه تبخرت لما إشتغل في الميناء، وتحول المكان إلى مصدر تعاسته وشعوره بالقهر، خاصة عندما قام بإهانته ابن الوزير خالد ولم يستطع الرّد عليه والدفاع عن نفسه سوى رمقه بعينين بائسين وحاقدة.

برز الميناء / فضاء القهر ،الحرمان ،الظلم والاستغلال / مصدر الثروة والسلطة، والاستبداد لأصحاب الثروة والأموال على حساب الفقراء المعدمين.

الميناء فضاء مفتوح على الخارج، فضاء الحلم والأمل للشباب الذين يحلمون بالهجرة ومغادرة الوطن، " ليجد نفسه يتوقف أمام الميناء فجأة. لمح باخرة كبيرة تبتعد، ورأى مجموعة من الشباب تراقب الباخرة من أعلى المكان المطل على المرسى. كانوا يراقبون البواخر بإحساس من التوحد. وجد نفسه يقترب منهم قليلاً ويطل برأسه كما يفعلون. كان المرسى مفتوحاً على مرمى البصر، ببواخره المستعدة للرحيل، وكان الشباب يتبادلون التمنيات فيما بينهم، ويحلمون بالرحيل على متن إحداها."[1] فالسارد وصف لنا المرسى الذي كان مفتوحا على الخارج وتأمُّل الشّباب للبواخر الموجودة بالميناء وحلمهم بالرّكوب على متنها والرّحيل من البلد، كما وصف لنا الميناء الذي كان محروسا

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 229.

ومسيّجا " في هذا المكان المسيج بالأسلاك، وبرائحة التربة الندية، والأحلام المجروحة في كبريائها، لم يتغير شيء منذ حلم لخضر بمثل أحلامهم قبل ألف عام !"[1].

شكل الميناء فضاء مفتوحا على نفسه وعلى الخارج، وهو ملاذ الشباب للهروب من واقعهم بتأمل المرسى،فهوفضاء الحلم والأمل بالهجرة والهروب من البلد،لم يتغير الحال ولا المكان، ونفس الحلم يعيشه شباب الجزائر وهم يراقبون مغادرة البواخر للمرسى، وأملهم في أن يتحقق يوما ما ويتمكنون من مغادرة البلد.

[1]- المصدر السابق، ص 229.

3- ساحة الجامعة:

برزت الساحة فضاء مفتوح على العنف، ومكان للتجمع وقيام الطلبة بالإضراب والمظاهرات، والإنقلاب على الأمن بإطلاق الرصاص والمواجهة معهم مما أفضى إلى الصراع والعنف داخل الحرم الجامعي وانفلات الأمور وعجز مدير الجامعة عن تهدئة الأوضاع ووقوفه مذهولا مما يجرى في ساحة الجامعة التي تحولت إلى ساحة حرب بين الطلاب الإسلاميين الذي طالبوا بالتغيير بالقوة والعنف وبتدخل رجال الأمن زادت الأمور سوء وتحولت ساحة الجامعة إلى ساحة للعنف " حتى الطلبة الذين أجبروا على الالتحاق بساحة الجامعة رددوا الهتافات نفسها بإحساس مختلف أنهم يرفعون لأول مرة أصواتهم لقول شيء بدا كبيراً وخطيراً. يومها شعر المدير بالخوف الشديد وهو يكتشف أنه وقع في الفخ ! حاول الحديث معهم مدافعاً عن منطق الحوار، لكن الأمور خرجت عن السيطرة عندما لم يرد الطلبة الاستماع إلى نداءاته، وظل يصرخ " كل شيء سيحل بالهدوء يا أبنائي. العنف لن يغير شيئاً، على العكس، سوف يزيد من المشاكل ! قالها بالصوت الأبوي نفسه، الذي تعود على مخاطبتهم به، لكنهم كانوا يهتفون بأعلى أصواتهم لا إله إلا الله والله أكبر عليها نحيا وعليها نموت، كانت أصواتهم تغطي على صوت المدير"[1] فمن خلال المقطع نستشف الصراع الفكري واختلاف الرأي والتوجه، فالمدير باعتباره رمز للوعي الاجتماعي حاول تجسيد الفكر الواعي داخل الجامعة ومحاولته تهدئة ثورة الطلبة بمنطق العقل والحوار بدل العنف، فكانت ساحة الجامعة فضاء لإبداء الرأي الآخر والخروج للساحة للإعلان عن التغيير والمواجهة بالعنف.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 152.

4- الشوارع والطرقات :

ورد الشارع من خلال الاسترجاع عبر الذاكرة ورحلة في الزمن الماضي باستحضار لخضر للماضي وذكرياته فورد تارة فضاء للتسكع وفضاء للقاء حبيبته نجاة والمشي معها عندما كان شاباً، وتارة فضاء للعنف والقهر والألم عندما تعرض للضرب من قبل الضابط علي خطيب نجاة ثم ظهر الشارع فضاء للعنف والقتل والاغتيالات عندما كان يعمل تحت أوامر الضابط جعفر. ليظهر الشارع مرة أخرى في الزمن الحاضر في ومضة سردية قصيرة فضاء للتحرر والانعتاق من انغلاق الداخل عندما خرج الجنرال لخضر من الفيلا برفقة حسين لزيارة حياة في بيتها.

الشارع: فضاء التسكع/فضاء اللقاء/ فضاء الألفة والحميمة

الشارع كان الملاذ الذي يلجأ إليه لخضر للهروب من إحباطه وتعاسته، ومن ضيق البيت ومشاكله اليومية، فقد كان يمضي وقته في التسكع والتجوال وحيدا في أزقة الشوارع، كما كان الشارع مكان اللقاء والتعرف على نجاة فتاة أحلامه، وكان مكانهما المعتاد الذي يلتقيان فيه ويمضيانه بالمشي الطويل والفضفضة لبعضهما البعض عن حياتهما وأسرتها، الشارع الحميم الذي وجد فيه الألفة والحب وتعلقه به. " ابتسم بينه وبين نفسه وهو يتخيل شكله يصاحب فتاة.. ! فتاة تصغي إليه وتخرج معه في أيام العطل.. تمشي معه وتحكي وتسمع ما يقوله.. ! كم يبدو ذلك بعيد المنال ! قالها في نفسه وهو يمشي بخطوات رتيبة بينما والده يمشي إلى جانبه صامتا.. ثم فجأة خيل إليه أنها تنظر إليه.. تلك التي كانت تتأبط محفظتها الصغيرة وتسبقه بخطوات واثقة وجريئة.. شعر أن خطواته بدأت ترتبك فجأة وهو يكتشف أنها تنظر إليه.. نظرة بدت له جميلة.. شعر بقلبه يدق بينما الفتاة تمشي بالخطوات الواثقة نفسها، ثم ابتعدت بعيدا بينما انحدر هو يمين الشارع ليدخل إلى البيت "[1] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن الشارع مكان عام مفتوح يعبر من خلاله السكان للوصول إلى بيوتهم، فهاهو لخضر يمشي برفقة والده عائدين إلى البيت وهو سارح بخياله يفكر في الحب ليتفاجأ بفتاة ترمقه وتحرك مشاعره، فتاة هزت كيانه وجعلته يفكر بها من أول نظرة. "وجد نفسه يفكر فيها بقوة ويلاحقها دون أن تنتبه.. عرف أنها ابنة بقال يسكن في نهاية الشارع الآخر "[2]نستشف من المقطع أن الحرمان العاطفي الذي كان يعيشه لخضر وهو في مقتبل العمر كأي شاب في سنه يفكر في فتاة تحبه ويحبها، جعله يلجأ إلى " الشارع الملجأ والحضن الأكثر دفئا من حضن العائلة/ الأب، فيتحول الشارع إلى هذا الخارج الذي يجعل الطفل يفلت من العنف الأبوي، ويمنحه

[1]- المصدر السابق، ص 48

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 50.

الحرية والإحساس بالذات "[1] والحب الذي لم يجده في البيت ووفره له الشارع الذي رأى فيه فتاته، فأصبح ملاذه الذي يتردد عليه ويترصد فتاته ويلاحقها دون أن تنتبه لمعرفة محل سكنها، فالحب والحرمان العاطفي الذي حرم منه ولم يجده في بيته جعله يتمسك بتلك الفتاة التي رآها في الشارع ويبحث عنها وعن الطريق الذي يؤدي إليها.

لقد شكل الشارع فضاء للقاء الحميمة والأنس بلقاء نجاة الفتاة الحلم التي رمقها لخضر وجعلته يتعلق بها من أول لقاء بها وينتظرها كل مساء بعد خروجه من العمل لرؤيتها، " فقد ظل يراها كلما عاد من عمله، في الساعة نفسها.. يصادفها تمشي بالخطوات الواثقة نفسها، والابتسامة الجميلة التي لم يكن يحتاج إلى أجمل منها ليشعر أن قلبه يدق في أذنيه، وأنه يتحوّل من شاب بائس إلى شاب مرتبك.. لم يكن يعرفها.. لا يعرف سوى ملامحها التي يلتقيها دقائق هاربة في مساء ينتظره كل يوم لأجلها "[2] فمن خلال هذا المقطع السردي نستشف أن الشارع كان سببا في لقاء الفتاة التي حركت مشاعر لخضر وعواطفه، وجعلته يترصدها في الشارع وينتظرها في نفس المكان لرؤيتها، فقد شكل الشارع فضاءً للتعارف واللقاء وهو مايظهر في المقطع السردي الذي يليه "وجد نفسه يمشي قريبا من المدرسة التي تدرس فيها فتاته/ الحلم.. اكتشف أن العديد من الشباب مثله ينتظرون قرب سور المدرسة. كل واحد ينتظر فتاة يعتقد أنها فتاته..! شعر بخوف وهو يتساءل: ماذا لو أن هناك شاباً آخر ينتظر الفتاة نفسها؟ أليس هذا دليلاً على خيبة تثير السخرية منه؟ شعر أنه بحاجة إلى تصديق الكذبة على أن يواجهها أو يعيش دونها.. انتابه إحساس بالذعر وهو يرى الفتيات يخرجن من الثانوية. كل واحدة تعرف أنها جميلة في عيني شخص جاء لأجلها "[3] فالمقطع يعكس لنا حالة الترقب والانتظار والفراغ العاطفي الذي يعانيه الشاب من خلال تعلقه بالأمل والحب الذي جاء من أجله والوقوف في الشارع أمام الثانوية بانتظار خروج الحبيبة وفتاة الأحلام. كما نلمح حالة الخوف والذعر التي انتابت لخضر وهو يرى الشباب بالقرب من المدرسة وشعوره بالحزن والخيبة وتفكيره بالانسحاب والعودة أدراجه، فالشارع كشف عن الحالة الشعورية والنفسية التي تعيشها الشخصيات. ومن خلال المقطع تكشف لنا الكاتبة عن ظاهرة اجتماعية كانت سائدة في المجتمع الجزائري ومتفشية بين الشباب الذين يجدون ملاذهم في الشارع، فيجلسون بالقرب من الثانويات

[1]- حسن المودن، الرواية والتحليل النصي قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، لبنان، ط1، 2009، ص 30.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 49.

[3]- المصدر نفسه، ص 52- ص 53.

وانتظار فتاتهم، فالشارع هو المكان العام المفتوح الذي يلجأ إليه الشباب في غياب وسائل الترفيه والتسلية ونتيجة تدهور الأوضاع الاجتماعية والمادية، فيهرعون إلى الشارع فضاء الانفتاح والتواصل والألفة للهروب من واقعهم البائس والمؤلم بحثا عن حب وعاطفة يعوضون بها حرمانهم ويحقق لهم رغبتهم بالتحرر والشعور بالانعتاق والانطلاق، " فكلما كان المكان منفتحا متحررا، كانت أحاسيس الشخصية تغمرها إما السعادة أو الأمل في تحقيق الهدف المنشود، أو على الأقل الانعتاق والشعور لبرهة بالخلاص من الحزن والخوف والاختناق"[1].

شكل الشارع حلقة وصل جمعت بين لخضر ونجاة وعاد إليه الأمل بعدما تحدثت معه نجاة وجعلته يتحرّر من خوفه وخجله ويصارحها بإعجابه بها وهذا ما يظهر من خلال السرد " كانت تبدو مستغربة وهي تراه في هذا المكان، وإن امتزجت دهشتها بابتسامتها الجميلة، ارتبك، فكاد يتعثر في مشيته.. سمعها تضحك بهدوء.. نظر إليها من جديد ووجد نفسه يبتسم. لأول مرة يكتشف أنه قادر على الابتسام ببساطة وعفوية.. توقف عن مشيته وقد زاد ارتباكه وهي تمشي نحوه بخطواتها الواثقة.. ثم عندما اقتربت منه قالت:

- هل كنت تنتظر أحدا قرب المدرسة؟
- أنا؟

وضحكت من جديد وهي تنظر إليه.. فكرت في نفسها: ياله من شخص غريب. كيف يمكن أن يحمر وجهه لسؤال سخيف كهذا؟ قال بعد صمت قصير:

- بصراحة .... أقصد أنني كنت أمر من هنا و...
- هل جئت إلى هنا لأجلي؟"[2]، نستشف من خلال المقطع أن الشارع كشف لنا طبيعة الشخصية من خلال سلوكها وتصرفاتها، وعكست لنا بلادة وخجل لخضر، وارتباكه عند مقابلته نجاة شخصية فتاة جريئة وواثقة من نفسها ومن جمالها، كما برزت لنا حالة القلق والتوتر والحزن التي بدت ظاهرة على ملامح لخضر والتي اكتشفتها نجاة من أول وهلة، وشعورها بالشفقة نحوه بعدما سألته عن سبب تواجده بالقرب من المدرسة وإن كان قد حضر لأجلها لتكتشف شخصيته من أول لقاء وشعورها بالندم لأنها شجعته بنظراتها على الإقتراب منها، وهذا ماكشفه لنا السرد من خلال الحوار الذي دار بينهما وهما في الشارع، إحساسها بالشفقة نحوه جعلها تتورط بالخروج والمشي معه في الشارع وتبادل أطراف الحديث معه عن حياتهما وعائلتهما وهما يمشيان في طريق العودة إلى البيت "

[1]- عبد العزيز شبيل، الفن الروائي عند غادة السّمان، دار المعارف للطباعة والنشر، ط1، تونس، 1987، ص55.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 53- 54.

شعر أنها خففت عنه.. يكفي أن يتحسس يدها على ذراعه ليشعر أنها خففت عنه.. سألته وهي تسحب يدها عن ذراعه:

- هل نعود...؟ أشعر أننا مشينا كثيراً.. لقد تعبت اليوم.. !

وأحس بتأنيب الضمير. لم يدعُها قط إلى مطعم أو إلى قاعة الشاي كما يفعل أي شاب لفتاته الجميلة. لم يكن لديه المال، ولم تطالبه بشيء، كانت تبدو مكتفية بالمشي معه.. تتكلم وتسمع.. ويتكلم ويسمع.. أحيانا تدعوه إلى كيس من الذرة تدفع ثمنهمن مصروفها اليومي. يرتبك قليلا قبل أن يمد يده إلى الكيس ليأكل بنهم أمام ابتسامتها.."[1]

فالمقطع يكشف لنا أن الشارع مكان اللقاءات كل مساء، وشعور نجاة بالتعب نتيجة التسكع في أزقة الشارع وكثرة المشي الذي كان دافعا للفضفضة والشعور بالانطلاق، كما أن المكان ينمّ عن الألفة، كما يصف لنا طبيعة الشخصية وحالة الجوع من خلال أكل الذرى الذي كانت تشتريه نجاة، فالمشهد يعكس لنا حالة الحرمان و الجوع الذي كان يعانيه لخضر والفقر التي حرمه من دعوة فتاته إلى مطعم أو قاعة شاي، وشعوره بالعجز والقهر أمام واقعه البائس وهو برفقة فتاة أحلامه التي تعبت من المشي والتسكع معه في الشارع.

شكل الشارع فضاء للقاء والألفة بالتسكع وتمضية الوقت بالمشي والفضفضة وعكس مظاهر العلاقة التي ربطت بين نجاة ولخضر، فالشاب تعلق بالحب الذي وجده في فتاته التي أشعرته بوجوده وشفقة نجاة والعطف عليه وخوفها فيما بعد من ردة فعل العائلة إن اكتشفوا أمرها واتخاذها قرار إنهاء علاقتها به .

الشارع /فضاء العنف والقهروالانكسار:

شكل الشارع فضاء الانكسار والخيبة بعد افتراق نجاة عن لخضر ونهاية اللقاءات الحميمة والحكاية الجميلة. فبعد ظهور الضابط علي خطيب نجاة، كان الفراق والغياب لتجمعهما الصدفة فيلتقي لخضر بنجاة وهي برفقة خطيبها في الشارع ويقوم بمناداتها باسمها، الأمر الذي أغضب خطيبها وانهال عليه بالضرب فتحول الشارع إلى ساحة للعراك بين طرفين غير متوازيين ضابط وبائس فقير ولم يستطع أحد التدخل لانقاذ لخضر من بين يديه وشعور لخضر بالانكسار والهزيمة أمام الضابط وشعوره بالقهر والألم والحزن على ماألمّ به. " شعر لخضر بخيبة وهو يرى شحوبها ونظراتها الغاضبة والضجرة معا.. حاولت أن تجر خطيبها بعيداً، لكنه ناداها باسمها: ((نجاة !)).. صعد الغضب إلى وجه خطيبها الذي التفت نحوه وانهال عليه بالضرب دون حتى سؤاله عما يريد، ووجد

[1]- المصدر السابق ص 58.

لخضر نفسه يحمي وجهه من الصفعات بيدين مرتعشتين، وإذ بصوتها يصله مليئاً بالذعر وهي تجذب خطيبها وتقول:

- أرجوك توقف وإلا ستقتله.. توقف، ألا ترى أنه يثير الشفقة؟!
- زاد غضب خطيبها وهو يصيح به:
- كيف تجرؤ على مناداتها باسمها أمامي يا كلب.. !

كان لخضر مذهولا من الموقف كله، حتى وهو يشعر بشيء ساخن بدأ يسيل من أنفه، مسحه براحة يده إذا به دم. نظر إلى نجاة التي جرت خطيبها من ذراعه وأبعدته عن المكان بعد أن التم عدد من المارة حولهم."[1] فمن خلال السرد نستشف أن الشارع فضاء مفتوح على العنف اللفظي والمعنوي والجسماني ولقاء الشخصيات ومواجهة الآخر،فتحول الشارع الحميم إلى ساحة للعراك وعدم توازي طرفيها، كما نستشف الحالة النفسية والشعورية للخضر في المقطع الذي يليه " ظل لخضر مسنودا إلى الجدار مرتبكاً أمام أعين المارة المذهولين مما حدث.. مسح آثار دم سال من شفتيه.. لم تؤلمه اللكمات التي سقطت على وجهه بقدر ما آلمته الجملة التي قالتها نجاة لتهدئة خطيبها: ألا ترى أنه يثير الشفقة؟ !شعر بألم شديد يخترقه حتى العظم. انتابته رغبة غريبة في البكاء وهو يتحسس آثار الضرب على وجهه.. يا إلهي، قالها وهو يغطي وجهه بين يديه ويجهش بالبكاء.. !"[2]فالشارع باعتباره مكان للعبور جمع الأحبة، لكن هذه المرة كان لخضر الطرف الضعيف والخاسر الشاهد على خيبته وانكساره أمام الضابط خطيب نجاة وإحساسها بالشفقة عليه، وكشف لنا السرد عن الشارع وانفتاحه على الألم والهزيمة بالنسبة للخضر الذي أحس بالضعف وانهزامه أمام الضابط علي وحالة القهر والانكسار والألم .

الشارع: انفتاح على الموت /فضاء العنف والأعمال الاجرامية /القتل والاغتيالات

شكل الشارع فضاء للترصد وممارسات العنف التي هددت الحياة، وأصبح لخضر أداة إجرامية في يد مسؤوليه، أصبح ينتقل مع الضباط ليلاً للقيام بالمهمات التصفية، ف"تحول الشارع بفعل العنف من مكان حركة وتنقل لمزاولة الحياة، إلى مكان للقهر والموت "[3]، وأصبح لخضر يحضر في العمليات الترصد والمراقبة مع الرجال ونصب الحواجز المزيفة في الشارع والطرقات للضحية في سبيل الترقية والوصول إلى مجد السلطة . " نزل الرجال من السيارة في عتمة الليل، كان المكان خالياً ومعتماً.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 89- ص 90.

[2]- المصدر نفسه، ص 90.

[3]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 38.

شعر لخضر بالرعب من جهله لما يدور حوله، قال يخاطب الرجل الذي كان جالساً بجواره طوال الطريق:

- هل ممكن أن تشرح لي ماذا سننتظر؟
- اسأل السي جعفر !"[1] فمن خلال المقطع نستشف أن الشارع فضاء للترصد والترقب، وجعفر ورجاله في الطريق يترصدون الضحية ليلاً في طريق خال ومعتم للقيام بالعملية بعيدا عن الأنظار ، وهذا ما يتضح من السرد "قال جعفر يخاطبهم بصوت حاد:
- هل وصل؟

قال أحد الرجال الثلاثة على الفور:

- نعم هناك حاجز أمني غير بعيد من هنا، وسوف ننصب حاجزاً هنا ليكون الأمر بديهياً !
- بسرعة !

لا يذكر لخضر كيف تم نصب الحاجز بتلك السهولة واليسر، فلم يكن الرجال بحاجة إلى حواجز كانت موضوعة غير بعيدة من المكان، وكان الأمر يوحي بأنه حاجز أمني روتيني. تلك..."[2] يكشف لنا السارد عن صورة الشارع ليلا وتحوله إلى فضاء للترصد والترقب من خلال الأحداث التي جرت فيه ليلا وحالة الشخصيات وهي تترقب المكان في الطريق المفتوح على الخوف والرعب، وحالة الترقب والقلق الذي أصاب الجميع وهم يترصدون الضحية بعد وضع الحواجز الأمنية والمزيفة، فضاء مفتوح على العنف وهو ما يكشفه الحوار الذي جرى بين رجال جعفر والطرف الآخر وشعورهم بعد اطلاق الرصاص المتبادل ، كما يعكس لنا المكان صورة الشارع الذي أصبح مسرحا للاغتيالات من خلال الحواجز المزيفة وانتظارها للضحايا ، كما يكشف شعور الشخصيات خاصة لخضر وشعوره بالرعب وهو يشارك في العملية .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص243

[2]-المصدر نفسه، ص 244.

5- الحي الشعبي:

الحي الشعبي المكان الذي عاش فيه لخضر طفولته، فهو "يعتبر من أماكن الطفولة الأولى، مثله مثل رحم الأم، والبيت الأول. ومثل هذه الأمكنة تتسم بالدفء، والحنان، والسلام، والمحبة. ومن هنا تبقى عالقة في الذاكرة، أطول مدة ممكنة، لأنها هي البدء، وهي أصول الأمكنة الأخرى."[1]، الحي فضاء الطفولة والانتماء وهو المكان الذي يحوي البيت الذي كان يقيم فيه لخضر مع عائلته. " ككل يوم وككل مرة، يعود إلى البيت غير آبه بشيء..مطأطئ الرأس لئلا يلمح عيون شباب الحي الذين تعوّد على عدم الاحتكاك بهم..

- الاحتكاك مفسدة مطلقة لشاب مثلك !

يقولها والده كلما سنحت الفرصة ليذكّره ألا وقت ليصاحب أحداً، وكان يتمنى في قرارة نفسه لو كان له صديق حقيقي يشاطره أحزانه وآلامه كما يفعل أي شاب في مثل سنه.. أو صديقة..؟"[2]

يتضح من خلال المقطع أن الحيّ الشعبي مكان عام مفتوح على الخارج، وشباب الحي يجلسون بالقرب من منازلهم نتيجة العطالة ولعدم وجود أماكن ترفيهية يذهبون إليها لفقرهم ولتدهور حالتهم الاجتماعية والمادية، فكان الحي فضاءهم الذي يلتقون فيه ويتسامرون، فهو بالنسبة لهم فضاء الأنتماء و الألفة والأنس والمكان الذي يجلس فيه شباب الحي للترويح عن النفس بالحديث والاحتكاك مع بعضهم البعض، وهذا مالم يقبله والد لخضر ومنعه من مجالستهم ومحادثتهم بحجة أن الاحتكاك مفسدة ولا منفعة منها، فكان لخضر وحيدا دون أصدقاء من الحي، وهذا ما نلمحه من تصرف لخضر عند دخوله الحي وهو مطأطئ الرأس حتى يتجنب شباب الحيّ والحديث معهم كلما عاد إلى البيت. وفي مقطع آخر يظهر الحي فضاء للترصد وانفتاح على العنف عندما تعرض للضرب على يد الضابط علي الذي قام بضربه ولم يشف غليله منه، " وبعد نوبة من البكاء مشى مترنحاً عائدا إلى البيت ليتفاجأ بالضابط ينتظره عند مدخل الحي مع شخصين كانا يرتديان اللباس الرسمي. شعر بالخوف حين طلب منه بطاقته الشخصية كما يفعل مع أي مشتبه به.. دس يده داخل جيب سترته الداخلي وأخرج البطاقة. ناولها إلى الضابط الذي أمسكها دون أن ينظر إليها.. قال بصوت لا يخلو من حقد:

- أعتقد أنك تعرف ماذا فعلت؟
- لا أعرف !

[1]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص52.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 48.

- بل تعرف أيها الجائع.. تعرف جيداً !"[1] فالمقطع يكشف أن الحي فضاء للترقب والترصد وهذا ما يتضح من خلال وجود الضابط بالمكان وانتظاره للخضر بمدخل الحي الذي يقيم فيه لخضر ، كما يظهر كذلك أن الضابط استغل رتبته لإذلال لخضر وهو برفقة صديقيه عند مدخل الحيّ، فالحي كشف عن سلوك الشخصيات واستغلال الوظيفة التي تمثل القوة والسلطة لقهر لخضر بإهانته وإذلاله بشتمه وأخذ أوراقه الثبوتية وضربه في الحيّ أمام الملأ.

" ظل ينظر إليه مذهولاً قبل أن ينطق بصوت أراده صادقاً:

- نجاة مثل أختي.. !

نطقه باسمها ثانية جعل الضابط يفقد أعصابه.. انهال عليه ضرباً، وكان لخضر يحمي وجهه بكلتا يديه، وعندما شعر الضابط أن لخضر نال ما يستحقه تركه وسط الطريق يتلوى من الألم.. بعض الذين رأوا المشهد بدوا في حالة ذهول كبيرة، لكن لاأحد سيقول أنه رأى ضابط شرطة ينهال بالضرب على شخص ظل يخفي وجهه لتجنب اللكمات.. كان الجميع يعرف أن سلطة الضابط هي الأقوى، وأن الشاب الملقى على الأرض ليس ضحية، بل شخص لم يكن عليه أن يوجد في طريق شرطي في حالة استنفار..! "[2] نستشف من المقطع أنّ الحي الهادئ تحول إلى فضاء مفتوح على العنف بوجود الضابط وفرض القوة والسلطة باستغلال وظيفته في إلحاق الأذى بلخضر، وعجز المارة من التدخل خوفا من السلطة، فالكاتبة تعكس لنا من خلال هذا الموقف تعنت السلطة في استغلال نفودها والقمع الذي تفرضه على الأفراد وعجزهم الدفاع عن أنفسهم خوفا من السلطة القهرية .

كما ظهر الحي الشعبي فضاء للشوق والحنين بعد مرور الزمن ليجد لخضر نفسه يقصد الحي الذي عاش فيه طفولته وشبابه " وفجأة فكر في شيء شعر أن عليه القيام به لأجل نفسه، لأجل ذاكرته الموجوعة، ولأجل قلبه الكئيب ! لأول مرة منذ سنين يجد نفسه يذهب إلى حيه القديم. هل يمكن أن يتعرف عليه أحد لو رآه اليوم؟ لن يعرفوه فقد تغير كثيراً. صار أكثر قسوة في نظرته إلى الآخرين."[3] نستشف من المقطع أن حالة الاحباط والتعاسة والوحدة التي كان يعاني منها لخضر جعلته يقصد حيّه القديم بعد مرور سنوات، " هل تغير الحي كما تغير هو؟ ... قالها في نفسه وهو يدخل الحي بخطوات أرادها واثقى وثابتة. استغرب وهو يرى الكم الهائل من المحلات التي لم يتوقع وجودها هنا."[4] نستشف أن

[1]- المصدر السابق، ص 90.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 91.

[3]- ياسمينة نفسه، ص 195.

[4]- المصدر نفسه، ص ن.

الشوق والحنين للحي الذي تربى فيه لخضر هو الذي جعله يمر على المكان وهو في حالة من اليأس، وشعوره بالحزن والخيبة والوحدة، دخوله إلى الحي جعله يكتشف تغير الحيّ الذي تغيرت ملامحه بوجود المحلات الجديدة التي لم تكن موجودة من قبل.

6- الحديقة العمومية:

تعتبر الحديقة العامة من الأمكنة العمومية التي تقصدها العائلات للتسلية والترفيه بتمضية الوقت خارج البيت والقضاء على الرتابة والضجر.

كما أنّها تعد فضاء عام مفتوح على المحيط الخارجي يقصده الناس للترويح عن أنفسهم، وتمضية الوقت بعيدا عن ضيق الداخل، وهروبا من الضغوطات النفسية، ومشاكل الحياة ورتابتها باعتباره من أمكنة الألفة ومكانا أنسيا تتحقق فيه الطمأنينة، فهي مكان تحيط بها المناظر الخلابة، وتوفر المناظر الطبيعية التي تحقق الشعور بالراحة والأمان، لقد وردت الحديقة من خلال إسترجاع لخضر لذكرياته وإستحضار ماضيه، فظهر المكان بعد رحيل لخضر من بيته وانتقاله للعمل كحارس ليلي في المستودع، فكانت الحديقة الملجأ الذي يرتاده، والمأوى الذي ينام فيه نهارا، يجلس في مكان منزو بعيد عن أنظار الناس لينعم بالهدوء والراحة والنوم فيه، وقد ورد في ومضة سردية قصيرة " لم يذهب إلى البيت منذ شهر.. كان يرتاد إحدى الحدائق العامة ويفترش جريدة في زاوية هادئة وينام متعباً، متجاهلاً الضجيج الصاخب.. فجأة وجد نفسه يتعود على تلك الحالة التي حولته إلى متشرد ينام في الحديقة صباحاً ويعمل حارسا في الليل..! لم يشعر أن عليه الذهاب إلى البيت، لأنه لم يشعر أنه ترك شيئاً مهما عليه أن يتفقده..!"[1] دلالة على حالة التشرد، والتشتت والضياع لعدم وجود المأوى الذي يلجأ إليه ويحميه من الخارج بعد رحيله عن بيت والده، وشعوره بالألفة نحو المكان وتعوده على الحديقة واتخاذها ملاذا ينعم فيها بالطمأنينة والنوم في إحدى زواياها .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 98- 99.

ثانيا - الأمكنة المغلقة: وقد شملت العديد من الأمكنة والتي تمثلت فيمايلي :

1- الفيلا :

تظهر الفيلا في الصفحة الأولى للرواية كمكان يقيم فيه السّيد الذي يظهر فيما بعد أنّه الجنرال لخضر بطل الرواية والذي من خلاله نتعرف على الأمكنة، تظهر الفيلا كفضاء للوحدة والعزلة، فهو مكان يعيش فيه الجنرال لخضر وحيدا ويقوم بخدمته كل من الخادمة العجوز والخادم، مايميّز الفيلا من الداخل أنّها خالية من المرايا وهذا ما نكتشفه من خلال السرد والحوار الذي دار بين الخادم والسّيد " عندما استيقظ صباحا وجد نفسه يريد النظر إلى وجهه ! طلب من خادمه إحضار مرآة، وبقي الخادم يبحلق فيه صامتا ومرتبكا، قبل أن يقول بصوت مليء بالحيرة:

- سيدي.. ! أنت من أمر بنزع المرايا من الجدران والأمكنة .. ! أنت من أمرنا بعدم ترك مرآة واحدة في البيت.. !

نظر إلى خادمه وهو يشرح له أمرًا بدا له خطيرًا ! لا مكان للمرايا في البيت؟ ألهذا الحد كره نفسه؟ تظاهر بعدم الاكتراث بما سمعه ووجد نفسه ينظر إلى وجهه على زجاج النافذة.. زجاج عكس له وجهًا لا يعرفه. مجرد تقاطيع متشابكة وعينين محاطتين بهالة سوداء قاتمة وشعر هزمه البياض من كل جهة. لعله ارتبك قليلا أمام عينيه. ارتبك وهو يبتعد خطوة نحو الخلف."[1]

فمن خلال هذا المقطع تظهر صورة البيت من الداخل وبعض ملامحه ومكوناته كالنوافذ والشخصيات التي تقيم فيه، فيظهر أنه مكان للإقامة والسكن التي يعيش فيها الجنرال لخضر ومن يقوم بخدمته، وتعتبر المرآة من مؤثثات البيت الجمالية التي لا يستغنى عنها، وهذا ما ينتفي في بيت الجنرال الذي أمر بنزعها، فالمرايا تعكس الصورة التي أمامها كما هي على حقيقتها لذلك أمر لخضر بنزعها من جدران البيت وهذا دلالة على هروبه من مواجهة ذاته التي طالما طمس حقيقتها وهويتها الحقيقية التي لايعرفها أحد غيره، فهو يهرب من مواجهة نفسه بعدما دفن لخضر البائس وماضيه والذي يكشف عنه فيما بعد من خلال استرجاعه لذكرياته واستحضار ماضيه. يظهر البيت من خلال ظهور شخصية الجنرال الذي وجد نفسه بعد مرور زمن طويل يريد أن يرى نفسه وينظر إلى وجهه الذي نسي تفاصيله، فتكشف لنا عنه بقدر ما يكشف عنها، فنجد أنّ البيت يعرف خواء ووحشة كما يعكس لنا علاقته بالخدم التي تحكمها الصرامة والتي تظهر من خلال الحوار الذي جرى مع الخادم وحالة الإستغراب والدهشة عليهم من التغيير المفاجئ الذي طرأ على شخصية الجنرال الذي تعودوا على وجهه العبوس ليجدوا أمامهم شخصا آخر غريبا في تصرفاته، كما يعكس لنا البيت

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص9.

حالة الهدوء وويصف لنا حالة شخصية الجنرال وملامحه العبوسة، الجنرال الذي إستغرب صورته التي عكستها له زجاج النافدة وجه لا يعرفه وشعوره بالارتباك. فالبيت كشف لنا عن الشحصيات المتواجدة فيه وحالتها وملامحها وبعض من صفاتها وطباعها، كما أن الفيلا تعكس الحالة الاجتماعية والمستوى المادي بوجود الخدم، ومن خلالهم تظهر بعض تفاصيل نمط العيش والحياة، فهذا المكان" يمثل البيت كفضاء للسكن، يجسد قيم الألفة بامتياز. ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجوده الحميم، يحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمة تظهر صورة البيت وكأنها أصبحت طبوغرافية وجودنا الحميم"[1]، كما تظهر حالة الاستقرار والطمأنينة التي تسود في الفيلا، وحالة الألفة رغم الوحدة التي تعيشها الشخصية البطلة (الجنرال) والتي تظهر من خلال المقطع السردي "فكر بينه وبين نفسه: لا بد أن الجميع حائرون بسبب مزاجه المفاجئ، والتغيير الذي طرأ عليه منذ استيقظ من النوم. حتى إنه قال صباح الخير للخادمة التي دخلت عليه تحمل صينية القهوة. ذهلت وهو يقول لها بصوت هادئ وبسيط:

- سأشرب قهوتي في الصالة.. !

قالها وهو يصوب نظرته نحو النافذة: يبدو اليوم مشمسًا.. لقد حل الربيع أخيرًا ! ولم ينتظر من خادمته العجوز تعليقا، كان يكفي أن يرى ملامحها من انعكاس زجاج النافذة ليفهم تلك الدهشة التي أبقت فمها مفتوحا للحظات قبل أن تأخذ الصينية وتخرج مهرولة.. ! لبس بذلته الخضراء الأنيقة وخرج إلى الصالة بخطوات أقل حدة.. كأنه ليس هو.. كأن شخصا آخر تقمصه ليلعب دورا مختلفا عن الدور الذي طالما أدّاه بطريقته الخاصة التي جعلت الجميع يخافون من مجرد النظر إليه .. يخافون من خطواته مثلما يخافون من صوته.. جلس يرتشف القهوة مستمتعا بزقزقة العصافير في هذا الصباح المشرق، وعندما انتهى نهض نحو السيارة التي تنتظره في الخارج "[2] فالفيلا اسمها كاف للدلالة عليها كمكان فخم وواسع، يشي برفاهية صاحبها، كما تكشف عن نمط العيش والرفاهية وعن طبيعة الشخصيات وسلوكاتها، كما تعكس علاقاتها فيما بينها، وعن الحالة النفسية والشعورية التي امتزجت بين الرهبة والخوف، والقلق، وحالة التفاؤل والهدوء، كما تظهر الحالة الاجتماعية والمكانة المرموقة للجنرال وهيبته وسطوته في المكان.

[1]- محمد بوعزة ، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 106.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 10.

وفي مقطع سردي آخر تظهر الفيلا من الداخل في الفصل26 حيث تظهر كمكان للقاء والألفة وقبلة للزائرين ومن بينهم الضابط حسين زرياب وخطيبته بعد خروج الجنرال من المستشفى، فيكشف لنا السارد عن بيت الجنرال والأحداث داخل الفيلا باجتماعه مع الضيوف منهم الوزراء وأصحاب المصلحة،وبوجودهم أصبح البيت الساكن يعج بالحركة وحديث الضيوف وشعور الجنرال بالضيق وعدم الارتياح، وكشف لنا السارد عن العلاقات الحقيقية التي جمعتهم في بيته " خروجه من المستشفى ملأ البيت بالضيوف. زاره كل الذين يرون في الزيارة فرصة سانحة للحصول على دعم لأجل مكاسب أغلبها خاصة، حتى الوزراء زاروه ليتمنوا بقاءه في منصبه عن حاجة إلى خدماته وليس إليه،كانوا يرون في صداقتهم الوهمية معه جسر عبور إلى السلطة المطلقة،....ذلك أصبح يسمى البزنس في لغة العصر. السلطة مقابل المال، والمال لأجل السلطة، لا فرق! كان يشعر أنه غير راغب في إطالة زيارة أحد منهم له، لهذا استقبلهم بحضور طبيبه الخاص الذي ظل يذكرهم بحاجة المريض إلى الراحة والهدوء ! يجد في طبيبه واقيًا جيدًا ليتخلص من زواره دون نظرة حقيقية إليهم"[1] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن الفيلا فضاء للقاء والزيارة، كما كشفت عن المشاعر الحقيقية للشخصيات وعن حالة النفور للجنرال لبعض الضيوف وعدم رغبته في إطالة زيارتهم بحضور طبيبه الخاص، كما يكشف لنا المكان وتواجد الوزراء عنده على مكانته في المجتمع ونفوذه وسلطته، وهذا ماجعله محل طمع زياره التي عبر عنها السارد بالبزنس، ومن جهة أخرى كانت الفيلا جسرا للتواصل مع الضباط واللقاء بابنه حسين والتعرف على خطيبته والتقرب منهم وشعوره بالغبطة والسعادة واحساسه بالفرح والألفة، ويظهر هذا من خلال المقطع التالي " فقط الضباط الذين جاءوه جماعيًا أسعدوه. وجاءه ابنه في اليوم التالي يحمل إليه ورودا جميلة، ليكتشف أنه لم يكن لوحده، بل كانت ترافقه فتاة جميلة وخجولة في ابتسامتها وفي عينيها، وخفق قلبه وهو يراها.. نجاة؟ قالها في نفسه والشاب يقترب منه بارتباك واضح وهو يقول:

- سيدي الجنرال، خطيبتي حياة أصرت على أن ترافقني لتطمئن عليك !"[2]

فمن خلال المقطع نستشف أن الزّيارة أضفت على الفيلا الألفة والحميمية، وأدخلت البهجة والسرور على الجنرال لخضر واحساسه بالعطف والحب لابنه وكانت فضاء للتعرف على خطيبته وإحساسه بالدهشة عند رؤية حياة التي تشبه كثيرا نجاة والدتها التي أحبّها في شبابه، فقد شكلت الفيلا فضاء للتعارف والحميمية بتبادل الحديث والأنس واستيقاظ مشاعر الأبوة وتفكيره في إخباره بالحقيقة وهذا ما يظهر من خلال المقطع التالي: " فكر أنه لن يقدر على قول الحقيقة أبدا بهذا العري الفاضح، وأنه

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 302

[2]- المصدر نفسه، ص 302- ص 303.

سيضطر إلى الكذب لأجل بلوغ هدفه دون أن يتنازل عن كرامته المتبقية ! فكر في ذلك وهو ينظر إلى الحديقة من نافذة غرفته، كان البستاني يرش الزهور التي رآه قبل أيام يغرسها وبدت وكأنها تتفتح بسرعة لا تحتمل التأجيل. كان لونها أصفر بهيًا، ورائحة التربة تصله حميمة. فكر أنه تغير فعلاً، وأن تغييره يشفع له كل ماحدث من قبل ! فكر أن قلبه لم يعد يصلح للكراهية بعد أن دخله ابنه وفتح شبابيكه على مصراعيها."[1] يتضح من خلال المقطع أن الفيلا يحيط بها من الخارج الحديقة التي تضفي على المكان الجمال والتي يعتني بها البستاني، فمن خلال المنظر الطبيعي للزهور والورود الذي يشرح النفس ويجعلها تتفائل، وإن كان لونها أصفر الذي هو دلالة على التعب والمرض والإرهاق، فالمنظر الطبيعي الذي ينظر إليه الجنرال من داخل الفيلا عبر النافذة جعله يستحضر حقيقته التي دفنها في ذاكرته ويشعر بأبوته،وجد نفسه يهيم في تفكيره باخبار ابنه الحقيقة ولو بطريقته المعتادة وتلوينها بالكذب، كما يكشف المكان قلق وخوف الجنرال بالرغم من تفائله بدخول ابنه حياته وقلبه، ابنه الذي حرك فيه مشاعر الأبوة وايقاظ إنسانيته التي قتلها في سبيل الوصول إلى المجد والسلطة .

وهناك مقطع سردي أخير يصف لنا السارد الفيلا من الخارج وكشف لنا عن شعور الجنرال وإحساسه " تنهد بعمق وهو يدخل سيارة حسين أمام أعين الحراس الذين بدوا مذهولين وهو يطلب منهم عدم مرافقته، ابتسم حسين بسعادة وهو ينطلق بالسيارة بعيدا عن الفيلا الفخمة المليئة بالأسلاك !

هل ينكر لخضر أنه كان سعيدا وقتها والسيارة تنطلق به بعيداً عن ذلك السجن الرسمي الذي سكنه؟ شعر بنشوة والسيارة تنحشر وسط السيارات العامة."[2] يتضح من خلال هذا المقطع الصورة الكاملة التي تظهر أن بيت الجنرال هو عبارة عن فيلا فخمة وواسعة يحيط بها الحراس ومسيجة بالأسلاك وهذا دلالة على الثراء والرفاهية من جهة ومن جهة أخرى نجد بعض من مظاهر الفيلا المسيجة بالأسلاك وتبدو كقلعة محاطة بالحراس من كل جانب وهذا دلالة على الخوف من الخطر المحدق من الخارج وللحماية من الأعداء، كما نستشف من المقطع الحالة الشعورية للجنرال وإحساسه بالسعادة وهو يخرج من الفيلا التي صورها السارد كأنها سجن رسمي سكنه وكذا شعور حسين وإحساسه هو الأخر بالسعادة بابتعاده عن الفيلا عاكسا ما" يثيره المكان من إنفعال سلبي أو إيجابي في نفس الحال فيه"[3]، فكلاهما كان سعيدا بالخروج من الفيلا التي كانت تبدو كالقلعة المحصنة وإحساسهما بالفرح لتواجدهما مع بعض.

---

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 305.

[2]- المصدر نفسه، ص 309.

[3]- مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998، ص 109.

2- بيت عائلة حياة:

هو عبارة عن شقة في الدور الثالث في عمارة بحي شعبي تسكنها نجاة وابنتها حياة، بيت يفتقد رب الأسرة الذي كان ظابطاواغتالته أيادي الإرهاب، بيت تعيش فيه أم فقدت زوجها وابنها رشيد الذي قام بالهجرة غير شرعية إلى إيطاليا، لقد وصف لنا السارد البيت من خلال موقعه وبعض ملامحه وكشف لنا عن الشخصيات التي تقيم فيه وعن الأحداث التي جرت داخله بعد قبول الجنرال دعوة عيد ميلاد حياة خطيبة حسين، كما نقل لنا السارد حالة القلق والإرتباك التي عاشها الجنرال قبل وبعد ذهابه إلى بيت نجاة التي أحبها في شبابه وكانت سببا في هجر عائلته وفي تغيير مسار حياته. وهذا ما نستشفه من خلال المقاطع السردية التالية: " وعندما خففت السيارة من سرعتها زاد ارتباكه والشاب يقول: وصلنا ! لتنحدر السيارة نحو اليمين وتدخل إلى حي شعبي وتتوقف بالقرب من بوابة عمارة. نظر حسين إلى لخضر وقال بصوت مهذب:

- وصلنا ياسيدي !

خرج بخطوة ذكرته أنه لم يعد شاباً ولا يافعاً ! صعد درجات السلم الرخامي الذي يؤدي الدور الثالث،واعتذر حسين لجنراله أن العمارة ليس بها مصعد ! ولم يرد لخضر بشيء. هل يحتاج المرء إلى المصاعد لبلوغ الكارثة؟ ! قالها وهو يستند إلى قلبه المتعب ويصعد!"[1] من خلال هذا المقطع نستشف بعض المظاهر المكانية لبيت حياة كما يكشف لنا المكان حالة التوتر التي تعيشها شخصية الجنرال من اكتشاف هويته من طرف نجاة وشعوره بالقلق كلما إقترب من البيت، كما تتضح أن عاطفة الأبوة وحب الجنرال لحسين ابنه جعله يقبل زيارة بيت حياة رغم حالته الصحية المتعبة والإرهاق الشديد الذي يعانيه والذي يظهر من خلال تثاقل خطواته وصعوده السلالم التي كانت فضاء للشعور بتأنيب الضمير وخوفه من قساوة العقاب. وفي مقطع آخر ينقل لنا السادر الحالة الشعورية لحسين وسعادته بزيارة حياة وبرفقته الجنرال الذي كان بين الحياة والموت يتعارك مع مخاوفه وهواجسه متمنيا انتهاء الليلة على خير "كانت خطواته أقل ثقة مما تمنى، ودقات قلبه أكثر فوضى وهي تتآمر مع ارتعاشة يديه. تساءل في سره: هل تبقت فرصة للهرب؟ توقف حسين أمام باب الشقة، ونظر إلى جنراله بابتسامة سعيدة. تنفس لخضر بعمق وهو يراه يضغط على جرس الباب، وانتظر ممسكا قلبه بين يديه، متمنيا أن تنتهي الليلة سريعاً وإلى الأبد.. عندما فتح الباب، توقع أن يجد نفسه أمام الفتاة التي جاء ليبارك لها ميلادها السعيد، وإذ به أمام امرأة وقورة متوشحة بالسواد ومبتسمة بواجب الابتسامة لقادمين واحد تعرفه والثاني تجهله !

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 310.

- شرفت بيتي جنرال ! تفضل رجاء.

قالتها وهي تشير إليه بالجلوس، بينما جلس حسين بالقرب من فتاته السعيدة.

ياه. كل هذه السنوات لأجل أن يتفضل بالجلوس على أريكة على حافة الذكرى."[1] فمن خلال المقطع نرى فرحة حسين وسعادته بزيارة بيت حياة مع الجنرال، إنه المكان الذي حرك المخاوف التي طالما هرب منها لخضر وحاصرته أفكاره وجعلته يشعر بالقلق والخوف وهو أمام باب الشقة وتفاجئه بنجاة والدة حياة التي لم يتوقع أن تفتح هي الباب ليستكين روعه بعدما استقبلتهم ودعتهم للدخول والجلوس. بيت نجاة شكل فضاءًا للقاء بنجاة بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة من الزمن، وبفضل دعوة حياة ومرافقته لحسين يلتقي بها مرة أخرى رغم الخوف والقلق الذي انتابه. " لسبب غريب انتابه إحساس من الوجع وهو يتذكر أنها آذته من حيث لا تدري. أم أنها كانت تدري؟ سمع حياة تقول فجأة وكأنها تعيد انتباهه إليهم:

- أنا ممتنة لك حضورك عيد ميلادي يا سيدي، رغم تعبك ومشاغلك.
- أشكري خطيبك الذي خطفني إلى هنا.

قالها وهو يحاول أن يبتسم دون جدوى، وإن ضحك خطيبها ضحكة سعيدة لفت الفتاة بحالة من الغرور وهي تنظر إليه بعينيها الجميلتين."[2] فمن خلال المقطع نستشف أن البيت جمع الأسرة وكشف عن سعادة حسين وحياة، ومن جهة أخرى كشف لنا المكان عن شعور لخضر بالامتنان لابنه وحياة التي جمعته بنجاة رغم شعوره بالوجع والخيبة. فالسارد وصف لنا كيف جمع البيت الشخصيات من خلال الزيارة لحفلة العيد الميلاد التي كانت خالية من البهجة والفرح.

"- أتمنى أن تكون أمورك الصحية قد استقرت، فقد أحزنني أنك تعرضت لوعكة صحية.

قالتها نجاة فجأة وهي تنظر إليه نظرة هادئة. تململ في مقعده قبل أن يرد بصوت عميق:

- شكرا لك، وكان من المفروض أن أسألك أيضاً عن وضعك الصحي بعد الوعكة التي تعرضت إليها أيضاً !.
- أنا بخير.. شكرا لك !

هل هذا هو الحوار الذي تمنى أن يدور بينهما بعد كل تلك السنين؟ كان غريبا قبالة امرأة غريبة. امرأة تعتقد أنها مثالية لأنها مازالت ترتدي السواد على رجل سرقها منه قبل سنين."[3] يكشف لنا المقطع عن

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 310.

[2]- المصدر نفسه، ص 311.

[3]- المصدر نفسه، ص 311- ص 312.

اللقاء الذي جمع لخضر بنجاة بعد مرور سنوات، ليكون اللقاء في بيتها العائلي وشعور لخضر بالحسرة والأسى، كما يتضح من خلال السرد أن البيت يعمه الهدوء والطمأنينة، ويعكس لنا الحزن والألم الذي تعيشه العائلة بعد فقدان رب الأسرة من خلال السواد الذي ترتديه نجاة، الصورة التي أيقظت في الجنرال "لخضر" الماضي وجعلته يحس بالخيبة .

التواجد في بيت نجاة جعل لخضر يتأمل ويتألم من الوضع الذي وجد فيه نفسه، جالسا على مقعد يتبادل الحديث والحوار مع نجاة عن الصحة والأبناء والبلد، حديث لا يخلو من الرسميات، ورغم ذلك فزيارة بيت نجاة أحيت فيه مشاعر الأسرة وعاطفة الأبوة. " تمنى لو يسألها: كيف حالك؟ وتمنى أن تقول له: أين كنت طوال تلك السنين؟ لكن حوارهما ظل رسمياً، خاليا من البهجة، ومليئاً بحكايات المرض والعمر الذي يتسرب من بين اليدين كخيط من الرمال. ذلك الحوار الممل جعل حياة تستأذن لتحضر شيئا للضيوف، ووقف حسين معها ليقول " سأساعدك" كأنه يمارس شيئاً حفظه عن ظهر قلب. كان واضحا أنه يتصرف في هذا البيت بحرية مطلقة، فقد تبعته نظرات نجاة بابتسامة دافئة قبل أن تقول أخيراً:

- هذان الشخصان مصدر سعادتي !

قالتها بابتسامة يعرفها، وعينين ينط منهما بريق يعرفه بقلبه، كأنها كانت تتكلم مع نفسها عن فكرة عبرت رأسها.

- منذ رحيل والدها وأنا أحاول أن أغطي غيابه قدر الإمكان، خصوصاً بعد أن سافر شقيقها "الرشيد" إلى الخارج بحثاً عن حياة أفضل !"[1]

نستشف من المقطع أنّ البيت فضاء للقاء والاجتماع، وفضاء للألفة والحميمية، ويظهر ذلك من خلال حالة الانسجام والتوافق بين حسين وحياة، وشعور نجاة بالسعادة بوجوده في حياتهما، وكذا شعور حسين بالإرتياح والحرّية، كما أن البيت يعكس العلاقة الحميمة والحب الذي تكنهنجاة لخطيب ابنتها حسين، كما أنّه من خلال الأحداث التي جرت بالداخل نستشف الأجواء التي تبدو عائلية، وهادئة يعمها الأنس بتبادل أطراف الحديث والحوار الذي من خلاله إكتشف لخضر حياة الأسرة وشعور نجاة بعد فقدان الزوج وافتقادها لابنها الذي هاجر بطريقة غير شرعية لإيطاليا، كما كشف لنا السارد عن تأثير المكان على الجنرال وأفكاره التي جعلته يتذكر الماضي وشعوره بالخيبة، كما يفصح لنا البيت عن بعض القيم المعنوية والاجتماعية السائدة فيه .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 312.

شكل بيت نجاة بيت العائلة التي تفقد رب الأسرة نتيجة الإرهاب وهجرة الابن إلى الخارج هربا من الواقع المأساوي للبلد ولتحقيق طموحه وآماله في بلد آخر، بيت نجاة بيت متواضع وهادئ رغم الحزن والأسى الذي يخيم عليه وهو رمز للبيت العائلي الجزائري البسيط.

" -لقد مررنا جميعاً بالكارثة !

-أعرف ! مر بها كل الناس. ليس ثمة بيت لم يفقد شخصا عزيزاً عليه. كان قدراً مؤلماً علينا جميعاً، والمهم ما سيأتي من أمل في الحياة على شكل ابنتك و... حسين.

كاد يقول ابني، وتمنى أن يقولها. فكر أن الحوار يأخذه إلى جهة لا يحبها، وأنه بدأ يشعر بالتعب وهو في جلسته الخالية من البهجة.

-أجل، إنهما الأمل الذي تبقى لنا !

-أملك المتبقي أكبر. فأنت لديك ابنتك وخطيبها، و"الرشيد" الذي سيعود ذات يوم إليك !

-لديك حسين أيضا !

قالتها وهي تنظر إليه، وخيل إليه أن شيئا وقع على رأسه وآلمه.

تنحنح وهو ينظر إليها بحثا عما وراء جملة بدت له مقصودة. أضافت وهي تبتسم بهدوء:

-وجودك اليوم دليل أنك تحب حسين، وأنك تعتبره ابنك، فأنت لن تأتي إلى بيت لا تعرفه لو لم تفعل ذلك إرضاء لشخص تحبه !"[1] نستشف من خلال المقطع أن البيت وكأنه الرقعة الجغرافية للوطن الذي ألمّت به المآسي والأحزان والآلام "فالبيت ليس مجرد مكان أو تجسيد للأحلام، بل قد يشي برائحة الأهل والأحبة"[2] و يكشف لنا عن مشاعر الشخصيات وخوالجها وما يعتريها من أفكار وأحاسيس، وهذا ما يظهر من خلال نجاة ولخضر وحلمهما بغد أفضل بوجود حياة وحسين أملهما في الحياة فهما رمز الجيل الجديد الواع والمثقف ومشعل الغد المحب والمخلص والوفي لبيته ووطنه، ومن جهة أخرى تأثير المكان على نفسية لخضر وافصاحه عن العلاقة الوطيدة التي يكنها لابنه حسين وشعوره بالقلق من الجلسة التي عبّرت عن التعب والإرهاق بدل البهجة والفرح .

وفي مقطع آخر يصف لنا السارد بعض ملامح الإحتفال بعيد الميلاد، والجلسة التي جمعت العائلتين، "دخلت حياة ممسكة بصينية مليئة بكؤوس العصير بينما كان حسين ممسكا بصينية مليئة بأنواع الحلوى. نظر إلى ساعته نظرة آلية وهو يبتسم من قلبه. كم مضى من الوقت. لم يكن عيد الميلاد عيداً

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 313- ص 314.

[2]- نجلاء علي مطري، الواقعية السحرية في الرواية العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص 401.

للشموع، بل للحديث الذي لم يتوقعه بسيطا وعفويا. كان يسمع أكثر مما يتكلم، وعندما حان وقت المغادرة وقف دون سابق إنذار. شعر أنه بحاجة إلى النوم العميق بعد يوم مجهد. أمام الباب شكرته الفتاة بصوت سعيد:

- شكرا على حضورك يا سيدي.

قال بصوت أراده مقنعا:

- قولي لي عمي لخضر لنبقى أصدقاء.. !

قالها وهو ينظر إلى نجاة مبتسما. خيل إليه أن وجهها أصبح شاحباً فجأة. كان واقفا قبالتها، يتأمل وجهها الذي بدا قريباً فجأة، كاد يقول شيئاً لكنه أدار ظهره وخرج."[1]نستشف من المقطع جماليات البيت بإرتباطه بمفهوم العائلة والأسرة التي يفتقدها لخضر، والألفة والحب والبساطة والعفوية التي ملأت أرجاء البيت، إنّه فضاء يشي برائحة الأحبة مفتوح على الأمل والحب والعطف. فعيد الميلاد على بساطته أدخل البهجة على لخضر وعدم إحساسه بالوقت الذي أمضاه معهم رغم مرضه وتعبه، ففي هذا البيت تغيرت نظرة لخضر للحياة وأثرت فيه الزيارة التي جعلته يعود إلى إنسانيته ومصالحة ذاته

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 314.

3- بيت عائلة لخضر(بيت الطفولة):

إنّه البيت الذي عاش فيه لخضر طفولته وظل محفورا في ذاكرته ظهر من خلال الإسترجاع وإستحضار لخضر لماضيه عندما كان في المكتب ووقع بين يديه ملف ابنه **حسين زرياب**وبالنظر إلى صورته عادت به الذاكرة إلى الماضي وأرجعته إلى الوراء أكثر من ثلاثين سنة. "يشكل البيت إذن مستودع ذكريات الإنسان، إنه بيت الطفولة الذي يتحول مع مرور الزمن إلى "يوتوبيا" أي مكان يحلم الإنسان بالعودة إليه. في هذا السياق النفسي تتخذ الأبعاد الهندسية للمكان طابعا ذاتيا وخياليا، ويتحول المكان من شيء أي جماد إلى رمز وفكرة، وينتفي بعده الهندسي. البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكثيف الخيال. عندما يبتعد الإنسان عنه يظل حاضرا في ذاكرته، يستعيد ذكراه ويحن للعودة إليه، لأنه يسقط على الكثير من مشاعر الحنين والاحساس بالحماية والأمن"[1].

بيت طفولة لخضر هو بيت فقير ومعدم عاش فيه حياة بائسة، لم ينعم فيه بالسعادة والفرح، بيت وجد فيه أمه مريضة وتعاني، يسمع أنينها وألمها ويعجز عن مساعدتها لفقرهم ولصغر سنه، فالسارد يكشف لنا عن هذا البيت البائس والفقير الذي فقد فيه والدته وأخته وحرمانه من الحب والعطف والرعاية وشعوره بالوحدة والعزلة والتعاسة " لكم شعر باللاجدوى وقتها.....! ثم مامعنى الجدوى أساسا؟ فهو لم يختر في حياته شيئا.. لم يختر وضعه ولا العائلة التي عاش فيها وكبر. لم يختر أمه التي اكتشف مع الوقت أنه لم يعرفها تماما. فقد توفيت وهي تضع أخته الصغرى إلى الحياة.. كان في العاشرة من عمره عندما ماتت أمه بعد أسبوع من الولادة العصبية. ماتت بسبب نقص في الرعاية.كانتتحتاج إلى طبيب لم يستطع والده أن يأخذها إليه.. كان يسمع أنينها ليلاً، ويرى في الصباح شحوبها وجفاف صدرها من الحليب. يومها، طلب من أبيه أن يفعل شيئاً، لكنه تفاجأ به ينهال عليه بالضرب صارخاً فيه:

-لا ينقصني إلا أن تملي علي واجباتي يا ابن الكلب. أمك تحتاج إلى الدواء والغذاء لتشفى، أين لي بالمال لأشتري لها كل ذلك؟ أين لي بالمال..؟؟"[2] من خلال هذا المقطع نستشف بعض ملامح البيت الذي يقيم فيه لخضر، كما نستشف الوضعية الاجتماعية والحالة المزرية التي تعيشها العائلة، بيت فقير ومعدم يعاني سكانه الحاجة والمرض والألم، كما يكشف لنا البيت عن ملامح الشخصيات التي تسكن فيه، فالوالدة مريضة تحتاج الراحة والعناية، والأب المسؤول عن العائلة فقير وعصبي، وطفلة صغيرة تحتاج الحنان والرعاية والإحساس بالأمان، والابن البكر لخضر، فالمقطع يصور لنا البيت من الداخل من خلال الشخصيات التي تقيم فيه والأحداث التي تجري فيه، فالشخصيات تكشف عن البيت وحالته

[1]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص 106.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 19- 20.

المتدهورة بقدر مايكشف المكان عنها وعن سلوكاتها وحالتها النفسية والاجتماعية وتأثيره عليها، "يتذكرها كما لو ماتت البارحة. يتذكر جسمها النحيف وابتسامتها التي لم تكن تفارقها قط، ونشاطها في البيت حتى في حالة المرض.. يتذكر وجهها الذي كان يعيده إلى البيت كل يوم، ويجبره على الإصغاء والطاعة لينجح ويحمل العبء عندما يكبر.. فهو الابن البكر الذي ستعود إليه مسؤولية الأسرة كلها. كان يصدق في وجهها تلك الأكاذيب الصغيرة والجميلة عن الغد والنجاح والفرح، والمستقبل.. أمه نقيض مطلق عن والده. لم يكن والده سيئا، بل كان حازما لأنه كادح، ولأنه بائس وفقير.. لا وقت لديه ليفتح أحضانه المتعبة لأحد. كان يعود منهكاً وشاحباً. يرتمي على الفرشة الأرضية البالية وينام نوماً مليئا بأنين التعب اليومي الخالي من اليقين.. تلك الصورة أشعرته أن عليه أن يكبر بسرعة ليحمل المسؤولية ويأخذ نصيبه من العبء. لكن موت أمه أشعره ألاّ وقت للغد، وأن النجاح كذبة لا يمكن لمثله أن يجتهد لأجلها، ولأنه لا يعرف ماذا سيصنع بها إن تحققت..! "[1] فالسرد يكشف لنا عن بيت الطفولة، البيت القديم الذي تربى وعاش فيه لخضر طفولته البائسة، ووصف لنا ملامح هذا البيت من خلال الشخصيات التي تقيم فيه، ووصف بعض مظاهره من خلال بعض أثاثه الذي تمثل في الفرشة الأرضية البالية التي تنم عن الفقر وسوء الأوضاع المادية للعائلة ، كما وصف لنا أوضاع الأسرة من الداخل و ربط البيت بالأم مصدر الحب والحنان للخضر فهي الحضن الدافئ ووطنه وملجأه، وبموتها ماتت أحلامه وزادت تعاسته بوجود أب صارم وحازم خاصة بعد زواجه مع امرأة أخرى، فأصبح البيت مصدر تعاسة وحزن وشقاء.

كما يكشف لنا السارد من خلال بيت طفولة لخضر عن العلاقة الأسرية من خلال زوجة الأب المتسلطة التي كانت تسيء معاملة أخته الصغيرة ولا تحتمل وجوده معها، وعن القلق والتوتر وحالة الإضطراب الذي كان يعيشه البيت العائليبوجودهم معا في بيت واحد " وعاد بعد أسبوع حاملا معه امرأة قال له أمامها:

- هذه أمك الجديدة !

لم يعلق.. ظل صامتاً، حتى وهو يرى "أمه الجديدة" تسيء معاملة أخته الرضيعة وتنهرها حين تبكي، وتشتكي منها لوالده الذي لم يكن يعلق كثيراً سوى بنفس العبارة ذاتها:

- احتملها ولك الأجر عند الله !

ولم تكن لتحتمل أحداً، ولا حتى والده حين تدخل معه في شجار ينتهي بخروجه من البيت غاضباً، ليعود في آخر الليل بمزاج سيء، منتظرا أية رد فعل من ابنه ليهجم عليه بالضرب ويفرغ ما في جوفه من غضب

[1]- المصدر السابق، ص 20.

ومن استياء.. !"[1] فمن خلاله نستشف أن البيت فضاء للكآبة والقلق والتوتر والاضطراب وهذا ما تكشفه لنا شخصياته، فالأب بسبب الزوجة المتسلطة التي تفرض وجودها في البيت، وتثير المشاكل والمناوشات بوجود ابنته الرضيعة ولخضر معهما تحت سقف البيت جعل الأب يسلط جام غضبه على لخضر بالضرب رغم صغره، فالمشهد ينقل لنا صورة البيت الذي فقد توازنه وألفته وحميميته ،وتحوله إلى فضاء للعداء وشعور الأب بالنفور منه، فالبيت بدل أن يكون مصدر هدوء وإستقرار تحول إلى مكان ضيق يسوده الاضطراب، كما وصف لنا السارد علاقته مع إخوته " كان يشعر بالألم مما يخلفه الضرب من ضغينة صامتة كبرت بينه وبين أبيه وعتاب ظل ينخر العظام.. مسؤوليات والده ازدادت مع مرور الوقت، بعد أن أنجبت زوجته ثلاثة أبناء احتلوا مكانه وفرشته ووجوده في البيت.. شيئا فشيئاً سكنته المسافة إزاء إخوته الذين حرصت أمهم على إبعاده عنه، وكان يبتعد عنهم برغبة في الابتعاد. فقط أخته الصغيرة من ارتبطت معه بذلك الشعور المبهم والإحساس المشترك باليتم..أخته التي أصيبت بالحمى فجأة، وظل الجميع يتفرج عليها.. كان في السابعة عشرة، عندما خسر أخته "[2] من خلال هذا المقطع نستشف أن البيت طفولة لخضر يشي "بسوء أحوال ساكنيها، بيوت تمثل الفقر والبؤس"[3] وقد إزدادت أعباءه بازدياد عدد أفراده، وشعور لخضر بالنفور من البيت، وإحساسه بالعداءوالكراهية لإخوته من أبيه الذين أخذوا مكانه بالبيت، فها هو البيت مرة أخرى شَاهِدٌ على موت أخته الرضيعة وإحساسه بالعجز، والألم وهو يخسر أقرب الناس إليه أخته الوحيدة التي تركتها أمه بعد وفاتها.

البيت بالنسبة للخضر فضاء اليتم والحرمان المادي والمعنوي، إنّه فضاء الوحدة والمعاناة والألم والتعاسة. بيت فقد فيه الفرح والأمل، بيت عاش فيه معزولا منبوذا من زوجة أبيه وأبنائها، فبالنسبة له بيت الطفولة هو فضاء لليتم والقهر والحرمان، ومصدر أحزانه وآلامه وتعاسته، فهو بيت يفتقر للحب والمودة،وبوجود والد متسلط يشعره بفشله في كل لحظة يتواجد فيه أمامه، وهذا مايظهر من خلال حوار والده مع زوجة أبيه بخصوص بقائه بالبيت " لقد تحول في نظره إلى عالة يجب التخلص منها في أقرب وقت. قالت زوجة أبيه بصوت ضجر:

- يجب أن تجد حلاً لابنك، لا يمكن أن يكون عالة على البيت بهذا الشكل!
- لكن الشغل غير متاح. أنا أعرف ظروف البلاد أكثر منك. الشغل غير متاح، لو شفت عدد الشباب في سنه وهم يتسكعون في الشوارع بلا عمل !

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص21- ص 22.

[2]- المصدر نفسه، ص 22.

[3]- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، ص 86.

- لا يهمني.. إما أن يشتغل أو يرحل... !

- أفكر في تشغيله في الميناء معي "[1] المقطع يشي بالعديد من الدلالات الاجتماعية والنفسية والشعورية، فالشخصيات تعيش حالة مزرية،كما نستشف الأوضاع الاقتصادية للبلد وتفشي ظاهرة البطالة التي يعاني منها الشباب، كما يكشف لنا عن تشنج العلاقة الأسرية بوجود لخضر في البيت وعدم تحمل زوجة الأب بقاءه معها، وهذا ما يكشفه الحوار الذي جرى بين الأب وزوجته، وحالة القلق والتوتر التي تسود في البيت بوجود لخضر العاطل، مكوثه جعل زوجة الأب تطلب من والده النظر في أمره وتخيره بين العمل أو الرحيل حتى تتخلص من وجوده معها بالبيت، كما نستشف أن زوجة الأب احتكرت البيت لها ولأبنائها وفرضت سيطرتها فأصبحت الآمرة الناهية في البيت ولا تحتمل وجوده معها وتعتبره فاشلا وعالة على الأسرة، الأمر الذي دفع الأب بالبحث عن عمل له بالميناء للتخلص من المشاكل والمشاحنات اليومية التي يلاقيها كلما عاد ليرتاح في بيته"بإعتباره السكن الذي يقضي فيه الإنسان فترات زمانية طويلة"[2] طلبا للراحة والسكينة والنوم بعد يوم شاق من العمل بالميناء.

من خلال السرد يظهر واقع البيت العائلي وأحواله فهو بيت فقير وبسيط، بيت منهار يخلو من الحب والدفء العائلي الذي عادة مايمنحه لساكنيه " ففي البيت نشعر بالدفء لأن الخرج بارد"[3] وموحش ، لذلك البيت بالنسبة للوالد مأوى للنوم والراحة والحماية من الخارج، وكذلك الحال بالنسبة للخضر بعدما أصبح يعمل حمالا بالميناء فلا يعود للبيت إلا للخلود للراحة والنوم" كان يعود إلى البيت غير قادر على فعل شيء سوى الارتماء على فرشته البالية والاستغراق في نوم متعب "[4]. نستشف من خلال هذا المقطع أن البيت أصبح الملجأ والملاذ للنوم والراحة بعد العمل الشاق بالميناء. وفي مقطع أخر يصف لنا السارد شعور لخضر بالإنكسار والخيبة وهو يحرم من راتبه وإفتقاده للعطف والإهتمام من والده الذي لا يهتم لأمره ولا يهمه سوى الحصول على راتبه.

"تمنى لخضر لو يسأله كأي أب يسأل والده البكر: ماذا تحتاج لأفعله لأجلك يابني؟ لم يسأله قط ماذا ينقصه؟ لم يقل له قط: عليك أن تشتري حذاءاً جديداً بدل حذائك الممزق هذا.. لم يشتر له والده شيئاً منذ سنين، وعندما توظف لم يستطع أن يشتري شيئا لنفسه، كلما فكر في ذلك يوقفه صوت والده:

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 24.

[2]- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة، ص 85.

[3]- المر جع نفسه، ص 89.

[4]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 30.

- إخوانك بأمس الحاجة إلى المال.. أنت كبرت وصرت رجلاً تستطيع أن تتحمل، بينها هم صغار !"[1]

وفي مقطع آخر يعكس لنا البيت علاقة لخضر بأبيه ومشاعره وحالته النفسية وشعوره بالضغينة " كما لو أنه ليس ابنه.. لم يسأله قط ماهي مطالبك؟ أو ماذا تريد وما لا تريد من هذه الدنيا؟ هاهو يقترب من الثالثة والعشرين من العمر، خالياً من الدفء الذي يحلم به شخص في سنه إزاء حياة تبدو له يوما بعد يوم فارغة ومهولة تصنع من البؤساء بؤساء، ومن السعداء سعداء.. ! لطالما تساءل متى سيشعر والده بمطالبه أيضا ! متى يستوعب والده أنه ليس مجبراً أن يصرف على أشخاص يعاملونه بحيادية لا تخلو من كراهية مبيّتة، فلم يكن يشعر بشيء نحو إخوته، مثلما لم يكن إخوته يشعرون بشيء نحوه.. كان شخصاً غريباً بينهم، تعودوا عليه عن حاجة تسد الثقوب اليومية داخل مطالبهم الدائمة.. لم يقل له أحد يا أخي كما يمكن لأخ أن يقولها لأخيه بعفوية حارة، ربما لأن أمهم لم تترك بينهم مكانا للحب، فقد سدّت كل الأماكن المحتملة وملأتها بالضغينة التي صنعت منه غريباً في بيت يأتي إليه كل مساء لينام فقط !"[2]فمن خلال المقطع نستشف أن البيت خال من الدفء العائلي ونلمح تفكك الروابط الأسرية وخلوها من القيم المعنوية، فهو " أشبه مايكون بفضاء غريب، فقد كل مقومات ألفته، وكف عن منح أحاسيس الانتماء"[3] وشعور أفرادها بالضغينة والحقد والكراهية، وهو ما جعل لخضر يحس بالإنكسار وبالضغينة لكل ما يحيط به وعلاقته باخوته تشوبها الغيرة والحقد والكراهية وعدم تواصله معهم، وهم بدورهم يكنون له النفور والعداء، فيظهر أنه بيت يفتقد التواصل والتفاهم والمودة، كما نقل لنا السارد صراعه النفسي وتأزم الأوضاع بينه وبين والده بسبب الراتب وخاصة بعدما أخذ جزءً من الراتب الذي تحصل عليه وأراده لنفسه لشراء ملابس تجعله يظهر لائقا أمام فتاة أحلامه، موقفه جعل والده يعتبر ذلك عصيانا وتمردا عليه وأراد معاقبته على ذلك بعدما أصبح لايعطيه الراتب كاملا، الحادثة جعلت البيت في حالة توتر وقلق واضطراب وانعكس ذلك من خلال موقف أفراد الأسرة منه " عاد إلى البيت. كانت زوجة أبيه تنظر إليه بعدوانية مخيفة، بينما رمقه والده بنظرات مليئة بالغضب. كان إخوته الثلاثة ينظرون إليه كما لو أنهم يشاهدونه لأول مرة... ! فكر في نجاة.. ماذا ستقول عندما تراه بلبسه الجديد..؟ ابتسم بينه وبين نفسه، ولعل ابتسامته ظهرت على وجهه فقد سمع صوت أبيه يقول غاضبا:

---

[1]- المصدر السابق، ص 36.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص44.

[3]- شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص 113.

- لن تصبح محترما حتى لو لبست أغلى الثياب.. ستبقى بائساً وخبيثاً دائما.. !

نظر لخضر إليه وطأطأ رأسه وهو ينزع سترته الجديدة ويضعها قرب فرشته بلطف متظاهرا باللامبالاة..

كان يعرف أن والده غاضب. لكنه شعر أنه لم يأخذ سوى حقه الذي لن يتنازل عنه بعد اليوم... !

فكر السي عثمان أن عليه بالانتقام من ابنه ليعيده إلى الصراط المستقيم، فلم يشف غيظه بالكلام الذي قاله له أمس."[1] فالمقطع يكشف لنا عن الجو العائلي داخل البيت ويصف لنا ملامح الشخصيات وتصرفاتها وحالة العداء نتيجة تصرف لخضر براتبه، فوصف لنا السارد مايجري داخل البيت وحالة العداء والنفور وتأزم الأوضاع بين الأب وابنه، فالابن سعيد بملابسه الجديدة وفرحه بما اشتراه لأول مرة من راتبه في حين أفراد العائلة مغتاظين من تصرفه وكذا والده الذي اعتبر ذلك تمرد وعصيان يستحق العقاب عليه، هذه الحادثة كان لها تأثير كبير على مجرى السرد وعلى حياة لخضر الذي لم يعد يلتقي بنجاة وشعوره بالحزن والقهر والإنكسار وتأزمت الأوضاع وتسارعت الأحداث بعدما تعرض للضرب على يد خطيبها الضابط علي وسبب له أضرارا جعلته يبقى بالبيت لفترة نتيجة الحالة الصحية والحالة النفسية التي وصل إليها" عاد إلى البيت يمشي بصعوبة كبيرة كمن يخرج من معركة خاسرة.. دخل إلى البيت صامتاً وعندما رآه أبوه شهق:

- ما الذي جرى لك؟

رد بلا رغبة في الحوار:

- وقعت في الشارع وأنا راجع إلى البيت !

قالها واستلقى بصعوبة على فرشته لكنه، لم ينم.. كان جسمه يؤلمه وكان قلبه ينز دماً.. !

حالة نفسية قريبة إلى الجنون تلك التي تملكته لأيام طويلة."[2] فقد وصف لنا السارد الحالة النفسية التي مر بها لخضر وهو بالبيت واللحظات الرهيبة التي مرّ بها وعدم شعوره بالارتياح، ف" حتى البيت الفضاء الأكثر خصوصية، يكف عن منح الشعور بالتوازن الذاتي وينقلب إلى زنزانة اختيارية، أو في أحسن الحالات إلى ملجأ من الرعب الخارجي"[3] فها هو لخضر بعد مرضه يمكث بالبيت الذي لم يجد فيه الراحة والسكينة بل زادت حالته سوءاً وتدهورت أوضاعه النفسية " أسبوع وهو يهلوس بكلمات غامضة، يضحك أو يبكي، ولم يشعر والده أن عليه أن يزجره، منذ أخبره بعض شباب الحي أن صهر السي نوح هو الذي اعتدى عليه بالضرب. كان الجميع يعرف السبب دون أن يتفوه به ! لم يكن مكوث لخضر في

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 80- 81.

[2]- المصدر نفسه، ص92.

[3]- شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، ص 127.

البيت ممتعا لا له ولا لزوجة أبيه الغاضبة باستمرار وبلا سبب.. كانت تثير ضجيجا غريبا طوال الوقت.. تستفزه أحيانا بعبارات عامة وجارحة يدرك أنها موجهة إليه، لكنه لم يكن يعنيه كل ذلك، فقد اختلطت الصور في مخيلته.. !"[1]يتضح من خلال المقطع أن البيت أصبح متوترا بمكوث لخضر بالبيت من خلال تصرف زوجة أبيه، وشعورها بالضيق والاختناق وعدم إرتياح لخضر باستفزازها له بكلماتها الموجهة له، وشعوره بالإحباط والإنكسار بعدما فقد الأمل في الحب وإنتهاء اللقاءات بفتاة أحلامه وشعوره باليتم من جديد، وشعوره ب" الرغبة في الهروب من المكان والنفور منه وقطع الصلة معه ومع أهله"[2]، وبتغيير عمله من الميناء وجد السبب والدافع للرحيل من البيت وعمن سببوا له الألم والحزن، وكانت تلك آخر مرة يرى فيها بيته ووالده بعدما أخبره بقراره بالرحيل دون رجعة .

بيت لخضر رمز للبيت العائلي المحروم من الحب المعنوي والمادي و الذي اختلت موازينه بوفاة الأم ووجود زوجة الأب، فمن خلال البيت عكست لنا الكاتبة الحالة الاجتماعية المتدهورة للأسرة وقيمها السائدة فيه من خلال الشخصيات التي تقيم فيه بطبيعتها وسلوكاتها وحالتها النفسية داخل البيت الذي تعيش فيه كأسرة واحدة وتحت سقف واحد والذي عكس ما يختلجها وأفكارها وصراعها النفسي بتواجدها فيه، لذلك انصب اهتمامها بما يجري داخل البيت من أحداث والعلاقات التي تربطهم وحالتهم النفسية والاجتماعية ولأن " الإكتفاء بوصف المظهر الخارجي للبيت مهما كان هذا الوصف موضوعيا، لا يمكن أن يستوفي الدلالة الكاملة فيه، من مظاهر الألفة والحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات فالبيت هو امتداد لها، ووصفه هو وصف لها"[3]، وبيت لخضر هو بيت " الطفولة الملتصقة بجلده، أو هذا الماضي الذي يسكنه والذي يحمل دلالات التشرد والقلق والحرمان"[4] المادي والمعنوي، والشعور بالغربة.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 92.

[2]- حسين فيلالي، السمة والنص السردي –دراسة-، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 84.

[3]- محمد عزّام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 23.

[4]- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص232.

4- بيت سي نوح:

بيت العائلة البسيطة ومتواضعة يقيم فيه سي نوح مع زوجته وبناته الثلاث الكبرى زهرة والوسطى سلمى والصغرى نجاة، بيت سي نوح بيت يعبر عن الرابطة الأسرية والعائلة المتماسكة التي تهتم بالأعراف والتقاليد وإهتمام الأب بأفراد أسرته وحرصه على إسعادهم رغم حرمانه من أن يكون له ولد من صلبه يرثه ويحمل إسمه، يسعى جاهدا بتربية البنات وتزويجهن للتخلص من أعباءهن، كما وصف لنا السارد بعض القيم الاجتماعية والانسانية السائدة فيه والرابطة الأسرية التي تجمع أفرادها.

بيت السي نوح بيت هادئ يعرف أفراده الاستقرار والطمأنينة يعمّه الاحترام المتبادل والتفاهم وتسود بينهم روابط الحب والألفة. " كان نوح يحب هذا النوع من الشباب، ولا يخفي أنه يتمنى أن يرزقه الله بولد يشبه لخضر في كفاحه.. قال له بعض الناس: لا تقلق ياسي نوح، سيكون لك الولد آجلاً أم عاجلاً.. أنت طيب ولن يخذلك الرحمن أبداً.. كان يتلقى هذا الكلام كعزاء لا يمكن الوقوف أمامه بأكثر من الصمت، لأنه يريد الولد، ولأنه يخشى أن يموت فجأة دون أن تتحقق له هذه الأمنية.. فهو يشعر أن الناس سوف يطمعون فيه إن لم ينجب الولد، وسيطمعون في بناته لأجل أن يرثوا تلك الدكانة الصغيرة "[1] فالمقطع يعكس لنا البيت الذي يحوي البنات فقط، وما يختلج الشخصيات التي تقيم فيه من خلال الحالة الشعورية لسي نوح وتفكيره في مستقبل بناته، فالكاتبة من خلال هذه الشخصية تعكس لنا حالة الأسر التي تحلم أن يكون لنا الإبن الولد من صلبه يحمل إسمه و يحمل المسؤولية عن أبيه بعد وفاته، ولأن سي نوح ليس لديه سوى الفتيات فإنه يفكر في مستقبلهن وفي تزويجهن بمن يستحقهن لا طمعا فيهن وفي دكانه التي يمكلها، وهذا ما يظهر من خلال السرد وحوار السي نوح مع لخضر عندما زاره في دكانه، فقد كشف لنا السارد بيته من خلال الشخصية وعرض لنا المكان من خلال هذه الشخصيات التي تسكن فيه والأحداث التي تجري داخله، وكذا القيم السائدة فيه.

" فقد تقدم إليه منذ شهرين عريس يطلب يد ابنته الكبرى "زهرة".. كان مسرورا كأي أب يتمنى أن تتزوج بناته، ومستعدا لقبول طلبه، سأله ذلك السؤال الروتيني:

- ماذا تشتغل يابني...؟

فرد الشاب بصوت لا يخلو من صراحة:

- في الحقيقة لا أشتغل شيئاً، لكني أتمنى بعد الزواج أن تعطيني فرصة الوقوف معك في الدكان.. لن تجد أأمن من زوج ابنتك.. ! "[2]

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 50- ص 51.

[2]- المصدر نفسه، ص 51.

فالمقطع يكشف لنا عن الحالة الشعورية وطبيعة شخصية نوح من خلال تفكيره ورفضه للعريس الذي تقدم لزهرة خوفا من أن يكون طامعا فيه وفي ابنته لأنه ليس له وريث يرثه بعد وفاته، فبيته لا يوجد فيه إلا البنات فقط ولشدة تعلقه بهن وخوفه عليهن يريد أن يطمئن على مستقبلهن بتزويجهن بمن يناسبهن، كما تطرح الكاتبة من خلال بيت السي نوح قضية الزواج والعنوسة.

" لم يكن نوح من النوع الذي يفرض آراءه على أسرته. كان يحب أن يحترم طريقة الجميع في التفكير، طالما لا يتعارض ذلك مع مبادئه الخاصة ومع التقاليد التي يعتبرها جزءاً من سمعة الإنسان. لهذا لم يجد في استمرار نجاة بدراستها تناقضا مع مبادئه، بالرغم من أن أختيها كانتا تشعران بالغيرة من نجاحها ومن جمالها وجرأتها.. كان إقبال العرسان على طلب يد نجاة أكثر من إقبالهم على طلب يد أختيها، وكانوا جيدين في نظره ، لكنه رفضهم جميعا قائلا لهم: نجاة ما تزال صغيرة وتريد أن تكمل دراستها أولاً.. ! لكنه لم يكن يقدر كأي أب طيب أن يزوج ابنته الصغرى على حساب أختيها الكبيرتين.. !"[1] من خلال المقطع نستشف أن بيت السي نوح نموذج للبيت العائلي الذي يسود فيه الاحترام المتبادل و القيم الاجتماعية، كما أن تفهم الوالد ينم عن علاقة الأب بأبناءه التي تسودها الحب والألفة، بيت يتمسك بالمبادئ والأعراف وتقاليد الأسرة بعدم تزويجه البنت الصغرى قبل أختيها، لكن بعدما علم السي نوح بعلاقة نجاة مع لخضر شعر بالغضب وبخيبة الأمل من تصرف ابنته ووصف لنا السارد في مقطع سردي آخر الأجواء المتوترة التي سادت في البيت واضطرابه ودهشة أفراد الأسرة وحالة القلق والخوف التي إنتابت الأم وبناتها " أغلق دكانه وصعد إلى البيت ركضا.. ! كان في قمة هيجانه وهو ينادي زوجته التي جاءته مرعوبة.. بدا هائجا وهو يقول بغضب:

- هل سمعت بآخر الأخبار أم أنك نائمة على أذنيك أنت أيضاً؟
- ماذا جرى؟
- اسألي ابنتك.. اسألها ماذا جرى... !

سمعت نجاة الجملة الأخيرة فانتفض قلبها ذعراً، دخل والدها غرفتها وهو يصرخ بغضب:

- هذا جزائي..؟ جزاء الإحسان بالنكران؟ جزاء الثقة التي وضعتها فيك؟ تصادقين لخضر البائس الجائع؟

صعقت والدتها وذعرت أختاها اللتان بقيتا واقفتين بلا حراك.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 52

غضب والدهما اليوم أوحى لهن أن ماجرى كارثة لن تمر مرور الكرام.. ! "[1]

فمن خلال السرد تتضح القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تتمسك بها العائلة المحافظة والتي تمنع هذا النوع من العلاقات التي تراها تمس شرف العائلة وصمعتها، الأمر الذي أدى بالأب إلى ضربها حتى فقدت وعيها، فالحادثة هزت أركان البيت وهدوءه، وروعت أفراده وجعلت الأب يقرر تزويج ابنته من الضابط علي الذي طلب يدها للزواج والحفاظ على صمعته. الخبر أسعد والدتها رغم أنها كانت تريد أن تزوج الكبرى لكن الظروف جعلتهم يزوجون الصغرى نجاة والتي لم تعارض قرار والدها الذي كان يرى في العريس الرجل المناسب والملائم لها. ليعود للبيت هدوءه وإستقراره بالفرح، وشعور العائلة بالسعادة لخطبة نجاة بالضابط علي. " كان الجميع ينظر إليهما إليهما بفخر.. عائلته التي تعتقد أنهم سيشرّفون عائلة نوح بهذا الزواج، ونوح الذي يرى ابنته الجميلة مفخرة لكل عائلة.. حتى أختاها بدتا سعيدتين.. كان الجميع يؤدي دوره على أحسن ما يرام، وحين ألبس العريس الخاتم لعروسه، تعالت الزغاريد مجلجلة "[2] فمن خلال هذا المقطع السردي نستشف حالة الألفة والحميمة من خلال الأجواء السعيدة والفرحة التي تعم البيت وتقاليد الأسرة بالاحتفال بالخطوبة التي تمت في بيت السي نوح وسعادة العائلتين بالمصاهرة.

بيت السي نوح يمثل البيت الشعبي المحافظ على أعرافه وتقاليده، بيت تسوده الألفة والقيم المعنوية والروابط الأسرية المتماسكة، ويعكس لنا شعور رب الأسرة الذي لم يرزق بالولد و خوفه على البنات، بيت السي نوح رمز للأسرة المحافظة والمتمسكة بقيمها ومبادئها، والتي تخاف على بناتها من الإنحراف وتسعى للحفاظ على وحدة بيتها وحماية أفرادها من التشتت والضياع.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 82- 83.

[2]- المصدر نفسه، ص 88.

5- بيت لخضر(الغرفة المستأجرة):

هو عبارة عن غرفة صغيرة استأجرها لخضر بعد تغيير عمله من الميناء إلى المستودع وقراره بالرحيل من بيت والده (بيت الطفولة) والعيش مستقل في غرفة يدفع إيجارها كل شهر، وقد وردت في ومضة سردية قصيرة " أربعة أشهر مضت استطاع أن يستأجر لنفسه غرفة صغيرة بمبلغ زهيد كل شهر"[1] نستشف أن لخضر بعد حالة التشتت والضياع إستطاع توفير المال وإستئجار غرفة يعيش فيها وحيدا مستقلا، وكذا التّحرّر من سيطرة والده وزوجة أبيه، وممارسة حريته التي عجز عن تحقيقها وهو في بيت والده، فالغرفة المستأجرة وردت للدلالة على الإستقلالية والحرية والتحرر،والإنعتاق من سلطة الأب والإستمتاع بحياته وراتبه الذي كان يحرم منه وهو في بيت والده.

[1]- المصدر السابق، ص 99.

6- شقة لخضر:

ظهر المكان من خلال ذاكرة لخضر وإسترجاعه لماضيه عندما كان يعمل مخبرا بالمركز تحت إشراف الضابط جعفر، فبفضل الراتب الجيّد الذي كان يتلقاه تحسنت أموره المادية وإستطاع تغيير سكنه وإستئجار شقة في منطقة شعبية بالعاصمة تتكون من ثلاث غرف، وإستطاع أن يكسب إحترام الجيران، وهذا ما كشفه لنا السارد " مثلما غير بفضله المسكن مرتين واستطاع أن يؤجر شقة صغيرة من ثلاث غرف في منطقة شعبية عادية، لا يعرف سكانها ولا أحد يعرف عنه سوى أن أسرته تسكن في جنوب البلاد، وأنه يعيش وحيداً في العاصمة ويعمل موظفاً في مركز البريد ! كان الجميع يحترمه لأنه موظف ولأنه لا يثير مشاكل مع أحد، وتلك صفات جيدة لشاب في مثل سنه !"[1]، فالشقة دلالة على الاستقلالية وكذا تحسن الوضع الاجتماعي والوضع المادي الجيّد الذي يظهر من خلال استئجار شقة بالعاصمة. كما يكشف لنا المقطع عن الهوية الجديدة للخضر من خلال إنتسابه لأسرة بالجنوب، وعمله بمكتب البريد وإكتسابه إحترام الجميع.

لقد شكلت الشقة فضاءً الإستقرار العائلي وبيت الزوجية للخضر بعد زواجه من نجاة وإستقرارهما فيه، لكن عمل لخضر السري جعله يعيش حالة من الإحباط والإنكسار وهذا ما ظهر من خلال السرد، " يعود إلى البيت مكسوراً وغير قادر على الكلام، غارقاً في صمت مميت، ولم تكن زوجته لتتكلم أو تقول شيئاً تعرف أنه لن يرد عليه."[2] فالبيت باعتباره مصدر الراحة والسكينة فهو المكان الذي يلجأ إليه الإنسان للاحساس بالدفء العائلي والطمأنينة ولنسيان يومه الشاق والمتعب، بيت لخضر الزوجية كان يفتقد الألفة والحب وهذا ما يعكسه تصرف لخضر الذي كان ينشغل عن بيته وزوجته بسبب الأعمال الاجرامية التي تدخل ضمن المهمات التي كان يقوم بها وغيابه عن المتكرر عن البيت وعجز لخضر عن البوح بما يجري له لزوجته واخفاء الحقيقة عنها " كان يعرف أن غيابه عن البيت من الصباح إلى المساء يثير الكثير من الأسئلة لديها، وإن لم تفصح عن أسئلتها فكان يكفي النظر إليها ليفهم أنها تريد أن تعرف ما الذي يجري؟ وعندما تردد في الرد قالت بصوت بالكاد يسمع:

- ألست في عطلة؟
- لكني أشتغل. لقد وجدت عملاً آخر أؤديه في العطلة. نحتاج إلى مصاريف كي لا نموت جوعاً !"[3] .

[1] - ياسمينة صالح، لخضر، ص 139.

[2]- المصدر نفسه، ص 246.

[3]- المصدر نفسه، ص 247.

نستشف من خلال المقطع أن بيت الزوجية يفتقد الألفة والحميمية،فغياب الزوج لخضر جعل نجاة تحس بالحزن والجفاء وعجزها عن مواجهته بالأمر،كما ينمّ على أن بيت الزوجية يفتقد لمعاني الصدق والحب،فرغم محاولة نجاة إسعاده والتقرب منه بإنجابها ابنا له رغم وضعها الصحي وخطورة ذلك على حياتها إلا أنّها لم تفلح، وهذا ما نستشفه من السرد " حتى زوجته التي حاولت إرضاءه بالولد لم تكن سعيدة معه، ففي غياب الحب وحوارات الحب من الصعب أن يكون ثمة حياة مشتركة، وكان يدرك ذلك جيداً ولا يحاول الاقتراب إلا ليبتعد أكثر !"[1]

فالسرد كشف لنا أن بيت الزوجية بيت تعيس يفتقد حوارات الحب، بيت يطغى فيه الصمت والحزن والوحدة خال من البهجة والفرح .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 253.

7- بيت السي طيب:

بيت يقيم فيه السي طيب مع زوجته وابنته الوحيدة نجاة، بيت له مبادئ وقيم وتحكمه روابط أسرية متينة يسودها الحب والاحترام والتفاهم، فرب الأسرة ابن شهيد، وهو رجل له مبادئ وقيم كما أنّه مثقف ومتعلم وهو مدير الجامعة التي دخل إليها لخضر كسكرتير مساعد، لقد ظهر بيته بدخول لخضر إليه للاطمئنان على صحته بعد خروجه من المستشفى وتعرف على عائلته الصغيرة وارتبط بها وقام بمصاهرته والزواج بابنته .

" وقد أصبح يقضي مساءاته في بيت السي الطيب الذي تعود عليه، وعلى خجله وارتباكه وعينيه اللتين لا يرفعهما عن الأرض، تلك ميزة الشاب المهذب والأصيل في نظرالطيب، الذي كان يجد في حواراته العادية مع لخضر شيئاً ممتعاً."[1] فمن خلال المقطع نستشف أن بيت السي الطيب أصبح الوجهة التي يقصدها لخضر كل مساء بعد الأنتهاء من دوامه وشعوره بالألفة نحو بيته والتردّد عليه والتقرب من عائلته، كما يعكس لنا شعور المدير وإحساسه بالأنس بزيارات لخضر له " – لقد أصبحت عزيزاً علي وعلى زوجتي ! أسعد برؤيتك دائماً.

قالها له كما تقال المجاملة قبل الوداع ! فكر لخضر كثيراً بعدها عن تلك الزيارات التي قادته إلى ذلك البيت الشريف. لم تكن تحمل عناوين مفهومة، فهو لم يكن مقرباً قط من المدير قبل الواقعة، مع ذلك صار مقرباً منه بعدها. كان لخضر يستغل انشغال الجميع عن السي الطيب وانقطاعهم عنه ليسد ذلك الفراغ."[2] يتضح من المقطع أن بيت السي طيب بيت شريف وعريق، ومرض السي الطيب كان سببا في زيارة لخضر والتقرب من العائلة، " إلى أن وجد نفسه دون أن يدري يطلب من السي الطيب يد ابنته ! هل كان واعياً يومها وهويجمع شجاعته بين يديه ويلمح للسي الطيب برغبته الزواج من ابنته؟ لم يكن يعرف لماذا فكر فجأة في طلب يدها، ربما لأنه لم يفكر كثيراً ولم يخطط للوصول إليها !"[3] نستشف أن زيارات المتكررة لبيت السي الطيب جعلت لخضر يتعلق بأهله وشعوره بالانجذاب والتعلق بالعائلة وتفكيره بالزواج من ابنته نجاة، فالبيت الشريف كان هدف لخضر، ولم يكن هناك سبيل للتقرب ودخوله ومعرفة أسراره سوى بالارتباط بابنته لاكمال مهمته التي بدأها (الجوسسة).

كما أن بيت السي الطيب كان فضاء اللقاء والتعرف بشخصية الباهي الصحفي قريب السي طيب " لن ينسى وقتها قراره بالتغيير، حتى وهو يلتقي بقريب السي طيب بعد يومين من ذلك اللقاء الذي

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 191- ص 192.

[2]- المصدر نفسه، ص 193.

[3]- المصدر نفسه، ص 193.

تواعد فيه سي الطيب مع نسيبه الجديد على تحديد الموعد المناسب للخطبة. لم يكن يعلم لخضر أن الرجل الجالس بذلك الهدوء قبالة سي الطيب هو قريبه الصحفي المشاغب، حتى وهو يصافحه. شعر أنه أمام شخص لا يستهان به، ربما لأنه طوال الوقت ظل ينظر إليه كأنه يبحث في أعماقه عن شيء يدله على حقيقته. لم يكن مرتاحاً له، حتى وهو يبدو طبيعياً في الحديث والرد على الأسئلة التي بعضها كان خاصاً والبعض الآخر عاماً.[1]

بيت سي طيب فضاء التعرف على شخصية الباهي الصحفي ومكان الإلتقاء والتعارف بين لخضر والباهي، فالمكان جمع الشخصيات بمناسبة تحديد موعد خطبة لخضر مع نجاة ابنة سي طيب وعكس لنا المكان حالة القلق والتوتر الذي أحس به لخضر، كما عكس لنا عدم ارتياح الباهي لشخصية لخضر من خلال الحوار وتبادل الحديث .

كما نقل لنا السارد أجواء بيت سي طيب بإحتفالهم بخطوبة نجاة مع لخضر، الحفلة التي حضرها عدد قليل من معارف السي الطيب، وعكس لنا شعور الخطيبين وحالة الحزن، والغربة التي شعر بها كلاهما في حضور الأهل الذين يشعرون بالفرح والسعادة " كان الجميع يؤدون الدور المنوط بهم، حتى الطيب لم يدع الكثير من الناس لحفل الخطبة بدا سعيداً رغم تعبه الواضح مع زوجته النتي بدت متفتحة من الفرح. وعندما أطلت نجاة أخيراً شعر لخضر أن قلبه يدق، فقد كان محط الأنظار وكان عليه أن يتجاوز ارتباكه وخجله ليلعب الدور للنهاية."[2] فالمقطع يعكس لنا الأجواء بالبيت والمناسبة السعيدة التي تحتفل بها عائلة السي طيب وفرح الأب والأم بخطوبة ابنتهما الوحيدة وشعورهما بالسعادة بتزويجهما ابنتهما. كما نقل لنا السارد كيف تمت أعراف وتقاليد الخطبة التلبيسةفي بيت سي الطيب بحضور الأهل " نظر إليها وخفق قلبه وهو يكتشف أنها جميلة، على الرغم من شحوبها الواضح. كانت تبدو خجولة أمام نظرات الحاضرين، وعندما حانت وقت التلبيسة، وقف أكثر ارتباكاً ليخرج الخاتم من جيبه، وتناول يدها بين يديه. لم يعرف أيهما كان يرتعش هو أم هي، لكنه استطاع أخيراً أن يضع الخاتم المقدس في إصبعها أمام نظرات الرجال وزغاريد النسوة."[3]

كما أن بيت سي الطيب البيت الذي تربى فيه حسين وعاش فيه بعد وفاة أمه نجاة، بعد تخلي لخضر عنه بحجة العمل " في آخر زيارة للسي الطيب تظاهر بأنه انتقل للعمل في منطقة أخرى. لم يكن ثمة سبب ليكذب في نظر السي طيب الذي تمنى له التوفيق دون أن يسأله عن المنطقة التي انتقل إليها، فقد أصبح

[1]- المصدر السابق، ص 209.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 227.

[3]- المصدر نفسه، ص 227.

لخضر حراً في حياته، يعمل في المكان الذي يناسبه، ويأتي لزيارة ابنه في الوقت الذي يناسبه أيضاً. فجأة تحول لخضر إلى شخص غريب يأتي ويغادر، لكنه لم يكن ليعاتبه، ربما لأنه هو نفسه لم يعد يشعر بشيء نحوه أو نحو زوجته، ولا حتى نحو ابنه. كان مجرد زائر غير مرغوب فيه ! "[1] فمن خلال المقطع نستشف حالة الجفاء بعد وفاة نجاة وأن بيت سي الطيب الملجأ الذي تلقى فيه الابن حسين الرعاية والإهتمام بعد سفر لخضر وتخليه عنه لجديه لتربيته، وتخليه عن أبوته تدريجيا بسبب عمله، بيت سي طيب الذي فتح بابه دائما للخضر وشعر أنه واحد من العائلة أصبح يشعر فيه بالغربة والهروب منه وقطع الصلة بهم .

[1]- المصدر السابق، ص 260.

8- **بيت جمال :**

بيت جمال بيت فقد هو الآخر مصدر الحب والحنان بوفاة والدته، ليتحمل والده مسؤولية البيت وتربية ابنتيه وتزويجهما ليتخلص من عبئهن، كما يعكس لنا قيم ومبادئ هذا البيت البسيط، وقد ظهر في السرد عن طريق الاسترجاع و انتقال الذاكرة إلى الماضي بالتعرف على شخصية جمال السكرتير بالجامعة وكشف لنا من خلال بيته حالته الأسرية والاجتماعية والمادية للعائلة، ككل البيوت الجزائرية التي تعاني من تدهور الأوضاع المادية.

الكاتبة لم تتناول المكان بوصفه الهندسي أو مؤثثاته، وإنما إنصب إهتمامها على طرح ما يحويه المكان من شخصيات وأحداث، وعكست لنا طبيعتها وسلوكها وأفكارها، ومشاكل الشخصيات وهمومها ونظرتها للحياة البائسة. " لم يكن جمال غنياً ولا فقيراً. كان شخصاً عادياً يعيش في أسرة مكونة من أختين أكبر منه، استطاع والده ضمان حياتهما بالزواج. فكل أب يرى نجاح مهمته الحياتية في ضمان حياة بناته بتزويجهن، أكثر مما يضمنه تعليمهن أو عملهن. لم يكن والده يرى في الحياة أكثر من وسيلة ستر للبنت والاعتماد على النفس بالنسبة للولد، منذ توفيت أمه قبل سنوات تاركة مسؤولية الأبناء لوالد عاش على أمل الانتهاء منها بأقل أضرار ممكنة "[1].

السارد من خلال المقطع يكشف لنا عن البيت الذي يعيش فيه جمال مع عائلته التي تتكون من والده وأختيه اللتان تولى والده رعايتهما بعد وفاة أمهم، فالبيت تحكمه الرابطة الأسرية والقيم المعنوية التي تظهر بحرص الأب على تولي مسؤولية رعاية أبناءه لوحده وخاصة البنات واهتمامه بتزويجهما أكثر من تعليمهن والتخلص من عبء البنات بسرهن في بيوت أزواجهن على غرار إبنه الشاب الذي يمكنه الاعتماد على النفس .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 147.

9- بيت سي منصور:

ظهر البيت من خلال ذاكرة لخضر واسترجاعها الماضي، " كان منصورمن أسرة ثورية وعريقة، فقد استشهد والده إبان الثورة تاركا له لقب ابن شهيد"[1] فالمقطع يبين لنا هوية وانتماء السي منصور إلى الأسرة الثورية والعريقة، وهو رئيس العمال بالميناء الذي كان يعمل فيه لخضر، وقد ورد بيته في ومضة سردية قصيرة " كان يحاول أن ينسى كل شيء حين يرجع إلى البيت، ويرى في ولده الطالب الجامعي شيئا مفرحاً، وفي ابنته التلميذة في الثانوية حلما يريده أن يتحقق، وفي زوجته ملاذاً يحميه من كل الإقطاعيين الجدد الذين يحكمون البلد "[2] نستشف من المقطع أن بيت سي منصور فضاء للعلاقة الأسرية التي تربطها مشاعر الحب والحنان وهو فضاء الألفة والأنس والمأوى الذي يلجأ إليه والذي يمنحه الطمأنينة والسكينة بالقرب من زوجته وابنه وابنته وشعوره بالسعادة لوجودهم في حياته، ووجوده بينهم ينسيه مشاكل وهموم العمل.

بيت سي منصور بيت الألفة والحميمة، يعبّر عن الهوية والإنتماء وهو رمز للبيت العائلي الذي يتمسك بتقاليد وأعراف الأجداد الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الوطن، وهو رمز للبيت العريق والشريف.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 69.

[2]- المصدر نفسه، ص 70.

10- بيت سي إبراهيم :

ظهر هذا البيت من خلال استرجاع لخضر لماضيه وقد ورد في ومضة سردية قصيرة من خلال حوار لخضر مع سي إبراهيم وهو رمز للبيت الجزائري البسيط المحروم من الزوجة والأبناء فضاء الوحدة واليأس والحرمان المعنوي والاجتماعي، بيت يعيش فيه رجل كبير في السن وحيدا بعدما ماتت زوجته وافنى حياته بالعمل لملأ الفراغ والوحدة "كان يعمل لأجل ألا يبقى وحيدا بعد رحيل زوجته قبل أربعة أعوام. ظل يعود إلى بيت خال من الضوء، ومن الكلام.. يعود فارغاً من بهجة الرجوع إلى البيت.. ينام منهكاً ليستيقظ في الغد نحو العمل نفسه والنهار نفسه والتعب اليومي نفسه."[1] فمن خلال هذا المقطع نستشف حالة الخواء والوحدة التي تعم البيت وكأنه بيت مهجور لا فرح ولا بهجة ولا ألفة، بيت معدم وحزين مليء بالذكريات.

يتضح أنّ البيت من الأمكنة الاختيارية التي يسكنها الانسان ويقيم فيها بصفة دائمة، "وقد أولت الرواية الجزائرية أهمية كبرى للبيت كعنصر جمالي، وحيز مؤطر للشخصية والحدث بالمفهوم السردي، فكان الخاتمة التي تنهي بها الشخصية يومها، لترتاح فيه "[2].

البيت هو المأوى والملجأ الذي يعود إليه الإنسان للإحساس بالإستقرار والطمأنينة، والهدوء وللشعور بالحماية من الخارج، و" لهذا فالشخصية تسعى إليه بإرادتها دون قيد أو ضغط يقع عليها. وترتبط به ارتباطاً وثيقاً، وتتشكل سماتها وسلوكياتها وتنطلق منه إلى أمكنتها الأخرى. "[3] وقد وردت عدة بيوت في الرواية أولها الفيلا التي يقيم فيها الجنرال لخضر، ويعيش فيها حياته الحاضرة، وبيت نجاة والدة حياة، أما البيوت الأخرى فقد وردت عن طريق الإسترجاع والرجوع بالذاكرة إلى الزمن الماضي وإستحضار لخضر لذكرياته، والتي تمثلت في بيت العائلةللخضر، بيت سي نوح، بيت سي طيب، بيت جمال، بيت الزوجيةللخضر، بيت سي إبراهيم، وبيت السي منصور.

ولأنّ البيت يمثّل " كينونة الإنسان الخفية، أي أعماقه ودواخله النفسية، فحين نتذكر البيوت والحجرات فإننا نعلم أننا نكن داخل أنفسنا. في البيت ينطوي الإنسان على نفسه، لأنه يمنحه شعورا بالهناءة والطمأنينة والراحة، وذلك في مقابل مايتعرض له في محيطه الخارجي من تهديد وأذى"[4]. فالبيت هو ذلك الصرح الذي يجمع شمل العائلة، ويعبر عن الرابطة الأسرية والقيم الاجتماعية والمعنوية وكذا

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 38.

[2]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 27.

[3]- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، ص 85.

[4]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص 106.

القيم الإنسانية السائدة فيه و " يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التي تعيشها الشخصية، وأن لاشيء في البيت يمكن أن يكون ذا دلالة من دون ربطهبالإنسان الذي يعيش فيه"[1]. فالبيت هو ذلك الوعاء الذي يحضن الشخصيات ويكشف عن طبيعتها وسلوكها وقيمها ومبادئها وطريقة تفكيرها وإيديولوجيتها، وانتمائها، ولا يمكننا الحديث عن البيت بعيدا عن الشخصيات التي تقيم فيه لارتباطها الوثيق به، فالبيت يأخذ دلالته من الساكن فيه، ومن خلاله يمكننا معرفة مقدار الألفة أو العداء والنفور للمكان الذي يقطن فيه، كما أن البيت يمكننا من " إدراك قيم الألفة الإنسانية التي تكمن فيه، وتمثل جوهر فكرة البيت"[2].

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 44.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

من خلال كل ماسبق يتوضح لنا أنّ الكاتبة تعكس لنا صورة الوطن من خلال هذه البيوت البسيطة التي تمثل البنية التحتية للمجتمع ، والأوضاع الاجتماعية المزرية والمتدهورة لأفرادها ودرجة وعيهم وثقافتهم وإيديولوجيتهم من خلال ما ساكنيه، وما نستشفه من السرد أنّ السارد لا يقوم بوصف وتصوير البيت" كركام من الجدران والأثاث، وإنما كوسيلة أو نقطة انطلاق للحديث عن شخصية، أو تاريخ عائلي أو تناول قضايا وطنية"[1]، فالبيت يعدّ الكيان الأول الذي يعكس العلاقات الأسرية ويكشف الغطاء عن حياة الشخضيات، وينزع عنها القناع فيكشف طبيعتها وسلوكها والقيم الإنسانية والاجتماعية السائدة فيه، وعن مدى ارتباطها وتعلقها بالمكان والإحساس بحالة الألفة والحميمة أو شعورها بالنفور والعداء.

كما يبرز تأثير المكان على الشخصيات وعلى طبيعتها وأفكارها وحالتها النفسية، "فالحضور الإنساني في المكان يعتبر عاملاً أساسيا في مقروئية النص موضوع الفضاء الروائي، فالمسكن مثلا لا يأخذ معناه ودلالته الشاملة إلا بإدراج صورة عن الساكن الذي يقطنه وإبراز مقدار الانسجام أو التنافر الموجود بينهما والمنعكس على هيئة المكان نفسه وجميع مكوناته"[2].

يعدّ البيت الركيزة والأساس الذي تبني فيه الشخصية ذاتها ويعبر عنها ويعكس القيم والمبادئ السائدة فيه، ذلك أن البيت هو الوطن الأم الذي يحتضن الجميع وهو بمثابة الهوية والإنتماء والكينونة والوجود، ومن خلال الشخصيات التي تقيم فيه عكست لنا حالة الحرمان و القهر والإنكسار والألم لقاطنيها،"ذلك أن الإنسان بحركته وفعله، هو الذي يُشكّل المكان، ويقيم أعمدته "[3]، ونلاحظ أنّ جل البيوت التي وظفتها الكاتبة في الرواية بيوت شعبية بسيطة تعكس الحالة النفسية والاجتماعية الفقيرة والأحوال المادية المتدهورة، وحالاتها الشعورية من خلال قاطنيها ، " فالبيت هوية لمجموع الشخصيات، التي تتقاطع من خلاله. إن البيت كما يقال هو المكان الأول للإنسان، ومن خلاله ترتسم المشاعر والعواطف"[4]، ومن خلاله تعبر عن هويتها وإنتمائها ومكانتها في المجتمع، فكانت جلّ البيوت بسيطة تعبّر عن طبقة الشعب، تحمل دلالات الفقر والحرمان، وتدهور أوضاعها الصحية والمادية، ماعدى الفيلا التي تدل على الطبقة الأرستقراطية والغنية،تحمل دلالة السلطة والنفوذ في المجتمع .

[1]- بعلي حفناوي، تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 366.

[2]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 54.

[3]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 44.

[4]- بعلي حفناوي، تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة، ص 365.

11- الدكان:

هو عبارة عن محل صغير للبقالة يملكها سي نوح والد نجاة، ظهر هو الآخر عن طريق الاسترجاع واستحضار لخضر ماضيه. " أصبح يذهب إلى تلك الدكانة الصغيرة ليشتري شيئاً للبيت، فيستقبله الرجل بابتسامة طيبة لا تخلو من مصلحة:

- ماذا تريد أن تشتري يابني.. الدكان تحت أمرك...!

تلك العبارة التي لا يقولها لكل الناس. يقولها فقط للموظفين القادرين على دفع ثمن ما يشترونه. لا ينكر "لخضر" طيبة الرجل وإنسانيته، فقد كانت له دفاتر خاصة يجرد فيها ما يشتريه الزبائن الاعتياديون الذين يدفعون له في نهاية الشهر بالتقسيط.. كان يحتملهم لأنهم زبائنه الأوفياء، ولأنه يشعر أنه يفعل شيئا يجعل دعواه إلى الله مستجابة، بأن يرزقه بولد يحمل عبء المسؤولية معه. أحيانا يشكو له عفويا تأخر البعض عن الدفع دون ذكر أسمائهم.. كان يرى في التعميم جدار صد ضد أولئك الذين يفكرون في فتح دفتر للدفع المؤجل..! "[1] فمن خلال هذا المقطع يصف لنا السارد دكان السي نوح الذي هو مكان صغير للبقالة وزبائنه من الناس البسطاء والمحتاجين الذين يرتادونها بنظام دفتر الديون والدفع في آخر الشهر بالتقسط والدفع المؤجل.الدكان يكشف عن الأوضاع المادية المزرية والمتدهورة للزبائن وعن مدخول الدكان الصغير الذي يتوقف على الزبائن الذين يرتادونه، ويكشف لنا عن طيبة البقال وإنسانيته بفتح دكانه لزبائنه البسطاء رغم تأخرهم عن دفع الديون المستحقة.

الدكان كان ملاذ لخضر الذي يلجأ إليه بعدما تعرف على نجاة ابنة السي نوح والتردد عليه وتبادل أطراف الحديث والتعرف عليه قبل أن يفضحه والده ويقوم بإخبار السي نوح عن علاقتهما. فالدكان ورد لكشف المستور وللدلالة على الوضعية الاجتماعية والمادية المتدهورة للافراد من خلال الدفع المؤجل أو بالتقسيط. فالدكان موجود في حي شعبي واللاجئون إليه من الطبقة الشعبية الفقيرة والبسيطة ودكان السي نوح الدكانة الوحيدة التي تلبي لهم غرضهم واحتياجاتهم حسب امكانياتهم المادية عن طريق الدين ودفعه فيما بعد بالتقسيط، وهو ما جعل السي عثمان لا يريد خسارة المكان الذي يقتات منه باعبار مالكه السي نوح والد نجاة فأراد إخباره عن علاقة ابنه بنجاة وضرب عصفورين بحجر واحد ينتقم من ابنه بفضح أمر علاقته وكسب السي نوح صاحب الدكانة الذي يشتري منه بالدفع المؤجل.

" فكر السي عثمان في الطريقة المناسبة ليقول له الحكاية كما يريد قولها، وليس كما قد يسمعها من شخص آخر.. لا يريد أن يغضب منه نوح لأنه يحتاجه، فهذه الدكانة الوحيدة التي يشتري منها بالدفع المؤجل. قال يحاول جمع كلماته بدقة:

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 50.

- يا سي نوح. نحن جيران وأهل.. ولهذا أحب أن أكلمك كصديق.. لا، بل كما يكلم أخٌ أخاه العزيز..!

شعر نوح بالقلق وهو يسمع إلى تلك المقدمة الغريبة. فكر "هل يحتاج إلى المال؟" لم يتعود أن يطلب المال، فقد كان يأخذ من الدكان ما يحتاجه ويدفع فيما بعد..نظر إليه نظرة عميقة وقال:

- خيراً يا سي عثمان.. خيرا إن شاء الله.
- ابني لخضر...!
- لخضر؟ خيراً إن شاء الله..

وحكى له الحكاية.."[1]

من خلال المقطع نستشف أنّ الدكان كان الفضاء لكشف ماهو مستور وفضح علاقة لخضر بنجاة، كما أن الدكان الصغير يعبر عن الحالة البسيطة باعتباره المكان الذي يقصده سكان الحي البسطاء، والذي يمثل لهم مصدر رزق وعيش، كما يعبر عن تدهور الحياة المادية كونه المكان الذي يقتات منه الناس البسطاء والفقراء من بينهم السي عثمان والد لخضر. كما نستشف أن إنغلاق المكان كشف عن الحالة الشعورية للشخصية وحالة القلق والتوتر التي سادت في المكان وإنزعاج سي نوح من الحكاية التي سمعها من سي عثمان.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 82.

12- المستودع:

هو عبارة عن مخزن كبير وواسع مخصص لحفظ البضائع التي كانت عبارة عن صناديق حديدية كبيرة مملوءة بالسلاح، مكان يخضع للحراسة الشديدة من قبل الحراس من الخارج والداخل، المستودع تعود ملكيته للسي فاروق شقيق الكولونيل فيصل .

ظهر هذا المكان عن طريق الإسترجاع وإستحضار لخضر ماضيه، عندما كان يعمل فيه كحارس ليلي بعد إنتقاله من الميناء، وإكتشافه فيما بعد أنه يعود لسي فاروق " حتى وهو يكتشف أن المستودع الذي سوف يحرسه ليلا ملك لأحد الأثرياء. كان المستودع كبيراً محاطاً ببعض الرجال المسلحين.. تساءل لخضر ما جدوى طلب حارس ليلي في وجود هؤلاء الحراس المسلحين؟ "[1] فالمقطع يكشف عن صورة المستودع من الخارج فهو مستودع كبير ومحاط بالحراس المسلحين، فيظهر المستودع كزنزانة مغلقة يحيط بها الحراس من كل جانب، ويتناوب الحراس المسلحين على حراسته بالليل والنهار، فهناك حراس يحرسون المستودع من الخارج، وحارسين يتناوبان على حراسة المستودع من الداخل " هؤلاء يحرسون المستودع من الخارج، بينما أنت ستحرسه من الداخل.. ! ستدخل وتغلق عليك الباب وتظل هناك إلى أن يطل النهار.. ! هذه وظيفة على بساطتها تبدو مربحة لأمثالنا، لهذا أهم نقطة يجب أن تفهمها هي ألا تسأل.. عليك أن تعمل وتصمت.. !"[2] نستشف أن المستودع له أهمية كبيرة لما يحتويه ومن الحراسة الشديدة للمكان، خاصة بإغلاق المكان على الحارس وهو ما صرّح به حارس النهار للخضر الحارس الليلي الذي يقوم بحراسة المسودع من الداخل وإخباره بأنه سيغلق عليه المكان، ويبقى حبيسا داخله إلى أن يفتح عليه الباب في الصباح ليتولى هو مناوبته النهارية. وفي مقطع آخر يكشف لنا لخضر معالم المستودع وملامحه من الداخل وما يحتويه ونقل لنا صورته من خلال حجمه الكبير واكتظاظه بالصناديق الحديدية " مستودع كبير مكتظ بالصناديق الحديدية مرتبة بنظام مدهش"[3] نستشف أن المستودع عبارة عن مخزن واسع وكبير مخصص لحفظ البضائع التي كانت عبارة عن صناديق حديدية كبيرة ومرتبة بنظام فاجئ لخضر، العمل في المستودع جعل لخضر يحس بالرتابة والملل والضجر فقد وجد نفسه داخل زنزانة مغلقة ومظلمة لا يحرس شيئا، فالمكان يسوده الصمت والسكون و شديد العتمة والظلمة من الداخل وهو ما نستشفه من المقطع التالي " كان عمله مليئاً بكل أنواع التناقضات التي تأملها من ثقوب المستودع..ينظر إلى الحراس الذين يمرون ليلاً بالقرب من المكان، يضحكون أو يتسامرون..بعضهم يدخن والبعض الآخر

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 95.

[2]- المصدر نفسه، ص 96.

[3]- المصدر نفسه، ص 96.

يراقب المكان من كل الجهات. كان يعرف أنه لا يحرس شيئا، يجلس فقط داخل مستودع مظلم، يشعل قنديل غاز قديم ويخفف من ضوئه، ويبقى جالسا طوال الليل، يتفرج على صمت المكان. على الصناديق الحديدية التي لم تكن بحاجة إليه.. كان يشعر أحيانا بملل يتسرب إليه.. هل هذا هو العمل الذي اعتقد أنه سيغير حياته؟ لم يكن له حق السؤال أو الكلام.. يأتي في وقته المحدد ليجد حارس النهار منتظراً، مستعداً للمغادرة.. يتبادلان تحية سريعة، فيدخل لخضر إلى داخل المستودع كسجين يعرف رقم زنزانته جيداً، قبالة ليل يبدو طويلاً وغير مجد.. شعر بالخيبة فجأة.. ! "[1] نستشف من المقطع أن المستودع شديد الإنغلاق والعتمة ويوحي بالوحشة وطول الليل فيه لسكونه وظلمته ووحدة الحارس داخله، كما أنه لا يوحي بالألفة والأمان لكثرة الحراس المحيطين به من الخارج، كما يظهر تأثير المكان على نفسية لخضر وشعوره بالضيق والإختناق في المستودع وهو يجلس وحيدا مع قنديل ينير له المكان المظلم، والتصنت على حراس الخارج وتأمل المكان من ثقوب كانت في المستودع، وشعوره بالخيبة وهوداخل قفص كبير ومغلق وافتقاده الميناء وشعوره بالحنين لذلك الفضاء المفتوح على الخارج وضوضائه " فكر أن الميناء أفضل من هذا المكان المغلق الذي تفوح منه رائحة رطوبة تجعله يعطس رغما عنه، فيخيل إليه أن عطسته وصلت إلى آخر الجبل..!"[2] ، فمن خلال هذا المقطع نستشف أن المستودع قديم من رائحة الرطوبة التي تعم المكان من الداخل ولموقعه القريب من الجبل فقد كان بالنسبة للخضر سجن انفرادي داخل زنزانة مغلقة يمضي فيها الليل الطويل. كما كشف لنا السارد عن هوية مالك المستودع من خلال الحركة الدائمة وبالقرب من المستودع وعن زيارات الضباط للمستودع " لأول مرة منذ اشتغل في هذا المكان بدأ يفكر في أشياء يعرف أنه لا يملك الحق في التفكير فيها. لم يكن حواره مع أحمد سبباً في شيء، فهو يعرف أن المستودع ملك لرجل مهم، ولكنها المرة الأولى التي يعرف فيها أن ذلك الرجل المهم شقيق كولونيل.. ! لأول مرة يفهم سبب زيارة بعض الضباط الذين يأتون بين الفينة والأخرى، ويقابلون رئيس المستودع في مكتبه الموجود أعلى البناية التي لا يدخلها أحد من العمال البسطاء "[3] .

شكل المستودع فضاء التّحول والتغيير ونقطة تحول فاصلة في حياة لخضر، فمن خلاله كشف لخضرحقيقة البضائع الموجودة في المستودع واكتشف سر تلك الصناديق الحديدية التي كانت تخضع للحراسة المسلحة "جلس يتأمل الصندوق الحديدي الرمادي ، تأمله بإحساس غريب، ثم انحنى عليه محاولا فتحه.. كان القفل الحديدي ثقيلا وكبيرا. فكر بينه وبين نفسه: هل يستطيع فتح صندوق لن يقدر

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص98.

[2]- المصدر نفسه، ص 98.

[3]- المصدر نفسه، ص 104.

على إغلاقه ثانية؟ "[1] فالمقطع يصف لنا حجم الصندوق وثقله ولونه الرمادي والقفل الحديدي الكبير والثقيل وهو دلالة على أهمية ما داخل الصندوق وسريته من خلال القفل الكبير المحكم وبسبب فضول لخضر فتحه بطريقته الخاصة لمعرفة نوع البضاعة المخبأ في تلك الصناديق المحكمة الإغلاق "نظر حوله باحثاً عن شيء يعالج به القفل الحديدي.. لفت نظره قضيب حديدي أخذه بين يديه وراح يحاول عملية الفتح مستعينا بقوته. لم يكن يثير صوتاً، بمحاولته بل بأنفاسه التي كانت تصعد وتنزل بقوة. أحس فجأة أن القفل بدأ يعوج وبدأت البراغي ترتخي، وأخيرا انصاع القفل وفتح الصندوق.. كان يتصبب عرقا وهو ينظر باتجاه الباب حابساً أنفاسه.. ثم عاد يرفع غطاء الصندوق وينظر.. !

وقتها اعترف بينه وبين نفسه أنه توقع أن يجد أي شيء عدا ما وجده، ظل يبحلق مذهولاً.. شعر أن ريقه جف من هول ما رأى.. يا إلهي.. سلاح؟ "[2] فمن خلال هذا المقطع نستشف خطورة الأمر الذي أقدم عليه لخضر بفتحه للصناديق الحديدية الثقيلة بما فيها والمحكمة الإغلاق بالقفل الحديدي الثقيل والكبير والذي ينم عن أهمية البضاعة الموجودة داخله وعن مكانة ووضع مالكها الذي يملك البضاعة المحظور حيازتها لدى الشعب العادي لأنه أمر مخالف للقانون ويعاقب عليه، وهذا دلالة على السلطة والنفوذ التي يملكها صاحب المستودع وبامتلاكه الصناديق بما فيها، وهذا ينم خطورة المكان والرعب الذي يسكنه، فالمستودع خاص بالأسلحة والمكان لشخص يملك النفوذ والسلطة في المجتمع، ولخضر الحارس البائس تجاوز حدود وظيفته بفتح تلك الصناديق وكشف ما فيها، لقد وصف لنا السارد صدمة لخضر وهو يرى الأسلحة وأنفاسه منقطعة خوفا من سماعه أو دخول أحدهم عليه وشعوره بالرعب والخوف " تجمد مكانه وهو يستمع إلى صوت خطوات تقترب من المستودع.. خيل إليه أنه سينهار على الأرض من شدة الخوف.. كانت الخطوات تقترب أكثر فأكثر. تجمد في عتمة المكان وهو يدعو الله أن تمر الخطوات بعيداً عنه.. صمت رهيب ساد وهو يتابع إيقاع الخطوات بكل حواسه..قطرة من العرق تدحرجت من جبينه إلى أنفه لم يجرأ على مسحها.. خيل إليه أنه لو مسحها فسيصدر صوتا يفوق صوت قلبه الذي كان يدق في أذنيه.. فجأة.. توقفت الخطوات.. أغمض لخضر عينيه وفتحهما من جديد، ورأى باب المستودع يفتح ببطء مرعب.. كان الصندوق على الأرض.. مشهد الجريمة جلي وواضح، وكان هو واقفاً مجرداً من التبرير.. فكر أنها ليلته الأخيرة على هذه الأرض.."[3] فالمقطع ينمّ عن حالة الذّعر والرّعب والصّمت الرّهيب الذي خيم على المستودع والخوف الشّديد الذي انتاب لخضر بعد اكتشاف حقيقة البضائع وإحساسه بنهاية

[1]- المصدر السابق، ص 110.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 110.

[3]- المصدر نفسه، ص 113.

حتفه والصندوق مفتوح أمامه وباب المستودع يفتح وهو واقف جامد في مكانه يفكر في نهايته البائسة في المستودع، لقد وصف لنا السارد البعد الدرامي والنفسي للحظات الرهيبة التي مرت على لخضر داخل المستودع وكيف كانت حالته النفسية والشعورية وهو داخل قفص شديد الإنغلاق ليتحول المستودع إلى فضاء للرعب والموت والقتل "لأول مرة يشعر فيها برغبة في الحياة.. وجد نفسه يختبئ بسرعة خلف الصناديق، واستغرب أن الحارس لم يصرخ ولم يستنجد ببقية الحراس كأن الصدمة أخذت لسانه.. فكر لخضر أن عليه أن يعيش، ليس لأجل أحد، ولا حتى لأجل نفسه، بل لأنه يرفض فكرة أن يموت هنا وبهذا الشكل.. ! تناول المسدس وصوبه نحو الضوء الذي كان يحمله الحارس في يده لكنه أخطأه.. مع ذلك سمع صيحة قوية وشيئاً ينهار على الأرض لينهار معه ذلك المشعل الضوئي الذي كان يحمله في يده.. ! وجد نفسه يحاول الخروج من المستودع، صار يطلق النار عشوائياً. سمع شيئاً آخر يسقط على الأرض.. عرف أنه أصاب شخصاً آخر "[1] نستشف من خلال المقطع الظلام وعتمة المستودع بوجود المشعل الضوئي الذي كان يحمله الحارس الذي جاء لتفقد المستودع، ولأن الصندوق كان مفتوح وشعر لخضر بالخوف قام باطلاق النار بالمسدس الذي أخرجه من الصندوق ونسيه في جيب سترته، فطبيعة المكان وما يحتويه كانت عاملا أساسيا في حدث القتل، فالسلاح كقطعة مادية كانت السبب في هلاك لخضر وفي قتل الحارسين وتحول لخضر إلى قاتل ومستعد لقتل الجميع في سبيل نجاته والخروج من هذا المستودع. وفي المقطع الذي يليه ينقل لنا السارد كيف وضع لخضر نهاية لحياته بعد فقدانه الأمل في النجاة والهروب من العقاب " فكر في إطلاق النار على نفسه.. ! لن يكون ثمة حل سوى أن يقتل نفسه وينتهي، فلن يرحمه أحد بعد أن صار مجرماً.. لا القانون ولا الشرطة ولا صاحب المستودع، ولا شقيقه الكولونيل.. كان يشعر بيديه ترتعشان وهو ينظر حوله.. تساءل أين يطلق النار؟ في أي جهة من الجسم تحديدا؟ فكر في الرأس، لكنه تراجع.. رصاصة في الرأس مؤلمة ! قالها وهو ينظر حوله من جديد. فكر أنه لم ير بطلاً في السينما يطلق النار على رأسه، والذين يطلقون النار على رؤوسهم هم الخونة والمرتزقة والمجرمون ! أحس بخطوات وأصوات كثيرة تقترب من المكان، أبعد عنه المسدس قليلاً بحيث صارت الفوهة موجهة نحوه.. نظر إلى إصبعه وهو يضغط على الزناد.. كان الخوف والجنون أقوى من كل شيء.. رأى الرصاصة الحمراء النارية تخرج من المسدس وتستقر في جسده.. رآها بألم عينه وهي تصيبه. وخزه شيء في جسمه وشعر ألم غير محتمل.. في فكرة جنونية أخيرة وجد نفسه يرمي المسدس من يده بكل ما تبقى من قوة، ثم انهار على الأرض.. كانت الأصوات تقترب أكثر ولم يكن يهمه شيء الآن.. بعد أن أصبح ميتا... !"[2] فمن خلال السرد

[1]- المصدر السابق، ص 114.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر،ص 114- ص 115.

نستشف الحدث الرهيب الذي وقع في المستودع والذي جعل الشخصية تعيش حالة من الذعر كلما سمعت أصوات الحراس يقتربون من المستودع والذي كان يساهم في تغير الأحداث واتخاذها إتجاه آخر لم يكن في الحسبان، وباقترابهم ازداد خوف لخضر وإصراره على الإسراع بوضع حد لحياته والتخلص من الجحيم الذي وضع نفسه فيه، وإطلاق الرصاص على نفسه قبل دخول الحراس عليه أمام الجرم المشهود ورِؤيتهم للحارسين مقتولين وصندوق الأسلحة مفتوح.

شكل المستودع نقطة تحول في حياة لخضر الآنية وفي حياته القادمة وكأن الكاتبة أرادت أن تهيأ له كل الأسباب لتصنع له هذا المستقبل المختلف، فكان مستودع الأسلحة مستودع الأسرار وفضاء القتل والموت، وفضاء البداية للانطلاق للحياة الجديدة، فبعد شفاء لخضر وخروجه من المستشفى عاد إلى عمله في مستودع آخر يملكه السي فاروق ونال ثقة مسؤوله، وأوكل له مهمة التجسس والتصنت على الحراس الأخرين وكتابة تقارير حول ذلك، ونفس المهمة كلف بها حارس آخر، لكن الفرق بينهما أن تقارير لخضر كانت في غاية الدقة مما جعل السي فاروق شقيق الكولونيل يحوله من حارس ليلي بالمستودع إلى العمل كمخبر لصالح الكولونيل .

13- المقهى:

برز كمكان للإستقصاء ومعرفة الأخبار، فالمقهى كان المكان الذي يرتاده لخضر عندما كان يعمل بالمركز ويقوم بالتصنت على الناس وكتابة التقارير حول تذمرهم عن أوضاع البلاد ورغبتهم في التغيير" المقهى الذي يرتاده ليشرب قهوة ويتصنت على الناس، تلك مهمته اليومية التي أوكلوها له ليقوم بها بمزيد من الحرص على التميز في تقاريره كلما أراد أن يصنع من شخص بريء مشروع شبهة، وكلما ساهمت تقاريره في اعتقال أشخاص أغلبهم أبرياء، تهمتهم أنهم تكلموا داخل المقهى أو في مكان عام عن ضجرهم من الأوضاعوعن رغبتهم في التغيير."[1] نستشف أن المقهى المتنفس الذي يلجأ إليه الأفراد هروبا من المشاكل والضغوطات والتنفيس عن أرواحهم بالاجتماع في المقهى وتبادل الحديث والحوار والنقاش حول أوضاع البلاد والانعتاق بالانفتاح على الخارج والتفكير في التغيير، كما يظهر أنه فضاء للتجسس على الأخرين وهي المهمة التي كان يقوم بها لخضر داخل المقهى ومعرفة ما يدور فيها وتفكير الفئات المتواجدين فيها ونظرتهم لأوضاع البلاد وكتابتها في تقارير لمسؤوليه وهو دلالة على كبت الحريات وقمعهم من خلال اقتيادهم واعتقالهم ، فيظهر المقهى فضاء مفتوح على التوجس باعتباره مكان تنتشر فيه الأخبار والحكايات وهو المكان الذي يستقي منه لخضر المعلومات لكتابة تقاريره وإيصالها لمسؤوليه.

إضافة إلى أنه فضاء للإستقصاء ومعرفة الأخبار فهو فضاء للقاء والتعارف وهو ماورد من خلال السرد عندما قصد لخضر المقهى الشعبي الذي تفاجأ بوجوده في حيه الشعبي القديم، الصدفة اقتادته إلى ذلك المكان والذي تفاجأ فيه بتغير معالم المكان، في المقهى تمّ لقاء لخضر بأخيه وليد الذي لم يعرفه، كما استطاع من خلالها معرفة أخبار الحي وأخبار السي نوح ووفاة والده، ولقد وردت عند استرجاعه للماضي وذكرياته للأيام الخوالي وحبه القديم وشعوره بالتعاسة باقتراب زواجه من نجاة بنت سي طيب مدير الجامعة.

المقهي ظهر من خلال السرد كمكان مؤقت إختياري وهو مكان شعبي عام مفتوح لمرتاديه بالنهار والليل، يرتاده الناس للترويح عن أنفسهم وتمضية الوقت، وهروبا من ضيق البيت وإنغلاق الداخل ومشاكله وهمومه. " لفت انتباهه مقهى مفتوح على أصوات صاخبة، واستغرب وجود المقهى هنا. كان هذا المكان يجلس فيه أقرانه من أبناء الحي يحلمون بالهرب من البلد. دخل دون أن يلقي تحية على أحد، وإن التفت إليه البعض إلا أن الذين كانوا منشغلين في لعب الدامة لم يولوه أي اهتمام. تقدم منه شخص يسأله ماذا يشرب، ونظر لخضر إليه محاولاً تذكره، لكنه لم يستطع.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 138- ص 139.

- قهوة !"[1]فالمقطع يكشف أن المقهى مكان عمومي مفتوح في جميع الأوقات، فهو المكان الذي يتوافد عليه الناس طلبا للترفيه والتسلية.

إنّه " مكان استراحة ولقاء، وهو شعبي" [2]يقصده عامة الناس، المقهى يتواجد بالحي الذي قضى فيه لخضر طفولته وشبابه، وقد تغيرت ملامح ومعالم المكان بمرور الزمن وهو ما سوضحه السرد بوجود المقهى في ذلك الحي الشعبي الذي عاش فيه لخضر، وقد وصف لنا السارد المقهى من الداخل، والأصوات الصاخبة، والزبائن الجالسون فيها بلعب الدامة،والناذل الذي يقوم بخدمة الزبائن وتقديم القهوة لهم، فيظهر أنه " مكان اجتماعي يلتقي فيه شخوص مختلفون لتزجية أوقات الفراغ، وإمداد الفرد بمزيد من قوة الاحتمال لمواجهة رتابة الحياة اليومية "[3]. كما أن المقهى كان فضاء للراحة والتعارف وتبادل الحديث وفضاء الإستقصاء وجلب الأخبار ومعرفة أحوال الناس وهو ما يظهر من المقاطع السردية الموالية " ظل النادل ينظر إليه قبل أن ينسحب، لاعناً هؤلاء الرجال الذين يعتقدون أنفسهم أهم من غيرهم. نظر لخضر إلى الناس حوله، واكتشف أنه لم يتعرف على أيّ منهم. أيعقل أن الناس تغيروا أيضاً؟ لقد تغير المكان كثيرا. أقبل النادل نحوه بفنجان من الماء وانتظر لحظة قبل أن يسأل السؤال الذي ظل يتردد على شفتيه:

- هل تبحث عن أحد يا سيدي؟ ربما أساعدك؟

رفع لخضر عينيه إليه وقد بدا الاستغراب على محياة:

- ماذا تقصد؟

رد النادل بصوت خافت:

- إن كنت من الأمن فأنا لا أريد مشاكل في هذا المقهى، يمكنني أن أدلك على أي شخص دون إثارة الفوضى هنا !

- شرطة؟

- ألست من الأمن؟

- لا.. أنا عابر سبيل لا أكثر !"[4]

يتضح من خلال المقطع أن المقهى مكان استقطاب الزبائن في جميع الأوقات، فهو الملاذ الذي تلجأ إليه " كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة، فهناك دائما سبب ظاهر أو خفي يقضي

[1]- المصدر السابق، ص 195.

[2]- مهدي عبيدي، ثلاثية حنا مينة، ص72.

[3]- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يخي يخلف، ص 100.

[4]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 196.

بوجود الشخصية ضمن مقهى ما"[1]، ومن خلال السرد نستشف أن المكان قد طرأ عليه تغيير كبير بمرور الزمن وتغيّر الناس وعدم تعرف لخضر على أي أحد بالمقهى، كما أن وجوده أثار القلق لدى النادل الذي ظنّه من الأمن وهذا يكشف على الهدوء والطمأنينة والأمان الذي يوفره المقهى لمرتاديه، ليعود للنادل هدوءه واطمئنانه بعد معرفة أنه عابر سبيل فقط، فتبادل معه الحوار وتبادل معه الحديث بسرد له بعض الأخبار عن الحيّ. أما لخضر فقد شعر بالفضول لمعرفة أخبار السي نوح، والتي استقصاها من خلال تبادله الحديث مع النادل " وفكر لخضر في أسماء وهمية وجد النادل نفسه لا يعرف كيف يرد سوى بنظرات خالية من رد. وأخيرا سأله عن العم نوح ولمعت عينا النادل وهو يقول:

- العم نوح الله يرحمه !
- مات؟
- منذ عام تقريباً !
- أذكر أنه كان يملك دكاناً صغيراً في مدخل الحي الثاني، إن لم تخني الذاكرة!
- مازالت الدكانة مفتوحة كما هي، زوج ابنته يشرف عليها منذ وفاته ولم يغير فيها الكثير !
- أجل ! أذكر أنه كانت له ثلاث بنات !
- من حسن ظنه أنه زوج بناته قبل أن يغيّبه الموت !
- زوّج كل بناته؟
- أجل ! الوسطى توفي زوجها في حادث سير وهي تعيش مع أمها، والصغرى تزوجت من من ضابط محترم! "[2]

نستشف من خلال هذا المقطع أن المقهى فضاء لاستقصاء الأخبار ومعرفة أحوال الناس ومعرفة التحولات الحاصلة في الحيّ، كما كانت المقهى فضاء للتعرف على وليد أخ لحضر ومعرفته بوفاة والده والإشاعات التي روجتعنه بعد رحيله من البيت، " رأى مجموعة من الشباب يدخلون إلى المقهى ويتوجهون نحو الزاوية التي جلس فيها ذلك الشاب العصبي، ثم سرعان ما غادروا جميعا المقهى. وعندما اقترب منه الناذل سأله بصوت أراده عادياً عن الشاب الذي خرج للتو، قال يحاول أن يبتسم رغماً عنه:

- كأني أعرفه !
- تقصد " وليد"؟ هذا شاب شرس جداً، لا تربية ولا يحزنزن !

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 91.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 197.

- هل هو من الحي؟

- أجل، والده كان حمالاً في الميناء، توفي قبل سنوات، وله أخ أصغر منه ! "[1]،

نستشف من خلال هذا المقطع أن المقهى كان فضاءً للقاء بين لخضر بأخيه والتعرف عليه،والتأكد من ذلك من النادل الذي أخبره عنه وعن سلوكه، وعن عدم تربيته وطبيعته الشرسة، وأن له أخا أصغر منه، كما أخبره عن والده السي عثمان الذي مات قبل سنوات. فالمقهى بإعتباره المكان العام تجتمع فيه مختلف الفئات و تنتشر فيه جميع الأخبار، فمن خلاله إلتقى لخضر بأخيه، وبالنادل الذي بحكم طبيعة عمله فإنه يعرف كل ما يحدث في الحي وأخبارهم من خلال ما يسمعه، وما يتداول في المقهى ومن مرتاديها، فقد كان النادل مصدر الأخبار، وسببا في شعور لخضر بالألم والحزن مما سمعه منه وما قيل عنه وهو ماورد في المقطع التالي " - هل تقصد أنه ابن السي عثمان؟

وفتح النادل عينيه وهو يرد:

- هو بالذات، لم أعرفه لكني سمعت أنه كان شخصاً طيباً وكان له ولد تركهم وهرب من البيت بسبب امرأة !

- بسبب امرأة؟

- هكذا يقول الناس ! لا أحد رآه منذ ذلك الوقت، بعضهم يقول إنه انتحر ! الله أعلم !

ولم يبق النادل لينتظر سؤالا آخر فقد ركض ليستجيب لطلبات الزبائن الذي بدا عليهم الغضب من تأخر قهوتهم. ولم يبق لخضر كثيراً. دفع ثمن الفنجانين وغادر المكان."[2]

نستشف من المقطع أن المقهى ملاذ تجمع آمن يلجأ إليه الناس لتمضية الوقت والترفيه عن النفس والالتقاء بالناس خارج البيت وسماع الأخبار، فالمقهى من الأماكن العامة توفر إلى جانب الراحة تقديم مشروبات الشاي والقهوة لزبائنه وتوفير لهم خدماتهم،كما أنه مكان لترويج الأخبار والإشاعات، يحمل دلالات الإلتقاء والتعارف وتقصي الأخبار ومعرفة أحوال الناس وأخبارهم والتغيّرات الحاصلة في المجتمع.

[1]- المصدر السابق، ص 198.

[2]- ياسمينةصالح، لخضر، ص 198- ص 199.

14- السينما:

مكان ثقافي ترفيهي ومعرفي يرتاده الناس للإستمتاع وتمضية الوقت والترويح عن النفس، وللقضاء على الرتابة والملل، تتميز بالإنفتاح على العالم الإفتراضي وتتسم بتنوع العروض والأفلام التي تقدمها للجمهور.

ظهر المكان عن طريق الإسترجاع وإستحضار الماضي وذكريات لخضر في ومضات سردية، فقد كان يلجأ إليه لخضر للهروب من واقعه المزري وحياته البائسة، ولأنه لا يملك ثمن تذكرة الدخول كان يتسلل إلى السينما بتسلق أسوراها ومتابعة الفيلم المعروض ليفر هاربا قبل انتهاء العرض وقبل أن ينتبه أحد لوجوده وهذا ما ورد في السرد وما نستشفه من خلال المقطع السردي " اكتشف أنه ليس وسيما ولا مفتول العضلات كما في خياله.. لم يكن هو الذي يراه في أحلامه.. كان يتخيل نفسه بطلا يراه في فيلم يدخله إلى السينما في نهاية الأسبوع ليراه. لم يكن يدفع، بل يتسلل إلى السينما حين يغلق شباك الدخول.. يقفز من فوق السور ويتسلل إلى الداخل دون أن يراه أحد. يجلس في المقعد الأخير ليتسنى له الهرب بمجرد اقتراب الفيلم من النهاية، قبل أن تضاء القاعة ويتعرف كل شخص على الجالس بالقرب منه"[1] نستشف من المقطع أن السينما مكان مسيج بالسور والذي كان يتسلقه لخضر ويتسلل من خلاله للدخول إلى قاعة العرض التي تظهر من خلال المقطع أنها غرفة مظلمة ولا يمكن رؤيته وهو داخل القاعة فيستمتع بمشاهدة الفيلم المعروض وتأثير العرض على خياله وأفكاره، فقد كانت فضاء الخيال والحلم التي كان يرى من خلالها أنه بطل فينسج على منوالها ماينا سبه لإرضاء ذاته التي كان يشعر إزاءها بالنقص والدونية، فالسينما كانت المكان المحبب والمفضل الذي يلجأ إليه هروبا من الواقع البائس، الواقع الذي جعله ينفر من شخصيته البائسة ويعيش في خياله شخصية أبطال الأفلام التي يشاهدها بالسينما لتتبخر أحلامه كلما ظهرت أمامه ملامحه التي تعكسها الواجهة الزجاجية. فمن خلال السينما أكتشف لخضر أفلامه المفضلة وحركت خياله ومنحته الشعور بالمتعة " كان يعشق الأفلام البوليسية، وأفلام الجاسوسية ! تلك التي تشعره أن القوة كائن حي، وأنه يستطيع بطريقة ما أن يصبح بطلاً كذلك البطل الهلامي الذي يتكرر في الأفلام التي يراها.. يُقتل ولا يموت، إذ يراه في فيلم جديد متقمصا دوراً آخر.. كان يرى نفسه جاسوساً لحساب شبكة ما، مغامراً وقادرا على تخطي الصعاب، ليلتقي في النهاية بحبيبة جميلة ودافئة، تقول له: أحبك.. كما تقولها البطلة للبطل الوسيم مفتول العضلات.. ! لطالما أنقذه خياله من الكآبة والقهر اللذين يطاردانه كل يوم، ولكنه كان يصعق حين تظهر ملامحه على زجاج واجهة ما "[2] نستشف من المقضع أن

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 45.

[2]- المصدر السابق، ص 46.

السينما كانت فضاء للترفيه وتمضية الوقت والترويح عن النفس، فالحالة الاجتماعية للخضر وتوتر علاقته مع أفراد البيت، وشعوره بالعزلة والوحدة والتعاسة جعلته يجعل من السينما الملجأ والملاذ الذي ينفذ إليه في نهاية الأسبوع، والتحرر من عقده والشعور بالإنطلاق والانعتاق من واقعه البائس من خلال خياله الذي كان بمثابة " المقاومة، ونوع من التلطيف والتخفيف من شدّة الألم"[1] والذي يحرره من الكآبة والقهر والإستمتاع بمشاهدة الأفلام البوليسية وأفلام الجوسسة التي أثرت بشكل كبير على نفسيته وقامت بتحريك طاقاته الخيالية .كان لخضر يتردد على قاعة السنما ليقضي على وحدته والتعاسة التي كان يشعر بها، لقد كان المكان المفضل لديه وملاذه الذي يلجأ إليه، وذات مرة وهو لرفقة نجاة يتسكعان في الشارع دعاها إلى السينما وكانت مفاجأة لنجاة التي استغربت عرضه، وزادت دهشتها لما عرفت الطريقة التي يريد بها الدخول إلى السينما، لقد كانت الشخص الوحيد الذي يصارحها بالحقيقة وهذا ماكشفه لنا السارد

" - ما رأيك أن ندخل إلى السينما؟

واستغربت سؤاله. انتظر ردها بابتسامة طفولية، وقبل أن ترد قال لها بالحماس نفسها:

- كل الأفلام التي عرضت في السينما شاهدتها... !

- كيف؟

- تعالي معي وسأخبرك كيف.. !

جرّها من يدها ووجدت نفسها تركض معه، وعندما اقتربا من سور السينما الخلفي قال لها:

– سنقفز من هنا وندخل.. هذه هي الطريقة الوحيدة التي أشاهد عبرها ما يعرض من أفلام.. !

جزعت وهي تنظر إلى السور الذي بدا لها عالياً جدا.. قالت تحاول أن تعيده إلى عقله:

– أنت مجنون.. ! لن تستطيع تسلق السور... !"[2]

نستشف من المقطع حالة الهلع والجزع التي أصابت نجاة وهي تسمع عرض لخضر ودعوتها إلى السينما بعدما عرفت الطريقة التي سيدخل بها إلى السينما عن طريق تسلق السور الأمر الذي جعلها تصاب بالصدمة والدهشة وهي ترى السور العالي والمرتفع الذي كان يحيط بالسينما، فهذا الموقف كشف الوضعية الاجتماعية للخضر وكذا درجة وعيه وطريقة تفكيره وصبيانيته التي تدل على عفويته وصدقه وهو يصارح فتاته بتسلقه للسور للدخول إلى السينما ومشاهدة الأفلام، كما كشف الموقف عن وعي

[1]- حسن المودن، الرواية والتحليل النصّي قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 34.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص58- 59.

وثقافة نجاة ورجاحة عقلها وهي تحاول إعادة لخضر إلى رشده، وتنبيهه إلى خطورة فعله إذا تم إكتشاف أمره خاصة بعدما أصبح السور الخلفي المحيط بالسينما عال ومرتفع لا يمكن تسلقه." كنت أدخل حين أتحمس لمشاهدة فيلم ما. أتسلق هذا الجدار وأدخل.. أجلس في المقعد الخلفي إلى أن يقترب الفيلم من نهايته، فأخرج متسللاً... !

- ألم يكن يراك أحد وأنت تدخل متسللاً؟
- لا أحد يرى الآخر حين تنطفئ الأضواء...!
- لكنك تخرج دون أن ينتهي الفيلم. أعتقد أن متعة الفيلم في حضور نهايته...!

- لكني أتخيل نهايته دائماً.. ! أحيانا أعطي للفيلم نهاية من مخيلتي، فيبدو لي أفضل من النهاية التي ربما لو شاهدتها لن تعجبني.. !"[1]فمن خلال المقطع نستشف أن السينما فضاء مغلق، مفتوح على التخيّل،

السينما كانت الملاذ الذي يلجأ إليه لخضر للإنعتاق والحلم، فهي المكان الذي كان يرتاده للهروب من واقعه البائس وللإحساس بالمتعة والترفيه عن نفسه، فقد شكلت فضاءً مفتوحا على الخيال، والحلم والتخيّل من خلال مشاهدة الأفلام والخروج قبل إنتهائها حتى لا يكتشف أمره.

[1]- المصدر السابق، ص 59.

15- المطعم:

هو مكان تتحقق فيه "متعة الشرب والأكل، ومتعة الروح أيضاً "[1] والإحساس بالمتعة والنشوة، ظهر المكان من خلال إسترجاع لخضر للماضي وذكرياته الأليمة وإستحضار أيام بؤسه وشقاءه عندما كان يقف أمام واجهة المطعم والحلم بتحقيق رغبته والدخول إليه لإشباع جوعه، فقد كان بائسا وفقيرا لا يملك فلساً ،فكل الرّاتب كان يأخذه والده ليصرفه على زوجته وأبنائها، وهذا ما يظهر من خلال المقطع السردي "كان موظفاً فارغاً من المعنى. يحلم بالمال والثراء. يحلم أن ينظر إليه كسيد محترم، ويعرف أنها أضغاث أحلام كلما وجد نفسه يشتهي أشياء بسيطة.. يقف أحيانا أمام واجهة مطعم وينظر إلى الناس يأكلون بنهم، يراقب وجوههم.. يريد أن يرى وجه شخص يأكل حتى الشبع.. شخص يطلب ما يشتهيه دونما خوف على ميزانية البيت وعلى مطالب إخوة يكرهونه.. !"[2] نستشف حالة الفقر والجوع من خلال التوقف أما واجهة المطعم والتنظر على من هم داخل المطعم لإشباع جوعه من خلالهم.

السارد من خلال المطعم يعكس لنا حالة لخضر الذي يعيش حالة من الحرمان وحلمه بأشياء بسيطة عجز عن تحقيقها لعدم وجود المال وعدم تمكنه من التصرف براتبه الذي يعود لميزانية البيت ومصاريفها، والمطعم هنا جاء للدلالة على الفقر والجوع الذي يعانيه لخضر بوقوفه في الخارج أمام واجهة المطعم. وفي مقطع آخر يصف لنا السارد كيف أثر المطعم على نفسية لخضر وفتح له بابا للحلم والتفكير في الحب والجلوس مع فتاة أحلامه داخل المطعم " فيرى شباباً يجلسون فرحين، بعضهم يجلس قبالة فتاة خجولة أو سعيدة، ينحني عليها ليهمس في أذنها بشيء فتبتسم أو تضحك. أحيانا يتخيل نفسه وقد صار شخصاً آخر.. يتخيل نفسه يترجل من سيارته واثقاً بغرور، فتنزل فتاة جميلة من الباب الثاني للسيارة.. يتخيل جمالها وسعادتها وهي تمد يدها لتتأبط ذراعه بتملك، وفرح، ثم يدخلان معاً إلى المطعم أمام أعين الموجودين الذين بعضهم ينظر إليه بإعجاب وبعضهم ينظر إليه بحسد.. يجلس واثقاً وينتظر حضور النادل الذي ينحني أمامهما بوقار، ويسأله بصوت مليء بالاحترام:

- هل يأمر السيد بالغذاء؟

ترن كلمة السيد في أذنه، ويرفع عينيه إلى النادل ويشير له بطرف إصبعه أن يعود بعد قليل..بثقة تثير زهوه أمام فتاته الجميلة.. ! اكتشف أنه يبتسم، وأن ابتسامته ظهرت واضحة عبر واجهة المطعم الذي وقف أمامه. شعر بالفزع وهو يرى ملامح وجهه وعينيه القاتمتين"[3]

[1]- مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص 115.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 45.

[3]- المصدر نفسه، ص 45.

يظهر المطعم في هذا المقطع كفضاء للجلسات الحميمة للمحبين والعشاق، وفضاء للحلم بالحب والعشق يلجأ إليه الشباب لتمضية أوقات جميلة خارج البيت،والإستمتاع بجلستهم بإعتباره مكان للألفة والأنس، كما نستشف حرمان لخضر من خلال وقوفه أمام الواجهة متأملاً ما داخله وتأثير ذلك على نفسه، فالمطعم حرك مشاعر لخضر وخياله وأثر على نفسيته وجعله يسبح في أحلامه ناسيا فقره وجوعه بحلمه بفتاة أحلامه التي سوف يصطحبها بسيارته الفخمة إلى المطعم والاستمتاع بالجلوس معها. ليستيقظ من حلمه أمام صورته البائسة وملامحه التي إكتشفها من واجهة المطعم و شعوره بالفزع والخيبة، فقد كشفت له واجهة المطعم شكله الحقيقي وملامحه التي جعلته يشعر بالصدمة وشعوره بالنفور إتجاه ذاته البائسة.

يظهر المطعم مرة ثانية لكن هذه المرة داخل المطعم بعدما تغيرت أحوال لخضر المادية وتحسنت وأصبح يتردد عليه " سيتسنى له الدخول إلى المطعم لتناول وجبة ما بإحساس قريب إلى الفخر "[1] فتحسن الوضع المادي للخضر مكنه الدخول إلى المطعم والجلوس فيه للأكل والإحساس باللذة والمتعة والناذل يقدم له طلباته، وشعوره بالفخر بسماع كلمة **سيّدي**من النادل التي كانت تشعره بأنه مهم وله قيمة ومكانة في ذلك المكان، " توقف أمام مطعم دخله وأخذ لنفسه مكاناً إلى طاولة قريبة من الواجهة المقابلة للشارع.. طلب وجبة دافئة أعادت الألوان إلى وجهه، وعندما انتهى من الأكل، اقترب النادل منه بابتسامة متقنة وسأله:

- هل ترغب في مشروب معين يا سيدي:

ونظر إلى النادل بالذهول نفسه الذي نظر به إلى بائع الأحذية.. كان النادل ينتظر الرد، وكان لخضر يشعر لأول مرة أنه أصبح سيداً، وأنه سيكون محترماً لدقائق أخرى "[2] نستشف من خلال المقطع أن المطعم وفر للخضر الإحساس بالقيمة وأنه سيّد بالمكان يلقى الترحيب والإحترام بسماعه من النادل كلمة **سيّدي**هذه الكلمة التي طالما كان يحلم بسماعها ووفرها له المطعم الذي كان له تأثير على حالته النفسية والوجدانية، فالمطعم دلالة على تحسن الأمور المادية الذي يظهر من خلال هندامه وإسرافه، كما أنّ المطعم أشبع رغبة لخضر ووفر له الإحساس بالسعادة والراحة النفسية وإحساسه بأنه سيد محترم ، فالمطعم وفر له الشعور بالقيمة والتخلص من الإحساس بالنقص والدونية، كما أنه يدل على أن حالة الفقر والحرمان التي عاشها لخضر جعلته لا ينسى جوعه وقهره وكان المطعم الملاذ الذي يلجأ إليه للإحساس بالفخر وبالنشوة والرغبة في الشعور بأنه سيد محترم وأنه شخص مهم وشعوره بالارتياح لسماعه كلمة "سيدي"

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 99.

[2]- المصدر نفسه، ص 100.

فالمكان وفر له الشعور بالراحة النفسية وبالرفاهية والإحساس بالقيمة التي يعطيها له المكان، وهذا ما يؤكده لنا المقطع التالي " كان يجد في تلك الأماكن شيئاً يشعره بقيمته إزاء ذاته.. يدفع النقود لأجل أن يسمع كلمة سيدي.. ! يحس أنه ملك نفسه. غير آبه بشيء أو بأحد.. أربعة أشهر اكتشف فيها تلك المتعة التي كان يتلذذها نهاراً، ناسياً هموماً كثيرة "[1] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن المطعم فضاء المتعة والإحساس بالقيمة إلى جانب تحقيق رغبة الأكل والشرب والإحساس بالغبطة والسعادة ونسيان المشاكل والهموم للحظات .

[1]- المصدر السابق، ص100.

16- المركز(الثكنة) : السلطة / الفساد :

ورد للدلالة على السلطة واستبداد الضباط والنفوذ العسكري وقد برز في الرواية كفضاء لهيمنة السلطة العسكرية في الدولة، وقمعها لحريات الأفراد وتعنتها في إستغلال السلطة وإستعمالها لأغراض شخصية، وتصفية من يقف في طريق مصلحتها، والمخالفين لفكرها، ظهر المكان من خلال إسترجاع لخضر ماضيه عندما كان يعمل لصالح الكولونيل كمخبر يكتب التقارير التي تعلم كتابتها من ضباط محترفين في المركز ويتلقى الأوامر من مسؤوله الضابط جعفر الذي كان لا يتوانى عن إهانته.

المركز فضاء مفتوح على الاستبداد والقهر والعنف وفضاء لتصارع الإرادات، واستغلال الشخصيات مناصبها ببسط نفوذها وتصفية من يقف في طريق مصلحتها، كما يبرز من خلال أعمال الضباط المشبوهة وتعنتها في استعمال السلطة وسوء استغلال النفود بالقهر والعنف، والكشف عن الأعمال غير القانونية والأعمال الإجرامية التي كانت ترتكب، المركز الذي تحول فيه لخضر إلى أداة إجرامية في يد مسؤوليها والتي لا تريد الخير للمجتمع .

" كان يعرف جيداً أنه قادر على الذهاب بعيداً في عمله، فقد استطاع أن يفهم ما يريده الأسياد ليبقوا أسياداً ! فبقاؤهم يستحيل دون أن يؤدي لخضر والآخرون العمل الذي عبره يقضون على مستقبل المئات من الأبرياء، بعضهم كان سيرتكب جنحة ضد الكبار، والبعض الآخر كان يحلم بارتكابها، لكنهم عوقبوا كلهم بالطريقة نفسها. ألم يكن يستحق أكثر مما حصل عليه إذاً؟ منذ اشتغل تحت خدمة جعفر لم يستمع إلى كلمة شكر واحدة. ترقى الضابط وظل لخضر مكانه يتلقى على قفاه.. كان يشعر أنه لن يتغير طالما سيظل يؤدي دور الكومبارس في مسرحية هزلية ومملة، وكان يجب أن ينتقل من الدور الثانوي إلى دور البطولة ! "[1]

من خلال المركز رسمت لنا الكاتبة الصورة القاتمة للقطاع العسكري والضباط المسؤولين عن الفساد والعنف. ونقلت لنا على لسان السارد المركز الذي كان سلطوي ومستبد واضطهادي يكبت ويقمع الحريات، ومن خلاله عكست لنا الصراع الفكري والإيديولوجي والعمليات الإجرامية للصعود إلى مراتب المجد والسلطة.كما نستشف من المقطع أن عمليات ترقية الضابط جعفر في المنصب جعلت لخضر يشعر بالضغينة والحقد وتفكيره بضرورة إرتقاءه. وفقدانه إنسانيته من خلال تقاريره التي كان يكتبها وتوريط الأبرياء، وهذا الأمر دفع بمسؤوليه إلى القضاء عليهم أو اعتقالهم، وهذا دلالة على كبت الحريات العامة وقمعها ونشر الرعب والخوف وتقييد الحريات، وتعنت الضباط هو دلالة على الصورة القاتمة للقطاع العسكري وفساده، وهذا ما نستشفه من خلال المقطع الذي يليه "كان يدرك أنه بحاجة إلى

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 136.

التغيير لأنه يستحقه، وأنه لن يتغير طالما سيظل بائسا في نظر أولئك الذين يعتبرون إهانته جزء من عمله، وأنه لن يقبض راتبه لولم يتلق الإهانة من رؤسائه الجالسين خلف مكاتبهم المكيفة، بانتظار التقارير التي يراجعونها على عجل ويوقعون أسمائهم عليها لوضعها على مكتب المسؤول الأهم، الذي بدوره سيوقعها باسمه ليضعها على مكتب المسؤول الأهم منه وهلم جرا، وقبل أن تصل التقارير إلى الكولونيل يكون آخر مسؤول قد وضعها بتوقيعه لينال الرضا!"[1] فمن خلال المقطع يتضح أن المركز يتألف من عدة مكاتب يتولى مسؤوليتها الضباط الذين يسعون للإرتقاء ونيل الرضا ممن هو أعلى منه درجة في هرم السلطة، كما أن السارد كشف لنا حقيقة وطبيعة عمله في المركز ونوعية التقارير التي يقوم بكتابتها والتي يرتقي بها مسؤوليه ليبقى هو في مكانه، فالمركز دلالة على الطبقة المستبدة للسلطة وعلى السيطرة العسكرية الحاكمة التي تسعى إلى القضاء على الخطر القادم والإفتراضي من خلال المخبرين والإرتقاء في هرم الحكم.

كما يكشف لنا السرد أن المركز عمله مخابراتي من خلال المخبرين السريين وتقاريرهم والذي خصصت له عديد من المكاتب لكل منها ميزة يتفرد بها عن غيره، وكلها إمتداد لنقل المعلومات عن طريق تقارير المخبرين الذين يعملون تحت اشراف الضباط بالمركز وتحري الأخبار وتحليلها وفق منهجيتهم وطريقتهم للتصدي للخطر الإفتراضي والمزعم.

" خرج من المكتب مطأطئ الرأس. كان يشعر أنه في دوامة من الأفكار والأحاسيس، وأنه لم يعد يعرف هل يؤدي عملاً أم يؤدي دوراً قد ينتهي في أي وقت ! قالها في نفسه وهو يمشي في الممر الطويل للخروج، وفجأة رأى "كريم" الذي كان منشغلاً في الحديث مع شخص لا يعرفه، وبدل أن يمشي نحو الباب الخارجي وجد نفسه يمشي في ممر اليمين الذي لم يدخله من قبل. شعر بقلبه يدق وهو يمشي بخطوات مرتبكة، لمح بعض الأشخاص الذين لم يكترثوا لوجوده هنا، كانوا يعلمون أن أي شخص يوجد في هذا المركز لا بد أنه جزء منه، ولا يحتاجون إلى سؤاله من هو."[2] فالمقطع يكشف لنا عن المركز وبعض ملامحه من خلال لخضر الذي كان يتعقب كريم بعد تسليمه التقارير وخروجه من مكتب نبيل وإستطلاعه المكان الذي يجهله وشعوره بالقلق والخوف في حال اكتشاف أمره والعواقب الوخيمة من تصرفه بالتجسس على مسؤوليه.

" ليكتشف أن الممر ينتهي بمكتبين وزاوية صغيرة معتمة وجد نفسه يقف فيها. كان قلبه يدق بقوة وهو يستعد لطرق الباب، فكر أنه يريد الحديث في التقرير الذي حمله اليوم، وعن المدير الجديد الذي سوف

[1]- المصدر السابق، ص 136- 137.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 168.

يتم إحضاره إلى الجامعة، وإن كان يدرك أن هذه التفاصيل لن تهمه طالما هناك شخص تم تعيينه ليأخذها منه. شعر بالتوتر أكثر وهو يفكر أن وجوده في هذا المكان مخاطرة مجانية ما كان عليه القيام بها. سوف يعتبرونه مذنباً إن تم اكتشافه الآن، وسيجد من يكتب عنه تقريرا ضخما يورطه في أشياء لم يكن ينويها. دق قلبه بشدة وهو يحاول انتشال نفسه من تلك الزاوية المعتمة والهرب بعيداً، لكنه صعق وهو يرى جعفر مقبلاً نحو تلك الجهة، ألصق لخضر ظهره بالجدار وانكمش من الرعب. أحس أنه وقع في شر أعماله وهو يفكر أنه سينال العقاب لمجرد تجاوزه الخط الذي يفصل البهو العام عن هذا المكان الذي لا يدخله كل الناس."[1]

يتضح من المقطع أن المركز مفتوح على العمل المخابراتي وهو مكان مغلق على الضباط ويقوم على السرية وحظر التجول فيه، فهو مكان لا يتواجد به إلا من يعمل فيه، كما نلاحظ حالة التوتر والخوف التي إنتابت لخضر وهو يستكشف المكان الذي يعمل فيه، وشعوره بالرعب في حال إكتشافه أمره، خاصة وأن هناك من يقوم بكتابة التقارير.

كما كشف لنا السارد عن عمل المركز الذي كان فضاء للفساد والعنف من خلال تجسس لخضر على مسؤوليه والتّصنت على حوارهم داخل المكتب الذي إجتمع فيه جعفر مع الضابطين.

" – المهم أن المسؤولين مرتاحون للنتائج ! العملية سرية لا يعرف بها سوى قلة من الأشخاص !

قالها الرجل الجالس الذي بدا صوته بارداً، بينما كان الضابطان مشدودين إليه بكل حواسهم، فلم يقاطعه أحد حتى أنهى كلماته. أضاف الرجل الجالس:

– هنالك جهة سوف تستقبل الفارين وتدربهم على العمل، وسيكون بيننا وبينهم شخص مشترك. العملية في غاية الحساسية، والمهم أن تكون النتائج جيدة لأن المسؤولين سينتقمون منا كلنا لو أخفقنا في تنفيد الأوامر !

قال جعفر فجأة :

– لن نخفق في التنفيذ، لأن حياتنا كلها صارت مربوطة بالعملية. سوف نقوم بها إلى النهاية !

– هذا المطلوب. خبر فرار المسجونين بدأ ينتشر وهذا ما بدأنا عمله، حتى الصحافة سوف نستعين بها في الوقت المناسب. الأوامر التي عندي هي أن يكون الأشخاص المسؤولين عن العملية على اتصال دائم ببعضهم، في الليل والنهار. الاجتماع سيكون هنا وفي أماكن أخرى "[2]

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 169.

[2]- المصدر نفسه، ص 170.

فالمقطع يكشف لنا المركز وعن الفساد وسوء إستعمال السلطة من خلال أعمال العنف وأعمال الإنحراف كما أن المقطع يحيلنا على " مسألة العنف الذي شهدته الجزائر في عقد التسعينات، ودون أن تحدد أسبابه ودوافعه، فإنها تشير ضمنيا أو علنيا إلى عنف آخر مثله، هو فساد السلطة، ويتمثل الفساد في سوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته، وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية، بطريقة غير شرعية، ودون وجه حق. والمقصود بالسلطة كل مسؤولية من أعلى هرم السلطة إلى أدنى مسؤولية محلية "[1]، فالمركز إنحرف عن مساره وأصبحت أعمال الضباط تحت إشراف مسؤوليهم تقوم على التصفية، والأعمال الإجرامية والإغتيالات دون وجه حق، فالمركز هنا ورد للدلالة على انحراف السلطة والفساد والعنف وإستغلالالنفوذ .

[1]- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 166.

17- مكتب الجنرال بوزارة الدفاع :

فضاء السلطة والسيادة العسكرية، يعكس المكانة المرموقة والنفوذ وهيبة الجنرال، لقد شكل فضاءً للمكاشفة والإعتراف بهويته، وفضاء مواجهة الذات بماضيها وحياتها التعيسة والبائسة والاعتراف بالحقيقة،كما شكل فضاء للقاء بابنه الملازم حسين والتعرف عليه بعد مرور أكثر من عشرين سنة. فهدا الحيز المكاني جعل الجنرال يكشف لنا سيرته الذاتية، وكشف لنا ماضيه وحقيقته

لقد شكل المكتب فضاءً لإيقاظ الذاكرة وإسترجاع الماضي وذكرياته" لتفتح نافذةً على الماضي وتتمعن في صوره، وتتحسس عناصره من ضوء وظلال وحيوية، وتثير في النفس شجناً، تنساب له الدموع، او حزناً شفيفاً، وشوقاً إلى الظلال الهاربة التي تجود بها الذاكرة."[1]. مكتب الجنرال كان المكان الذي جمع لخضر بابنه بعد مرور سنوات، ليتفاجأ بملف ابنه على مكتبه والتعرف عليه من خلال الصورة.

" قالها وهو يمد يده إلى الملف الأخضر. فتحه بلا رغبة في القراءة. بدا له لون الملف سخيفاً وهو يتأمله.. كل شيء كان أخضر هنا.. البذلة الرسمية التي يلبسها.. ديكور المكتب.. الكراسي والأريكة العريضة التي يستلقي عليها أحياناً.. السجاد أخضر، متمازج بين الداكن والفاقع.. كان السجاد هدية من جنرال إيراني."[2] فمن خلال هذا المقطع يكشف لنا السارد عن المكتب من الداخل ومؤثثاتهومايحتويه واللون الأخضر الذي يطغى على المكان.

مَثّلَ مكتب الجنرال بوزارة الدفاع النفوذ والسلطة والهيبة والمكانة الرفيعة، ومن خلاله كشف لنا السارد عن شخصية السكرتير والتعرف عليه وعلى حالته الاجتماعية والمادية.

" عاد الجنرال للجلوس خلف مكتبه..فتح الملف على الصورة نفسها التي رآها سكرتيره قبل قليل.. صورة شعر بالدهشة قبالتها. صورة مدهشة حد الوجع. كم من الماء مر تحت الجسر منذ خمسة وعشرين عاما؟ وكم يبدو واثقا ووسيما ! قالها في نفسه. لكن تلك السخرية التي لفتت انتباهه جعلته يتململ فوق كرسيه كمن لسعته حية."[3] يتضح من خلال المقطع أن مكتب الجنرال فضاء التعرف على الشخصيات ومعرفة ماضيها وحياتها وحالتها النفسية، لقد شكل المكتب بؤرة السرد وعودة تفاصيل الأحداث، إنه المكان الذي جمع الماضي بالحاضر وكشف الحقيقة وهوية الشخصيات .

كما شكل مكتب الجنرال لخضر فضاء للمكاشفة والمصارحة، إنه الفضاء الذي أيقظ الذاكرة، وجعل لخضر الجنرال يستعيد "الذاكرة النائمة، ويعيد لها مناظق منسيةً. وهو مستودع الذكريات، الذي يمد

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص 298.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 11

[3]- المصدر السابق، ص 16.

الذات الإنسانية بشحنات وجدانية."[1] إنه الحيّز الذي أيقظ ذاكرته وكشف لنا هويته وتفاصيل حياته وسيرته الذاتية، كما أنه كان مكان اللقاء الذي جمعه بابنه حسين بعد مرور سنوات. "كم سنة؟ يتذكر جيداً ذلك الخريف الذي وكأنه جاء في غير موعده.. كان في مكتبه عندما دخل أحد الرجال ليقول له بصوت مليء بالإحترام:

- سيدي، لقد سألنا عن الأشخاص الذين طلبت منا التقصي عنهم، وهذا التقرير !

أخذ لخضر التقرير دون أن يرد على الرجل الذي خرج من المكتب مسرعا بخطوات هاربة. فتح الملف ليطلع على ما أراده من معلومات وذهل عندما قرأ في سطر مهمل عبارة السيد الطيب بن العربي توفي عام .... ! زوجته العجوز تعيش مع حفيدها.. وتذكر آخر مرة رآه فيها، توسل فيها له بنظراته ألا يأخذ الطفل معه، ولم يأخذه ! شعر بشيء غريب ينتابه فجأة."[2] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن المكتب يمثل السلطة والنفوذ، ومن خلال فتحه للملف واطلاعه على التقارير تمكن من معرفة وفاة الطيب والد زوجته نجاة، وجود الملف بمكتب الجنرال أعاد الذاكرة إلى الماضي واسترجاع تفاصيل الحياة القديمة التي فتحت جراحا وأيقظت الذاكرة النائمة وايقاظ المشاعر الأبوية اتجاه ابنه حسين الذي تركه صغيرا في بيت جدّه السي الطيب.

مكتب الجنرال بوتقة إنفتاح المكان وعودة الذاكرة للحياة وإسترجاع الماضي، إنّه المكان الذي جمع الحاضر مع الماضي ولقاء الأب مع ابنه، ومن خلال المكتتب تبرز قوة الصورة الفتوغرافية الموجودة بالملف في إحياء ذاكرة الجنرال و مشاعر أبوته، صورة واحدة غيّرت مجرى حياة الجنرال لخضر وأثرت في طبيعة الشخصية وتحول سلوكها من القساوة إلى الرّقة ومن العداوة إلى الألفة، ومن العزلة والوحدة إلى الاحتكاك والانسجام مع الذات ومع الآخر، " ولم تمض لحظات حتى كانت الملفات فوق مكتبه، بالترتيب نفسه الذي تركه أمس. مد يده إلى الملف الأول ليعود إلى الصورة نفسها التي هزته بعمق.. قرأ التفاصيل التي يشعر أنه أصبح يحفظها عن ظهر قلب. ثم عاد ينظر إلى الصورة، وإلى العينين العميقتين الواثقتين، شعر بشيء يشبه الفخر وهو يكتشف أنه يملك وجهاً جميلاً ووقوراً. من الصعب النظر إليه كبائس أو تافه، إنه وجه يمكنك أن تنظر إليه باحترام مسبق، وبإحساس قريب إلى المودة، قالها في نفسه وهو يبتسم رغما عنه. فكر في شيء بدا له مهولا وجميلا في الوقت نفسه. لمس الصورة بحافة إصبعه وهو يردد في نفسه:

- إنه ابني !

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص 298.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 265.

قالها وهو يستوعب معنى أن يقولها، ومعنى أن يشعرها. هل يمكنه القول إن هذا الشخص الذي التقاه في صورة هو ابنه؟ ابنه الذي تركه خلفه متناسيا وجوده عن رغبة في الابتعاد أطول مسافة ممكنة؟"[1] فالمقطع يكشف لنا المكان الذي تمثل في المكتب العسكري للجنرال، المكان الذي مكن لخضر بالاجتماع مع ابنه بعد مرور سنوات والتعرف عليه من خلال ملفه و تأثير الصورة التي جعلته يتذكر تفاصيل الحياة والماضي الذي دفنه في ذاكرته لتحييه من جديد لحظة وقوع نظره على الملف بين يديه والقاء نظرة عليه، الصورة التي أعادت له شريط حياته وفضحت مشاعره وأحاسيسه اتجاه ابنه الوحيد الذي تركه صغيرا، المكتب رغم انغلاقه الشديد أفصح عن هوية الشخصيات ومركزها وعلاقاتها فيما بينها ، ومن خلاله تعرف الجنرال على ابنه الحسين الذي منحه النفوذ والسلطة ومنحه فرصة اللقاء والاجتماع بابنه من جديد بعد سنوات، فأفصح لنا السارد عن اللقاء وعن الشخصيات وكشف لنا هويتها، "ومسح على رأسه وجلس على المكتب، وماهي إلا لحظة حتى دخل السكرتير ليعلن عن الضابط الذي دخل بخطوات سريعة، ثم أشار إليه ليجلس على المقعد المقابل لمكتبه...."[2] وبذلك شكل المكتب بؤرة السرد والحكاية ومكان اللقاء وجمع الشمل.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 280- ص 281.

[2]- المصدر نفسه، ص 284.

18- مكتبة المطالعة :

تعدّ المكتبة العمومية أحد رموز الوعي الثقافي والمعرفي التي تنمي القدرات والمهارات،وإنتاج النخبة الواعية والمثقفة، لقدشكلت المكتبة فضاء للمطالعة، والتثقيف وتنمية الوعي .

ظهرت المكتبة في الرواية كمكان للتواصل واللقاء، وتبادل الحديث، إنّه المكان الذي جمع الجنرال لخضر مع ابنه حسين وتبادل الحوار والدردشة، كماشكل مكانا للألفة والحب .

" ثم ذات مرة من دون أن يتوقع الصدفة، وجده جالساً في قاعة المكتبة الخالية من القراء. كان يطالع بصمت مثير للإغراء، وجد نفسه يدخل متظاهراً أنه جاء هو الآخر بحثاً عن كتاب ! كانت كذبته مفضوحة، لأنه قادر على الحصول على أي كتاب دون أن ينتقل إليه بنفسه ! الجميع لاحظ كم صار الجنرال اجتماعياً مع الضباط، يحيطهم بعناية بدت لهم أبوية خالصة، وكانوا يرون في ذلك سبباً آخر ليشعروا بالولاء والطاعة له. عندما رآه وقف بسرعة لتحيته، لكنه أشار لهبيأراده بسيطا:

- أنا هنا مثلك، للبحث عن كتاب !"[1] من خلال المقطع يتضح أن المكتبة قاعة مخصصة للمطالعة، يقصدها الضباط من أجل القراءة ومطالعة الكتب ، كما نستشف أنها المكان الذي جمع الأب بابنه ومنحته الفرصة لتبادل أطراف الحديث والحوار والتعرف .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 287.

19- الجامعة:

تعدّ الجامعة رمز للفكر، والبحث العلمي ومركزاللوعي، فهي منبع الإرتقاء والتطور، والقاطرة التي يسير وفقها قطار المجتمع بإعبارها مكان إستشراقي لكل مايسعى المجتمع إلى تحقيقه في المستقبل لمواكبة الحضارات والمجتمعات المتقدمة.

تعد الجامعة من الأماكن التي تنادي بالوعي والثقافة الفكرية والمعرفية، والنهوض بطبقة واعية ديمقراطية ترفض كل ماهو سلطوي وبيروقراطيوإضطهادي ولكلماهو مستبد، فهي رمز الحوار والإقتناع الفكري، وهي مكان لإنتاج الطبقة المتعلمة والواعية في جميع المجالات والميادين، فالجامعة هي مهد لإنتاج مختلف الطاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية .

وردت الجامعة عن طريق الذاكرة وإسترجاع لخضر ماضيه وذكرياته، ظهر المكان عندما دخل لخضر للعمل في الجامعة بأمر من مسؤوليه للتجسس وكتابة التقارير عن كل ما يحدث فيها، وعن كل ما يتعلق بالمدير وعلاقاته وإتصالاته، فقد هيأ له مسؤوليه ملفا يثبث جدارته،وإستحقاقه للمنصب المطلوب في الجامعة كسكرتير مساعد، كما إستطاع هذا الأخير إثبات جدارته للجميع، ووفاءه وإخلاصه حتى نال ثقة الجميع، وحقق المرادالذي دخل من أجله للجامعة ." يتذكر جيدا أول يوم تقدم فيه إلى الجامعة ليتسلم عمله، بدا يائسا وهو يتجاوز البوابة الرئيسة بخطوات مرتبكة وعينين مليئتين بالخوف. كان الخوف ملازما له في عمله، مثلما لازمه في حياته. كان يدرك أنه خائف لأنه قد يفشل !

- أرجو أن تستمتع بالعمل معنا !

قالها السكرتير الأول الذي بدا في مثل سنه، نشيطا وكثير الحركة.

أضاف وهو ينظر إلى عينيه:

- حسب ما جاء في ملفك، لديك خبرة ثلاثة أعوام كسكرتير في معهد العلوم؟

تلك الكذبة التي نسجها مسؤولوه جيداً. استطاعوا أن يضبطوا له ملفا شعر بالرضا وهو يطلع عليه. وكان في الملف أيضا شهادة من المعهد بختم رسمي تؤكد أنه حسن السيرة والسلوك !"[1]

فالمقطع يكشف لنا فضاء الجامعة الذي دخله لخضر للعمل فيها بأمر من مسؤوليه للتجسس ومعرفة الأخبار وكل مايحدثفيها،وزعزعةإستقرار الجامعة وإشغالها عما يجري خارج أسوارها، كما نستشف أن الجامعة أثارت االيأس والقلق للخضر وإحساسه بالخوف من فشله في القيام بالمهمة التي أوكلها له مسؤوليه.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 142

برزت الجامعة في الرواية فضاء مفتوحا على التجسس من طرف المخبرين السرّيين، ومكانا مفتوحا على الصراع بين الفكر والسلطة، وفضاء للعنف بعد إشعال نار الفتنة وزعزعة الأمن داخل الجامعة،وإنشغالها عن مهامها في العلم والتوعية، وإنتاج العقول المثقفة الواعية، وبالتالي إنحرافها عن مسارها وحرمان الطلبة من الرغبة في مواصلة الدراسة بعد زرع الخوف والرعب فيهم، وانصرافهم عن الجامعة وتحقيق طموح النجاح، وهذا ما حصل في الجامعة بعدما تمّ تحقيق مطالب الطلبة من طرف المدير السي طيب الذي كان يقبل عليهم بالحوار والنقاش، ونظرته الواعية بأن الطلبة هم أمل الغد لينصدم بتحول الجامعة المفاجئ إلى فضاء للعنف والفوضى، وذهوله من تصرف الطلبة." لم يخطر على باله أنهم يحلمون بأكثر مما ينتظره منهم، ويفكرون في أكبر ما يمكنه التفكير به إلا حين أعلن الطلبة الإضراب عن الدراسة، كانت مطالبهم على أهميتها قابلة للتفاوض، وللحل، فقد كان يراسل الوزارة لأجل تحسين ظروف الأكل والإقامة الجامعية للطلبة الذين جاءوا من القرى البعيدة. فجأة شعر المدير بالخوف وهو يرى الطلبة الذين كان يقاسمهم الصلاة والكلام، يحملون قضباناً حديدية ويجبرون زملاءهم الطلبة على الانضمام إليهم بالقوة. كانوا يرون في القوة انتصاراً لهم ولو بالتهديد ! وتحول الخوف إلى ذهول وهو يرى الطلبة يهتفون بصوت واحد " لا إله إلا الله والله أكبر عليها نحيا وعليها نموت" !"[1]نستشف أن الطلبة الذين قاموا باشعال نار الفتنة في الجامعة يحملون فكرا وتوجها مخالفا للجامعة رمز الحوار والإقتناع الفكري، وهذا ما نتج عنه صراع فكري وإنفلات الأمور بخروجها عن مسارها، وإتخاذها العنف والإرهاب وسيلة لفرض السيطرة على الجميع وهذا رمز لصراع الأفكار والحضارات المجسدة في الطبقة التي تحمل فكرا معينا، ومجسدة في مجموعة من الأفراد الذين يحملون توجّها معيّنا وفرض أفكارهم بالعنف والقوة والإرهاب، كما وصف لنا السارد الجامعة التي أصبحت فضاء مفتوحا على العنف والصراع الفكري والإيديولوجي من خلال الصراع الذي حصل داخل الجامعة بين الطلبة والذي إستدعى طلب الأمن وتدخلهم لتزداد الأمور سوءً، وتتحول الجامعة إلى ساحة للمعركة والقتال وإطلاق النار. " بينما رجال الأمن خارجاً يطالبون فتح البوابة للدخول. هل يمكن نسيان تلك اللحظات التي استطاع فيها أحد الطلبة الصعود أعلى الجدار ليطل على رجال الأمن من الجهة الخلفية، ويطلق رصاصة دوت كانفجار مفاجئ، صرخ الجميع ذعراً. في البداية اعتقد أن عناصر الأمن هم الذين أطلقوا النار على الطالب، ليكتشف أن الطالب عاد راكضا إلى زملائه بمسدس في يده، لحظات مهولة قبل أن يستوعبوا ما جرى، عندما علموا أن الطالب أصاب رجل أمن إصابة بليغة زادت من حدة التوتر. تلك الرصاصة فتحت باب الجحيم ! بسرعة بدأ الأمن يستعمل القوة للدخول، إلى أن دخلوا، وبدأت الفوضى

[1]- المصدر السابق، ص 151- ص 152.

تعم كل مكان."[1] نستشف من المقطع حالة الفوضى والعنف التي انتشرت في الجامعة،وإنفلات الأمور مما حول الجامعة إلى ساحة للصراع، فالطلبة بإعتبارهم مستقبل المجتمع ومشعل الغد تمّ نشر الفتنة فيها،وتمّإستهداف الجامعة للقضاء عليها وعلى الوعي والنخبة المثقفة بإزاحة سي طيب باعتباره رمز من رموز الوعي الاجتماعي الذي يحكم بالوعي والعقل، ورفضه العنف وإستعمال القوة، لذلك كان مستهدفا بإعتباره رجل متعلم واع ومثقف، ويمثل أحد الرجالات التي وقفت في وجه العنف، ولأنّه ابن شهيد غيور على وطن،ه ومحب للخير والسلام للوطن وللطلبة، كان يرفض كل ماهو غير قانوني وغير شرعي، وإنصافه للعدل ووقوفه في وجه الاستبداد والظلم، لذلك كانت الجامعة مستهدفة من قبل المخبرين السريين والضباط الذين زرعوا لخضر للتجسس على كل ما يحدث بالجامعة، فكان استهداف الجامعة باعتبارها رمز العلم وإنتاج الوعي والثقافة ولأنها مهد لانتاج مختلف الطاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية، وهو مالا يخدم مصالح أصحاب النفوس المريضة المتعطشة للنفوذ والسلطة، وهذا ما يظهر من خلال تدخل الطبقة العسكرية بزرعها للفتنة من خلال المخبرين السّريين للجوسسة وزرع الفتنة ونشر الفوضى في الحرم الجامعي بخلق المشاكل وزرع الإرهاب وبذلك اشغالهم على ماهو واقع خارج أسوار الجامعة وحتى تبقى هي المسيطرة على زمام الحكم في الخارج وعلى السياسة الخارجية للبلاد والنظام بصفة عامة وعلى كل دواليب المجتمع.

تشكل الجامعة طبقة النخبة الواعية التي تحارب كل ماهو ضد المجتمع، وتنادي بالديمقراطية وإسقاط الحكم العسكري، وتشكيل طبقة واعية مثقفة من خلالها ينتقل الوعي إلى المجتمع، وينعكس ذلك بالإيجاب على المجتمع الذي يرفض كل ماهو ضده (الحكم العسكري، الاختلاسات، التزوير، ..إلخ) وتبحث عن كل ماهو ديمقراطي في جميع المجالات، ولذلك عملت الطبقة العسكرية الحاكمة على محاربة النخبة الواعية بإستهداف الجامعة بإعتبارها رمزاللوعي وإنتاج العقول المثقفة الواعية، وسعيها لزعزعة أمانها وإستقرارها، والقضاء على الخطر القادم منها بزرع مخبريها، وزعزعة نظام الجامعة. وبهذا الفعل يحول دون تحقيق هدف الجامعة وذلك بإنشغالها بالأمور الداخلية وعدم إمكانها متابعة ما يجري خارج أسوار الجامعة. فمن خلال زرع المخبرين وإنشاء الخلايا داخل الجامعة نتج صراع فكري داخلها من خلالالنزاع بين الطلبة والأمن،وإنشغالهمبذلك، وبالتالي هو عائق أمام الممارسات الموجودة خارج الجامعة وإنشغالها بإطفاء نار الفتنة في الداخل.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، لخضر، ص 153- ص 154.

20- مكتب المدير بالجامعة:

ورد في الرواية من خلال ذاكرة لخضر وإسترجاع ذكريات عمله كسكرتير مساعد في مكتب المدير سي طيب بالجامعة، المكتب هو مكان مغلق لا يدخله إلا من كان محل ثقة المدير الذي كان يرفض أن يدخل أي شخص إليه، وحرصه الكبير على إختيار مساعديه ومن يعمل معه.

" دخل بخطوات مرتبكة إلى المكتب الذي اكتشف بساطته. لفت انتباهه مكتبة واسعة ممتدة على طول الجدار خلف كرسي يجلس عليه رجل في الخمسين نحيف وهادئ الملامح. أشار المدير نحوه ليجلس، وهو يقول بصوت لا يخلو من حرارة:

– العمل كثير في الإدارة ولهذا احتجنا إلى سكرتير مساعد، خاصة مع بداية الموسم الجامعي الحالي الذي سيكون طويلاً ومتعباً ! وعملك مع جمال سيكون متوازناً، وما يهمني هو الانضباط، وحسن السلوك والثقة !"[1]

فمن خلال المقطع يصف لنا السارد المكتب وصفات المدير سي طيب،كما وصف لنا بعض مؤثثات المكتب كالكرسي ولمكتبة الواسعة التي خلف مكتبه، وكشف لنا حرص المدير على العمل الجاد،وإشتراطه الثقة والإنضباطوحسن السلوك. فالمكتب يكشف عن شخصية المدير الواعية والمثقفة، والحريص على العمل الجاد .

كما كشف لنا السرد حرص المدير على مكتبه والأشخاص الذين يحق لهم الدخول إليه " كان مترددا في نشر حاجته إلى سكرتير في الصحيفة ضمن الإعلانات المبوبة. خاف على مكتبه من أشخاص لا يستحقون وطأة عتبته بأحذيتهم الوسخة، لأنه يعتبر مكتبه مقدساً، لا يمكن لأي شخص الدخول إليه، فهو لا يستقبل إلا من يراهم أهلا للجلوس على الكرسي المقابل له، وارتشاف قهوة على شرف حوار يصنعه الشعور بالراحة للشخص نفسه. وغالبا ما يحضر بعض الطلبة إلى مكتبه للحديث معهم في أشياء يراها ضرورية، لامتصاص غضبهم أحيانا، ولإثارة غضبهم مما يجري خارج الجامعة في أحيان أخرى، وهو يعي أنه لم يفعل ذلك انتقاماً لشيء أو من أحد، بل لأنه يعتبر نفسه مسؤولا عن وعي هؤلاء الشباب، الذين سيتقلد أحدهم منصبا كبيراً في الدولة !"[2] فمكتب المدير دلالة على شخصية المدير ورمز للوعي الذي يسعى لتجسيد الفكر الواعي داخل الجامعة من خلال نشر المبادئ والقيم وتشكيل طبقة مثقفة واعية تعي المسؤولية الواقعة على كاهلها وتقدر على تحملها بكفاءة وأمانة .

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 143.

[2]- المصدر نفسه، ص 144.

مكتب المدير الذي طالما حرص المدير عليه وخاف عليه من دخول الغرباء أصبح مكانا للجوسسة والتصنت بعد دخول لخضر إليه كمساعد سكرتير لجمال فسنحت له الفرصة بانشغال جمال بمكالماته الهاتفية والغرامية باستطلاع المكتب وانتهاز فرصة غيابه لزرع الميكروفونات " كان واضحاً أن السكرتير في حالة حب، وأن استغلاله له بتلك الطريقة يجعله أكثر حرية في الحديث على الهاتف، والخروج إلى مواعيده مدعياً أن والده مريض ! وقتها فقط شعر لخضر أن المكتب صار واسعاً لأجله، وأن بإمكانه أن يبدأ العمل بشكل حقيقي ! كان أول يوم غادر فيه جمال المكتب قبل نهاية الدوام مناسبة جيدة ليضع أول الخيوط التي طلب منه وضعها هنا وهناك، كان مطالبا بتثبيت بعض الميكروفونات في مكتب المدير أراد منه جعفر ومنير زرعها في أماكن اختارها بدقة، موصولة إلى جهاز صغير يضعه في مكتبه. كل الكلام الذي يجري داخل المكتب والاتصالات الهاتفية كانت تصل إلى جهة قريبة تجلس الآذان لتصغي إليها جيداً ! كان العمل الحقيقي قد بدأ فعلاً !"[1]

يتضح أن المكتب فضاء للتجسس والتصنت على مايحدث داخل المكتب خاصة إتصالات المدير، وكشف علاقاته من خلال محادثاته وحواراته داخل المكتب، فالمكتب الشديد الخصوصية والمغلق أصبح مكشوفا لمسؤولي لخضر من خلال عملية التجسّس وزرع الميكروفونات داخله.

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 149.

21- القاعة الرياضية:

هي فضاء خاص بالطلبة في الجامعة للترفيه عن النفس وقد تحولت إلى مصلى جامعي بسبب الطلبة الملتحين الذين أجبروا المدير على جعلها مصلى ولإمتصاص غضبهم وثورتهم قبل طلبهم وتحولت القاعة الرياضية إلى مصلى " القاعة الرياضية التي أصبح يلجأ إليها الطلبة للصلاة بعد أن أجبروا المدير قبل أسبوعين على وقف النشاطات الرياضية وتحويل القاعة إلى مصلى جامعي."[1]

وردت القاعة للدلالة على التوجه الفكري والديني للطلبة، كما أنها تكشف عن الطبقة التي تحمل فكرا وتوجها معينا وتعصبها للدين بطريقتها، كما أنها رمز للصراع الفكري والتوجهات التي تحمل فكرا معارض للآخر. " على الرغم من اختلافهم معه في طريقة فرض الدين، وكيفية الوصول إلى ذلك اليقين المطلق وفرضه على الآخرين، فبالنسبة للمدير الدين المعاملة، وبالنسبة إليهم الدين يجب أن يفرض فرضاً على الجميع، ولعل المدير أخطأ في نظرته المثالية للطلبة الذين استأمنهم على نفسه أيضاً، وكان يقاسمهم رغيفهم البسيط، وحكايات كثيرة يتبادلها معهم بإحساس صادق وحار. كان يرى فيهم جيلاً جميلاً ومؤمنا بأمل خفي، وكان يجد في إقبالهم على الدين السعادة الحقيقية التي تفرض عليه النزول إليهم يومياً ومشاركتهم صلاتهم وأفكارهم."[2] نستشف من المقطع الصراع الفكري والتوجه الديني المتعصب للطلبة واتخادهم من العنف أسلوبا للحوار وفرض سيطرتهم بالتعصب الديني وهذا دلالة على الصراع الفكري بإختلاف طريقة التفكير والتوجهات، كما أنها تكشف عن التيار الديني المتعصب للرأي وإختلافه مع الآخر.

22- المحلاّت التّجارية:

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 150- ص 151.

[2]- المصدر نفسه، ص 151.

وردت في سياق النص للدلالة على الأمكنة التي إشترى منها لخضر حاجياته من ملابس وأحذية، وهي أمكنة لم يكن يستطيع من قبل دخولها لفقره وإحساسه بالفخر وهو يرتادها بعدما تحسنت أموره المادية وإحساسه بالبهجة والفرحة وهو يشتري لنفسه ملابس جديدة " اشترى بعض الثياب وحذائين وسترة جلدية سوداء. تذكر بائع الأحذية الذي استقبله بابتسامة عريضة وهو ينتقي لأجله الأحذية العصرية، وعندما اختار ما يريد سلم له كيس المشتريات وهو يقول بالابتسامة نفسها المرسومة بإتقان:

- نرجو أن نراك دائما في محلنا يا سيدي .. !

لعله بقي دقيقة واقفا ينظر إلى البائع المبتسم تلك الابتسامة التي ملأته بالفخر. لكم هزته كلمة " يا سيدي".. ألهذا الحد تصنع النقود السيادة للمرء؟"[1] فالمقطع يكشف لنا حالة الشخصية وشعورها بالغبطة وهي تدخل المحلات وإحساسها بالقيمة، فقد جاءت المحلات للدلالة على تحسن الأوضاع المادية للخضر وتأثيرها على نفسيته وشعوره.

23- **المستشفى:**

[1]- المصدر السابق، ص 99.

ظهرت المستشفى كفضاء للإستشفاء والعلاج، يقوم بوظيفته بتقديم العناية الطبية والرعاية للمريض من أجل الشفاء، كما ظهر كفضاء لتقليب المواجع والآلام،وإسترجاع الذكريات، وقد ظهرت على فترتين زمنيتن، الأولى من خلال إسترجاع لخضر ماضيه وإستحضار ذكرياته، والمرّة الثانية في الزمن الحاضر عندما أصيب لخضر الجنرال بوعكة صحية وكذلك عندما أصيب ابنه حسين ودخوله في غيبوبة.

شكلت المستشفى فضاء للاستشفاء بالنسبة للخضر، يحمل دلالات العلاج وتقديم الرّعاية الصحية، كان أول ظهور للمكان عن طريق الذاكرة وبالعودة إلى الماضي، حيث تذكر لخضر المستشفى الذي تم نقله إليه بعدما تعرض للضرب على يد الضابط علي وعجزه عن العمل بسبب اصابته البليغة " بعض المارة اتصلوا بالاسعاف التي جاءت بعد ساعة..كان لخضر يشعر أن جسمه تكسر من الألم.. في المستشفى سأله الطبيب عن سبب هذه الجراح في وجهه فرد بصوت مكسور:

- وقعت وأنا أمشي!
- سأله بصوت عادي:
- هل تشتغل؟
- نعم..!
- سأكتب لك رسالة طبية تسلمها إلى مسئوليك في العمل لأجل أن ترتاح لمدة أسبوع، يجب أن تتناول الدواء الذي سأصفه لك.. هذا مهم، وتجنب الحركة قبل يومين على الأقل !"[1]

يتضح من خلال المقطع أن المستشفى فضاء للاستشفاء وتقديم العلاج للمصاب، ومنحه الشعور بالراحة بوصف الدواء والعلاج المناسب للمريض. ليدخل لخضر مرة أخرى للمستشفى بعد إطلاق الرصاص على نفسه بعدما قام بإطلاق الرصاص على الحارسين وإصابتهما في المستودع، لكن القدر شاء له أن يعيش مرة أخرى ليتغير مسار حياته بدخوله المستشفى كمن يولد من جديد وينجوا من الموت والهلاك المؤكد.

" وبعد جهد بدا له خرافياً فتح عينيه.. في البداية أحس أن الضوء يؤذيه فعاد يغمضهما، ثم فتحهما مرة أخرى.. ألم أمت؟ قالها في نفسه وهو ينظر يميناً ويساراً.. لمح ممرضة تدنو منه وتتمتم بكلمات غير مفهومة.. نظر إليها. حاولت الابتسامة كما يملي عليها واجبها اليومي.. حرك رأسه بصعوبة وهو يتأوه مرة أخرى، وفجأة اكتشف أنه لم يمت.. اقشعر بدنه وانتابه شعور بالرعب، وكأن الممرضة لاحظت ذلك قالت له وهي تضبط له قناع الأكسجين على أنفه، مبتسمة ابتسامة بدت وكأنها مرسومة بقلم الرصاص !

- ستكون بخير لا تقلق..!

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 91.

- أ...أ... أين أنا؟

- في المستشفى .. ستكون بخير بعد أيام قضيتها بين الحياة والموت.. أنت محظوظ..!

شعر أن قناع الأكسجين يخنق أنفاسه، حاول أن يحرك يده لكنه عجز، وكأن الممرضة انتبهت إلى ذلك أضافت:

- لا تتحرك، سيأتي الطبيب حالاً !"[1]

نلاحظ من خلال المقطع الوصف لبعض ملامح المستشفى بوجود الممرضة التي تتولى العناية بمريضها،والإهتمام بصحته وتفقدها لقناع الأكسجين ومحاولتها الإطمئنان على صحة المريض الذي كان في غيبوبة لعدة أيام، وتفقدها حالته الصحية، والذي ينم عن القيم الإنسانية وآدائها لواجبها اتجاه المريض، كما نقل لنا السارد حالة القلق والخوف والذعر التي إنتابت لخضر بعد إستعادة وعيه ومعرفته أنه على قيد الحياة في المستشفى يتلقى العناية والرعاية من الطبيب، ووجود الممرضة التي طمأنته على صحته.

" ما الذي جرى..؟ !لم تتوقع الممرضة هذا السؤال.. ظلت تنظر إليه نظرة غريبة. كان واضحاً أنها لن ترد.. بدت صامتة وهي تتفحص الأنبوب الذي كانت إبرته تخز ذراعه.. حركات روتينية تؤديها عن عادة:

- أ. أ. أرجوك أخبريني ..

كانت حذرة وهي تنظر إلى باب الغرفة.. خيل إليه أنها خائفة، ومع ذلك قالت له بصوت بالكاد يسمع :

- ليس عندي ما أقوله لك !

- أريد أن أعرف ما الذي جرى لي !

قالها باذلا جهدا خرافياً أشعره بالإجهاد الشديد.. نظرت الممرضة إليه بغضب، لكنها سرعان ما خف غضبها وهي ترى عينيه الخائفتين. بدا مرعوباً وبائساً ومثيراً للشفقة. قالت وهي تحاول أن تخفض صوتها إلى أدنى درجة ممكنة:

- كانت هناك حركة غير عادية في المستشفى منذ حملت إلى هنا بين الحياة والموت.. ! سيعرفون أنك أفقت وسيأتون إلى هنا.. !"[2] نستشف من المقطع أن المستشفى مكان للعلاج وإسعاف المرضى، فالمكان دخله لخضر بسبب إصابته البليغة ، ونتيجة الرصاصة لم تقتله، بل أصيب بغيبوبة وتمّ نقله إلى المستشفى الذي تولى علاجه، كما بوضح لنا السرد الحالة الصحية والوضعية الحرجة للخضر الذي بقي

[1]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 117.

[2]- المصدر نفسه، ص 118.

في غيبوبة لعدة أيام، وقد استعاد وعيه وهو في حالة من الخوف والقلق، وشعوره بالألم وهو يحاول الأستفسار عما جرى له من الممرضة التي كانت تؤدي واجبها بالاعتناء به وتتفقد حالته، الممرضة التي زودته بالأخبار وعن وضعيته الصحية، وحقيقة ما جرى له، وعن الحركة التي عرفتها المستشفى بدخوله .

بالإضافة إلى وظيفة المكان الإستشفائية، وحرصها على معالجة المريض كانت فضاءً للإستجواب والتحقيق في حادثة الهجوم المسلح الذي مات على إثره الحارسين، ونقل لخضر إلى المستشفى بين الحياة والموت " سمع الطبيب يقول بصوت خال من الحماسة:

- أعتقد أنه تجاوز مرحلة الخطر.. !

قالها بطريقة أشعرته بالخيبة، ربما لأن عليه من الآن فصاعدا أن يواجه أولئك الذين يدركون أنه لم يمت، وأن عليه الرد على الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات مقنعة.. ! اقترب منه شخص لم يستطع لخضر رؤية وجهه جيداّ. كان واقفاً.. سمعه يقول بصوت خال من التعاطف:

- هل يمكننا أن نطرح عليه بعض الأسئلة؟

- يمكنكم، ولكن ليس لمدة طويلة فالمريض يحتاج إلى راحة.. ! "[1]فمن خلال هذا المقطع نستشف أن المستشفى عرفت حركة غير عادية بتوافد الضباط وشخصيات أخرى للاستفسار حول الهجوم الذي وقع للمستودع الذي كان يحرسه لخضر، كما تظهر ملامح الخوف والقلق بعد سماح الطبيب للزائرين استجواب لخضر والتحقيق معه بعد تحسن حالته الصحية .

المستشفى فضاء الميلاد الجديد للخضر بنجاته من الموت والسجن بعد نسجه قصة من خياله، وتلفيق التهمةللحراس وتوريطهم، وأنه كان ضحية ذلك الهجوم لتمر عليهم القصة ويخرج من المستشفى كمن يولد من جديد

" تلك تهمة إن لم يعترفوا بها تماماً لكنها ركبتهم جميعهم وأنقذت لخضر الذي خرج بعد أسبوع من آخر استجواب، من المستشفى خاليا من الخوف. كأنه ولد من جديد. تحسس جسمه بفرح وهو يغادر بوابة المستشفى "[2] فمن خلال هذا المقطع نستشف حالة الفرح التي غمرت لخضر، فقد شكل المستشفى فضاءًالإبعاث والحياة من جديد، والخروج من حالة الخوف والقلق والذعر، وتحول المكان من فضاء يحمل دلالات المرض و الموت إلى فضاء للحياة والإستشفاء الذي تلقى فيه لخضر العناية الطبية والعلاج والميلاد من جديد، لقد شكلت المستشفى نقطة تحول وتغيّر جذري في حياة لخضر وتغير مسار حياته.

[1]- المصدر السابق، ص 120- ص 121.

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 126.

ثم ظهرت المستشفى من جديد في حياة لخضر بعد مرور سنوات عندما أصبح جنرالا، فكان المكان الذي جمعه مرة أخرى بابنه حسين وخطيبته حياة ابنة نجاة، " كان واضحا أن حالته كانت حرجة وإلا لما تجمع كل هؤلاء الأطباء في غرفته ! لم يذكر أنه أصيب بأزمة قلبية في حياته، ولا بوعكة صحية حقيقية منذ سنوات، كان يعتبر صحته مهمة لأنها تقيه المستشفيات التي يكره زيارتها حتى للاطمئنان على أشخاص يمرضون، فينتظر حتى يغادروا المستشفى ليزورهم.فكر فجأة أنه صار تعباً، وأن العمر تثاقل عليه."[1] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن المستشفى يحمل دلالة المرض والتعب، وفضاء طلب الراحة والعلاج.

كما كانت المستشفى سببا في جمع لخضر بالضباظ وابنه، وفضاء للأمل وتصالح الذات مع نفسها، لقد كان للمستشفى تأثير كبير على الشخصية وتغيّر طريقة تفكيرها، وتحريك مشاعره وإستعادة لخضرإنسانيته التي فقدها، فوجوده في المستشفى جعله يستعيد الشعور بأبوته وعاطفته،" كان يريد ن يتصالح مع نفسه عبر ابنه دون أن يبرر ماضيه الغريب، وما فعله في طريق المشي إلى المجد ! الليلة الثانية في المستشفى بدت حافلة بالزوار من كبار المسؤولين الذين لم ينسوا إحضار زوجاتهم معهم، وباقات من الورد أغرقت الغرفة بروائح كثيرة. كانوا يعرفون أنه بحاجة إلى الراحة، لهذا لم تكن زيارتهم طويلة، ولم يقل فيها شيئا طوال وجودهم، كأنهم جاءوا لزيارة شخص يشبهه ! لكنه بدا أكثر حيوية عندما جاء بعض الضباط لزيارته، ليجد نفسه يصاب بالخيبة لعدم حضور ابنه معهم. إعتقد أنه سيكون أول من سيأتي، لكنه إبتلع خيبته وهو يشكر الضباط على شعورهم النبيل. شعر بما يشبه العزاء وهو يكتشف أنهم لم يأتوا لزيارته عن واجب فقط، بل عن حب أيضاً."[2]، فالمقطع يكشف عن الحالة الشعورية والنفسية للشخصية وتأثير المكان عليها.

[1]- المصدر السابق، ص 296

[2]- ياسمينة صالح، لخضر، ص 297.

24- كافتيريا المستشفى:

شكّلت فضاءً الإستراحة والأمل، وقد وفر هذا المكان فرصةً للقاء والمكاشفة والمصارحة، فبعد دخول حسين في غيبوبة ونقله للمستشفى وجد الجنرال لخضر نفسه في حالة فزع وخوف من فقدان ابنه الوحيد، فلم يفكر في شيء وهو يهرول مسرعا إلى المستشفى للاطمئنان عليه، فكانت كافتيريا المستشفى المكان الذي جلس فيه مع نجاة التي أحبها في شبابه ووالدة حياة خطيبة ابنه حسين وصارحها بهويته الحقيقية وأبوته لحسين فكانت الكافتيريا بؤرة لتقليب الذكريات والمصارحة والمكاشفة والتصالح مع الذات. " مشى معها على طول الممر قبل أن يدعوها نحو اليمين حيث كافتيريا المستشفى الخالية ! كان يجد في خلو المكان من الناس سبباً مقنعاً ليجلس قبالتها. كانت تبدو مستسلمة لحزنها بشكل قريب إلى الإحباط، وكان أكثر حزناً منها، مع ذلك رفض الاستسلام لفكرة أن ابنه لن يعود.

نظرت إليه وقالت فجأة:

- لن أحتمل فقدانه !

قالتها وبكت، وظل صامتاً يتأمل دموعها."[1] فمن خلال هذا المقطع نستشف أن الكافتيريا مكان للإستراحة والجلوس بإنتظار أمل سماع خبر عن تحسن صحة حسين الذي أصيب برصاصة وهو في غيبوبة بالمستشفى، كما نستشف حالة الحزن والإحباط الشديد الذي أصاب كل من لخضر ونجاة وشعورهما بالألم والخوف من فقدان حسين.

شكلت الكافتيريا مكاناً للقاء والإجتماع ثانية مع نجاة وتبادل الحديث عن حسين، كما كانت الكافتيريا الفضاء للمصارحة وكشف الحقيقة التي مرت عليها سنوات، ليكشف الجنرال عن هويته الحقيقية والإفصاح عن أبوته لحسين.

لقد كانت الكافتيريا إنفتاح على الماضي والجراح والألام ، والبوح بالمشاعر ، نجاة التي إستفزت مشاعر لخضر وحالة ابنه حسين التي أيقظت إنسانيته وأبوته وجعلته يجلس في الكافتيريا يتصالح مع ذاته ويصارح نجاة بالحقيقة التي طالما كتمها وفتح لها قلبه.

[1]- المصدر السابق، ص 322.

يتضح لنا مما سبق أن الأمكنة تنوعت وتعددت في رواية "لخضر " حيث مزجت الروائية بين الأمكنة المفتوحة والمغلقة، وعكست لنا من خلالها المجتمع الجزائري بكل شرائحه، وبرزت لنا الأمكنة من خلال ساكنيها والأحداث التي جرت فيه، فكشفت عن المكان وقيمه وأبعاده ودلالاته، كما كشف المكان عنها وعبرّ عن مشكلات وقضايا المجتمع الجزائري على جميع المستويات، كما ظهر أن المكان كان على إرتباط وثيق بالشخصية يؤثر فيه ويتأثر به، كما أنّ المكان برز من خلال الشخصيات التي تتحرك فيه والأحداث التي تجري عليه.

هذا ونشير إلى أن الروائية لم تهتم بالوصف الهندسي والمعماري للمكان بقدر إهتمامها بما يجري فيه من خلال شخصياتها والأحداث لتعكس لنا الواقع الجزائري وحال ساكنيه من خلال المكان بنوعيه المفتوح والمغلق .

الخاتمة

بعد هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيمايلي:

المكان في الرّواية لم يكن زائدا ولا إعتباطيا بل كان جوهر العمل ككل وشخصية رئيسة في السرد، حيث أرادت الكاتبة من خلاله كشف المستور وفضح الوضع المأساوي وحالة التهميش والقهر الذي عاشه الوطن سواء في زمن العشرية السوداء أو في الفترة التي تلتها، فالمكان فضاء مفتوح على المعاناة والألم والحسرة و شاهدحي على ماعاشه الوطن من عنف وحرمان وفقر وتحول معالمه.

في وطن من زجاج تعكس الروائية صورة الوطن زمن العشرية السوداء، فالمكان فضاء مفتوح على الموت وانغلاق الذات على نفسها، وتحول الأمكنة التي ترتاح فيها الشخصيات من أمكنة ألفة وأمان إلى أمكنة يسكنها الخوف والرعب، والحزن والألم، وعدم استقرار قاطنيها فيها، وشعورها بالغربة ،فالانسان عندما يفقد الأمان في بيته فقدْ فَقَدَالحياة والأمل، وفي زمن العشرية السوداء انغلقت النفوس وأوصدت الأبواب و وأصبح الأفراد يهربون من بيوتهم والاختباء من الموت الذي يترصدهم في كل زاوية وفي كل مكان.

تنوعت الأمكنة وتعددت في الرواية، فالأمكنة المفتوحة تمثلت في المدينة والقرية والشوارع واللأحياء وصورت الوطن زمن العشرية السوداء والمأساة الدموية التي عاشها مع الخوف والرعب والألم، فكان المكان شاهد على المجازر الفظيعة، ولسان ناطق عن الحياة المأساوية والدموية وفقدان الأمن والإستقرار.

أما الأماكن المغلقة فشملت البيوت والشقق والمدارس ومكاتب الصحافة واتسمت جميعا بالانغلاق على نفسها،وإنغلاق الذات خوفا من الموت (القتل على يد الإرهاب) الذي عم أرجاء الوطن واقتحم بيوت البسطاء فلم يسلم الصغير ولا الكبير، فأصبح المكان المغلق تسكنه الوحشة والحزن والخوف والحرمان والقهر والألم، وهذا ما عاشته الشخصيات الروائية التي عاشت الأمرّين، وكشفها للواقع الدموي والمجازر اليومية، وشعورها بالضياع والتيه، وجهلها مصيرها في وطن أصبح فضاء للموت، وكبت وتقييد للحريات، وحرمانها من الحق في الحياة، وتفكيرها في الهرب من الوطن الذي فقد طمأنينته واستقاره، و الذي لم يعد آمنا، وطلبا للنجاة والحياة بالهروب منه . فكان المكان بنوعيه يعبر عن المعاناة والشجن وهذا ما عاشته الشخصية البطلة الصحفي لاكامورا الذي ترك كل شيء وراءه بحثا عن الحقيقة لينصدم بواقع آخر للوطن من الجهل والبطالة وتدهور الأوضاع الاجتماعية والمادية والتهميش والفساد الذي غير أنظمة الحكم وطغيان سلطة العنف والقوة على القانون فنقل لنا صورة الجزائر وطن فقد أمنه وسلامه في زمن العنف والإرهابن وواقع الصحافة فيها حيث الكلمة توؤد قبل أن تخرج إلى النور.

أمّا رواية "لخضر" فزمنها السردي هو تَتِمَّة للزمن السردي لرواية "وطن من زجاج" التي تبدأ من نهايتها لتواصل مسيرة السرد عن المكان الوطن الجزائر الذي يخرج من زمن المحنة والعشرية السوداء ليعيش نكبة أخرى وواقعا آخر أكثر تأزما وتزيد مرارة بفساد الحكم والنظام، فكشف المكان عن الطبقية بوجود

طبقتين طبقة الشعب وطبقة السلطة، فتولت شخصية البطل "لخضر" سرد أحداث الرواية بشخصياتها المتعددة، وكشفت لنا عن جميع الأمكنة، حيث تركت شخصية لخضر كل شيء وراءها لتطمس الحقيقة وتسعى إلى تحقيق ذاتها والحصول على السلطة.

تنوعت الأمكنة في الرواية بين المفتوحة والمغلقة، لكن الأمكنة المغلقة هي من طغت على الرواية وانفتحت عبر الذاكرة واسترجاع الماضي، فكانت سببا في كشف الحقيقة للقارئ و معرفة حقيقة هوية الجنرال "لخضر" الذي كان حمالا في الميناء.

المكان في رواية لخضر فضاء لكشف الحقيقة وتعرية الشخصيات وهو على صلة وثيقة بالشخصية وفي علاقة تأثير وتأثر، فمن خلال المكان برزت مواقف الشخصية وتطورها وكشف عن سلوكها وطريقة تفكيرها وتغيرها من شخصية بسيطة إلى شخصية قاسية وعدائية لا تعترف بالقيم والمبادئ.

تعدد المكان وتنوعه في الرواية منحه بعدا جماليا وشعريا حيث جمع بين العالم التخيلي والواقعي فكان مفعما بالمعاني والدلالات التي تراءت عبر الشخصية البطلة التي إقتحمت المكان فأبرزت معالمه وملامحه وقيمه، كما كشف هو الآخر حقيقتها وهويتها .

الكاتبة ياسمينة صالح من خلال روايتها " وطن من زجاج" و"لخضر" مزجت بين الواقع والخيال، ووظفت المكان بنوعيه المفتوح والمغلق وجعلته شخصية رئيسة لكشف واقع البلد وأوضاعه المُزرية على جميع المستويات والأصعدة، فكشف المكان حالة التهميش والحرمان من خلال الشخصيات التي اخترقته واستحضرته، فكشفت لنا معالمه وما طرأ عليه من تغييرات بفعل الزمن والأحداث .

وفي الأخير نرجوأن نكون قد وفقنا في هذا العمل الذي أعاننا الله على إتمامه، دون أن ننسى الشكر الجزيل للأستاذ المشرف شريف بموسى عبد القادر على صبره ونصائحه .

بن سعيد حورية

مغنية 08 شوال 1443هـ/ 09 ماي 2022

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادروالمراجع:

أولا : المصادر:

.القرآن الكريم برواية ورش.

1- ياسمينة صالح، لخضر، دار فارس للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 2010.

2- ياسمينة صالح، وطن من زجاج،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2006.

ثانيا: المعاجم والموسوعات:

1- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، المجلد الخامس،طبعةجديدة،دت.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1999.

4- فيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج4، ط3، 1980.

ثالثا : المراجع العربية:

1. إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دط، 2012.

2. إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون(بيروت)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009..

3. إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

4. إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، دط، 2003.

5. ابن الأخضر السائحي، جماليات المكان القسنطيني قراءة في رواية ذاكرة الجسد. دراسة نقدية تحليلية، سلسلة أبحاث مخبر اللغة العربية وآدابها، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر،2007..

6. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004.

7. أحمد مرشد، البنية والدّلالة في روايات ابراهيم نصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

8. أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001.

9. أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، 2009.

10. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1، 2008.

11. بعلي حفناوي، تمثلات الممنوع والمقموع في الرواية العربية المعاصرة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، 2015.

12. بوعزة محمد، تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

13. حسن المودن، الرواية والتحليل النصّي قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

14. حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

15. حسن محمود، الضفة الأخرى دراسات في الثقافة والأدب والنقد، دار وائل ، الأردن، ط1، 2008.

16. حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، بيروت، ط1، 2000 .

17. حسين علي الدخيلي، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصر الجاهلي والإسلامي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011.

18. حسين فيلالي، السمة والنص السردي – دراسة-، موفم للنشر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.

19. حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط1، 2013.

20. حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،ط3، 2000 .

21. حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، د.ط، 2006.

22. حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة مخلوقات الأشواق لإدوارد الخراط نموذجا، مكتبة الأدب المغربي، دار نينوي، سوريا، دمشق، دط، 2011.

23. خالد حسين حسين، في نظرية العنوان تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين حسين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2007.

24. سعيد يقطين، قال الراوي "البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997.

25. سعيد يقطين، لرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.

26. سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤية-مقاربة نقدية، إتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2003.

27. سيدي محمد بن مالك، جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2006.

28. سيزا قاسم، القارئ والنص والعلامة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، دط، 2002.

29. سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004.

30. سيزا قاسم، بناء الرّواية مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.

31. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، بيروت، لبنان، 1994.

32. شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.

33. الشريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

34. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010.

35. صبيحة زعرب عودة، غسان كنفاني-جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006.

36. ضياء الغني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1،، 2010.

37. ضياء غني لفتة، سردية النص الأدبي، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2011.

38. طاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة والمكان التعبير- التأويل- النقد، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

39. عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط، 2015.

40. عبد الحميد المحايدن، جدلية المكان والزّمان و الإنسان في الرّواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2001.

41. عبد العزيز شبيل، الفن الروائي عند غادة السّمان، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1987.

42. عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2009.

43. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية.بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة.ع 140، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990.

44. عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة الجزائرية، ، الجزائر، ط2، 2013.

45. عثمان بدوي، بناء الشخصية الرئيسة في روايا ت نجيب محفوظ، ط1، القاهرة،1986.

46. عثمان بدوي، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، .الجزائر، ط1، 2000.

47. فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

48. محبوبة محمدي آبادي،جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.

49. محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط2، 2002.

50. -محمد السّيد إسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، دائرة الثقافة والاعلام، دط، د.ت.

51. محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر دراسة نقدية،موفم للنشر، الجزائر، 2014.

52. محمد بوعزة ، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

53. محمد صابر عبيد- سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008.

54. محمد عزام فضاء النّص الرّوائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1996.

55. محمد عزّام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

56. محمد علي الجندي، إشكالية الزمان في فلسفة الكندي، مكتبة الزهراء، مصر،ط1، 1991.

57. محمد عويد محمد ساير، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي484 هـ-897 هـ، دار غيدان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018.

58. محمد مصطفى علي حسانين، إستعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل رواية (السفينة) لجبرا ابراهيم جبرا أموذجا دراسة نقدية، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، 2003.

59. مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2000.

60. مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، موفم للنشر، الجزائر، 2013.

61. مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998.

62. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار الدقل المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشقندط، 2011.

63. نجلاء علي مطري، الواقعية السحرية في الرواية العربية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

64. نفلة حسن أحمد العزّي، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات،المكتب الجامعي الحديث، دار الكتب والوثائق القومية، الأزاريطة، الإسكندرية، دط،2012.

65. ياسر عابدين، مفهوم الفصيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2012.

66. ياسين النصير، إشكالية المكان في النّص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986.

67. ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

68. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

رابعا: المراجع المترجمة:

1- جوزيف .إ.كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة: لحسن احمامة، افريقيا الشرق، 2003.

2- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984.

3- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني(المكان والدلالة)، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد 6، 1986.

المجلات والدوريات:

1- غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب، ع 2- 3، بيروت، 1980.

2- ياسر عابدين، مفهوم الفصيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2012.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر:	
إهداء	
مقدمة	**أ-ج**
الفصل الأول: المكان ومعالم تشكله.	**4**
أولا: مفهوم المكان .	**5**
أ- لغة.	5
ب-اصطلاحا .	7
ج-فلسفيا.	14
ثانيا : المكان والفضاء.	**16**
ثالثا: أهمية المكان في العمل الروائي.	**22**
رابعا : أنواع الأمكنة:	**27**
أولا - الأمكنة المفتوحة :	**28**
1- المدينة.	**29**
2- القرية.	**30**
3- الشّارع.	**31**
4- الصّحراء.	**32**
5- البحر.	**33**
ثانيا- الأمكنة المغلقة:	**34**
1- البيت.	**36**
2- المقهى.	**37**
3- المستشفى.	**39**
4- السجن.	**40**
5- الفندق.	**42**
خامسا: المكان وعلاقاته بالعناصر الروائية الأخرى.	**43**

1- علاقة المكان بالشخصية .	44
2- علاقة المكان بالأحداث.	50
3- علاقة المكان بالزمن .	52
الفصل الثاني : أنواع المكان في رواية "وطن من زجاج " لياسمينة صالح.	55
ملخص رواية" وطن من زجاج" .	56
أولا - الأمكنة المفتوحة:	64
1- الوطن.	64
2- قرية جنان الحاج عبد الله- الأرض /البساطة – مكان الألفة.	75
3- الوادي.	80
4- المدينة – العاصمة / التمدن – المكان المعادي.	82
5- القرية بضواحي مدينة المدية / العنف – الإرهاب.	87
6- الشّارع .	89
7- الحيّ الشّعبي.	95
8- الأحياء الشعبية المحرّرة.	98
9- السفارة.	99
10- الميناء.	101
ثانيا : الأمكنة المغلقة .	102
1- بيت الجد الإقطاعي (بيت العائلة).	102
2- بيت المعلم بقرية جنان الحاج عبد الله.	105
3- مدرسة قرية جنان الحاج عبد الله.	107
4- الثانوية.	109
5- الإسطبل.	111
6- بيت عائلة النذير بالمدينة العاصمة.	114
7- شقة لاكامورا بالعاصمة.	118
8- شقة المهدي.	120
9- المتجر.	122

10- مصنع الخياطة.	123
11- الجامعة.	124
12- جريدة الجامعة.	126
13- الجريدة اليومية (الجريدة الحكومية).	128
14- الجريدة المستقلة.	132
15- الجريدة المستقلة "مدى الجزائر".	136
16- مبنى دار الصحافة.	140
17- المدرسة بالقرية في ضواحي المدينة/العنف –الإرهاب .	142
18- المستشفى.	143
19- الكافتيريا.	148
20- المقهى الشعبي.	151
21- المطار.	155
22- المقبرة.	156
الفصل الثالث : أنواع المكان في رواية "لخضر" لياسمينة صالح.	158
ملخص رواية" لخضر".	159
أولا - الأمكنة المفتوحة :	168
1- المدينة.	168
2- الميناء.	170
3- ساحة الجامعة.	172
4- الشوارع والطرقات.	173
5- الحي الشعبي.	179
6- الحديقة العمومية.	182
ثانيا- الأمكنة المغلقة :	183
1- الفيلا.	183
2- بيت عائلة حياة.	187
3- بيت عائلة لخضر (بيت الطفولة).	192

4- بيت سي نوح.	199
5- بيت لخضر (الغرفة المستأجرة).	202
6- شقة لخضر.	203
7- بيت السي طيب.	205
8- بيت جمال.	208
9- بيت سي منصور.	209
10- بيت سي إبراهيم.	210
11- الدّكان.	213
12- المستودع.	215
13- المقهى.	220
14- السينما.	224
15- المطعم.	227
16- المركز(الثكنة) : السلطة/ الفساد.	230
17- مكتب الجنرال بوزارة الدفاع.	234
18- مكتبة المطالعة .	237
19- الجامعة.	238
20- مكتب المدير بالجامعة.	241
21- القاعة الرياضية.	243
22- المحلات التجارية.	244
23- المستشفى.	245
24- كافتيريا المستشفى.	249
خاتمة.	252
قائمة المصادروالمراجع	255
فهرس الموضوعات	263

الملخص باللّغة العربية:

يعدّ المكان أحد المكونات الرّئيسة في جنس الرّواية، ومن العناصر المهمة في تكوين النّص الإبداعي وله أهمية كبيرة ودالة في الرّواية الجزائرية، وهذا ما حاولت إبرازه من خلال هذا البحث الموسوم ب: المكان ودلالاته في روايات ياسمينة صالح.

الكلمات المفتاحية: المكان، الفضاء، الحيّز، الرّواية الجزائرية، ياسمينة صالح.

باللّغة الفرنسية:

Le lieu est considéré comme etant les composants principaux dans les genres de livres et les titres essentiels pour constituer un texte créatif et il a une grande importance dans les romans algériens. Ce qu'elle a voulu montrer à travers les recherches : le lieu et ses preuves dans le roman de Yasmina SALAH.

Les mots clef : Lieu ; Espace ; Cercle ; Roman algérien ; Yasmina SALAH.

باللّغة الإنجليزية:

The setting is the fondamental element in any novel and one of its pillars in building a perfect text namely in the Algerien littérature .

That's what we tried to prove and demonstrate in our humble work entitled :

The Setting and its Designation in Yasmina SALAH's novels.

The key words : place ; Space ; Circle ; Algerian novel ; Yasmina SALAH.